القيم الأخلاقية الفردية بين العهد القديم والقرآن الكريم

(دراسة مقارنة)

The Individual Ethical Values Between The Old Testament And The Holy Qur'an
(Comparative study)

اعداد/سمية محمد طعمة القضاة

اشراف/محمد عبد الحميد الخطيب

المنارة للاستشارات

www.manaraa.com

قائمة المحتويات

الموضوع	رقم الصفحة
عنوان الرسالة	أ
قائمة المحتويات	ب
تحليل المصادر	هـ - و
ملخص الرسالة	ز-ح
المقدمة	ط- ك
الفصل التمهيدي: مصطلحات البحث	١
المبحث الأول: التعريف بالقرآن الكريم	٢
المطلب الأول: تعريف القرآن الكريم لغة	٣
المطلب الثاني: تعريف القرآن الكريم اصطلاحاً	٣
المطلب الثالث: أسماء القرآن الكريم	٣
المبحث الثاني: التعريف بالعهد القديم	٤
المطلب الأول: تعريف العهد القديم لغة واصطلاحاً	٥
المطلب الثاني: نُسخ العهد القديم وأسفاره	٥
المبحث الثالث: مفهوم الأخلاق	١٠
المطلب الأول: تعريف الأخلاق لغة واصطلاحاً	١١
المطلب الثاني: الأخلاق في علم النفس وعلم الاجتماع	١٣
المطلب الثالث: أهمية الأخلاق في المجتمع الإنساني	١٦
الفصل الأول: القيم الأخلاقية الفردية في العهد القديم	٢٠
المبحث الأول: الإلزام والمسؤولية في الأخلاق الفردية	٢٢
المطلب الأول: الإلزام	٢٢
المطلب الثاني: المسؤولية	٢٧
المطلب الثالث: خصائص الإلزام والمسؤولية في العهد القديم	٣١
المبحث الثاني: صور ومظاهر الأخلاق الفردية	٣٣
المطلب الأول: الأخلاق الفردية	٣٤
المطلب الثاني: الأخلاق الفردية تجاه المجتمع اليهودي	٤٠

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الموضوع	رقم الصفحة
المطلب الثالث: الأخلاق الفردية تجاه الغير	٤٨
المبحث الثالث: الثواب والعقاب في الأخلاق الفردية	٥٥
المطلب الأول: الموت والبعث	٥٦
المطلب الثاني: الجزاء الدنيوي	٦٠
المطلب الثالث: الجزاء الأخروي	٦٥
الفصل الثاني: القيم الأخلاقية الفردية في القرآن الكريم	٦٧
المبحث الأول: الإلزام والمسؤولية في الأخلاق الفردية	٦٨
المطلب الأول: الإلزام	٦٨
المطلب الثاني: المسؤولية	٨١
المبحث الثاني: مظاهر الأخلاق الفردية وصورها في القرآن الكريم	٩٢
المطلب الأول: مظاهر وصور الأخلاق الفردية الباطنة	٩٣
المطلب الثاني: مظاهر وصور الأخلاق الفردية الظاهرة	٩٨
المبحث الثالث: الثواب والعقاب في الأخلاق الفردية.	١٠٩
المطلب الأول: الجزاء الدنيوي	١١١
المطلب الثاني: الجزاء الأخروي	١١٦
الفصل الثالث: مواطن الاتفاق والاختلاف بين العهد القديم والقرآن الكريم	١٢٣
المبحث الأول: مواطن الاتفاق	١٢٤
المطلب الأول: مواطن الاتفاق في الإلزام والمسؤولية والجزاء	١٢٥
المطلب الثاني: مواطن الاتفاق في كثير من المفردات الأخلاقية	١٣٠
المبحث الثاني: مواطن الاختلاف	١٣٤
المطلب الأول: الاختلاف في شمولية الأخلاق الفردية	١٣٥
المطلب الثاني: الاختلاف في الجانب التطبيقي للأخلاق الفردية	١٣٨
المطلب الثالث: الاختلاف في الغاية الأخلاقية الفردية	١٤١
المطلب الرابع: الاختلاف في حضور الأخلاق الفردية في الجانب التشريعي	١٤٤
المطلب الخامس: الاختلاف في الالتزام والمسؤولية في الأخلاق	١٤٩

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الموضوع	رقم الصفحة
الفردية	
المطلب السادس: الاختلاف في الإجراءات الوقائية والعلاجية للحد من انتشار القيم الفردية السلبية	١٥٤
الخاتمة والنتائج	١٥٩
فهرس المصادر والمراجع	١٦١
الملخص باللغة الإنجليزية	١٧١

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

تحليل المصادر والمراجع

سأتناول بعض المصادر التي اعتمدت عليها في بحثي وهي:

١- لسان العرب لجمال الدين محمد بن مكرم المعروف بابن منظور (٧١١ هـ، ١٣١١) وهو كتاب في اللغة، حيث قام مؤلفه بترتيب أبوابه على الحرف الأخير، وفصوله على الحرف الأول، فيستدل بالآيات القرآنية، ويبين الأقوال اللغوية فيها، ويستشهد بالحديث وما يناسب المقام من أقوال العرب أشعارهم، مع التوضيح لما فيه من عروض، وهو خلاصه ما تقدِّمه من كتب اللغة، وقد أفدت منه في تعريف القرآن الكريم والعهد القديم والأخلاق.

٢- كتاب إظهار الحق للمؤلف: رحمة الله الهندي، حيث يقع هذا الكتاب في جزأين إلا أنني درست الكتاب الذي قام بتحقيقه الدكتور محمد ملكاوي، وهو كتاب هام في دراسة الأديان، وقد أفدت منه في دراسة العهد القديم ونسخه وأسفاره.

٣- كتاب دستور الأخلاق في القرآن: ومؤلفه الدكتور محمد عبد الله دراز، حيث يتحدث في هذا الكتاب، عن الأخلاق الإسلامية من خلال القرآن الكريم والنظرية الأخلاقية، وهو مرجع هام في موضوع الأخلاق، وقد اتبعت في دراستي منهجه في دراسة الأخلاق وأفدت منه إفادة واسعة.

٤- الأخلاق الإسلامية وأسسها : ومؤلفه الشيخ عبد الرحمن حسن حبنكة الميداني، ويعنى هذا الكتاب بمعرفة الأسس العامة لمفردات الأخلاق في مفاهيم الإسلام وتعاليمه الربّانية، ويشير إلى الأخلاق الإسلامية ويعرفها ويتحدث عنها.

٥- التفسير التطبيقي للكتاب المقدس: وقد ألفه مجموعة من علماء اللاهوت، وهو كتاب يفسر الأسفار المقدسة في العهدين القديم والجديد، ويشير لبعض الأخطاء الواردة فيه.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

٦ ـ كتاب القرآن والتوراة أين يتفقان وأين يفترقان: ومؤلفه الدكتور حسن الباش، وهو كتاب يعنى بدراسة جوانب متعددة من التوراة ومقارنتها بالقرآن الكريم لبيان جوانب الاتفاق والاختلاف.

٧ـ كتاب في ظلال القران: ومؤلفه سيد قطب، وهو كتاب في التفسير يعتمد في تفسيره على الاشارات الأدبية، ورجعت اليه في تفسير الكثير من الايات في مواطن متعدده.

٨ـتفسير ابن كثير : للإمام إسماعيل بن كثير ومنهجه ذكر ما ورد في موضوعه مبتدأً بالقرآن الكريم، ثم السنة، ثم بالآثار، وقد عدت إليه في تفسير بعض الآيات الكريمة.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ملخص الرسالة

القيم الأخلاقية الفردية بين العهد القديم والقرآن الكريم

(دراسة مقارنة)

إعداد الطالبة : سمية محمد طعمه القضاة

إشراف الدكتور الفاضل: محمد عبد الحميد الخطيب

يعد الحديث عن الأخلاق من الموضوعات القديمة الحديثة المتجددة في كل العصور، لاسيما وأن الأخلاق ذات تأثير كبير في حياة الفرد والمجتمع.

لذا جاءت هذه الدراسة من أجل توضيح وبيان الأخلاق الفردية من خلال القرآن الكريم والعهد القديم، والمقارنة بينهما على النحو التالي:

الفصل التمهيدي وعنوانه مصطلحات البحث: وقد قمت فيه بتعريف القرآن الكريم، والعهد القديم، والأخلاق لغة واصطلاحاً، وتحدثت عن أبرز خصائص القرآن الكريم والعهد القديم، ودور الأخلاق في المجتمع والإنسانية.

الفصل الأول وعنوانه الأخلاق الفردية في العهد القديم: وقد خصصته لدراسة الأخلاق الفردية في العهد القديم من حيث الإلزام والمسؤولية، والصور والمظاهر، والجزاء والعقاب.

الفصل الثاني وعنوانه الأخلاق الفردية في القرآن الكريم: وقد تناولت فيه الأخلاق الفردية في القرآن الكريم من حيث الإلزام والمسؤولية، والصور والمظاهر، والجزاء والعقاب.

الفصل الثالث وعنوانه مواطن الاتفاق والاختلاف بين العهد القديم والقرآن الكريم: وقد جعلته فصل المقارنة بين الأخلاق الفردية من حيث نقاط الاتفاق، ونقاط الاختلاف.

وقد أبرزت آراء الباحثين في هذا المجال بشكل محايد وأبرزت رأيي الشخصي عند الحاجة إليه والامكان.

المنارة للاستشارات

www.manaraa.com

وأخيراً خاتمة البحث بما فيها من النتائج والتوصيات وقد توصلت إلى النتائج التالية:

١- أن الأخلاق مصطلح متعارف عليه بين جميع الديانات السماوية والوضعية، ولا يخفى على أحد أهمية هذه الأخلاق في مسيرة الحياة البشرية.

٢- أن الإلزام والمسؤولية في الأخلاق الفردية هي أكثر وضوحاً وشمولاً في القرآن الكريم مما هو في العهد القديم، بل إنه قد يكاد يكون معدوماً الإشارة إلى المسؤولية الأخلاقية في العهد القديم.

٣- القرآن الكريم زاخر بالصور والمظاهر الأخلاقية الحسنة ،ولا نجد أي دعوة إلى مقارفة الأخلاق السيئة وكذلك العهد القديم ،إلاّ أننا نلاحظ اضطراباً في موضوع الدعوى إلى الأخلاق السيئة.

٤- الجزاء والعقاب في القرآن الكريم واضح ومباشر لكل خلق ،ونلاحظ قوة الإشارة إلى العقاب والجزاء الأخروي وهذا ما لا نجده في العهد القديم.

٥- تناقض نصوص العهد القديم بعضها مع بعض ،فتارة تدعو إلى مكارم الأخلاق وتارة نرى تناقض ذلك،وهذا يدل على أن يد التحريف قد نالت العهد القديم ،بينما لا نجد ذلك في القرآن الكريم لأن الله تكفل بحفظه.

الباحثة

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة:

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على نبيه الأمين، وبعد:

فقد انزل الله سبحانه وتعالى كتابه العزيز على نبيه محمد- صلى الله عليه و سلم - ليكون هاديا للبشرية ونذيرا لهم ، يحمل في آياته العطرة الطريق القويم لمن أراد أن يسير بأحكام ربانية وأخلاق سوية.

فموضوع الأخلاق وجد منذ أن خلق الله سبحانه و تعالى البشرية، وجاء بها أصحاب الرسالات السماوية كلها، كونها من مشرع واحد ورسالة واحدة. و

قد انشغل الفلاسفة والمفكرون منذ أقدم العصور في البحث عن هذا الموضوع، وإذا نظرنا إلى التاريخ البشري، يظهر لنا جليا أن الكتب السماوية المقدسة السابقة للقرآن- كالتوراة والإنجيل- لا تخلو من حديث عن الأخلاق، والإشارة إليها في كثير من صفحاته.

ولأهمية موضوع الأخلاق في الكتب السماوية جاء هذا البحث بعنوان:"القيم الأخلاقية الفردية بين العهد القديم والقرآن الكريم - دراسة مقارنة" محاولة للكشف عن أوجه التشابه والاختلاف بين القرآن الكريم والعهد القديم، من خلال المقارنات بين النصوص فيها.

١- المشكلة التي تعالجها الدراسة وأهدافها وأهميتها:

إن من دوافع كتابة هذا الموضوع هو الكشف عن الأخلاق التي ذكرت في القرآن الكريم، التي تعمل على إصلاح الفرد، والأسرة، والمجتمع، وتلك الأخلاق التي وردت في العهد القديم وبيان أثرها على الفرد والأسرة والمجتمع وسأبحث ما تدعوا إليه كتبهم واعتقاداتهم في هذا المجال، وفي هذه الدراسة دعوة للتأمل بما أشرقت به شريعة الإسلام في القرآن الكريم، إذ تنبهت للأخلاق وأنزلتها المنزل اللائق بها، فتبرز إعجاز القرآن واهتمام التشريع الإلهي في مجال الأخلاق، وبذلك تطرد دعوى الأعداء بأن الإسلام دين الإرهاب، لتوضح أن الإسلام أساس الأخلاق وأصلها منذ أن بعث الله محمداً – صلى الله عليه وسلم -.

وتختص هذه الدراسة بالعهد القديم، لأنه كتاب تشريعي يهودي ونصراني معاً، يعج بألوان العبادات الأصلية من الرسالات الصحيحة، قبل أن يطرأ عليهما التحريف والتعديل، ولهذا لا بد من دراسة نصوص العهد القديم لتميز الخبيث من الطيب.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وهنا تبرز أهمية بيان هيمنة القرآن الكريم في تقرير قواعد أصول الأخلاق وتحقيقها، وبيان هزل العهد القديم في هذا المجال، من خلال نصوصها المتناقضة وتحليلها منطقياً وعلمياً.

وكذلك جاءت هذه الدراسة للكشف عن أبرز الجوانب من سماحة الإسلام، وهدايته بهدي القرآن الكريم، وتبين أهداف القرآن الكريم في تقرير الأخلاق التي تقرر بعض الأحكام الشرعية التي تقوم عليهما مصلحة العباد.

٢- أدبيات الموضوع:

مما لا شك فيه أن موضوع الأخلاق قد بحث في العديد من الدراسات، وهناك الكثير من الكتب التي تناولت موضوع الأخلاق عند مختلف الأمم أو الأديان، لكن تلك الدراسات كانت تتناول هذا الموضوع من ناحية قانونية، أو فقهية، أو حديثية، أو فلسفية، ولم يتناول هذا الموضوع بالدراسة المقارنة بين القرآن والعهد القديم في دراسة مستقلة منفردة، ومن الأمثلة على ذلك: كتاب دستور الأخلاق في القرآن الكريم ،مؤلفه الدكتور محمد عبد الله دراز، وهو كتاب يتحدث عن الأخلاق من حيث: الإلزام والمسؤولية،والجزاء والعقاب عليها، وهو يتحدث عنها في جانب القرآن الكريم فقط.

٣- إشكاليات الموضوع:

تتمثل إشكاليات الموضوع بما يلي:

١. هل يتفق القرآن الكريم والعهد القديم في تحديد مفهوم الأخلاق الفردية أم يختلفان فيه؟
٢. هل القرآن الكريم يدعو إلى الأخلاق الفردية؟
٣. هل العهد القديم يدعو إلى الأخلاق الفردية؟
٤. إذا ورد في كتاب العهد القديم نص أو نصوص تتعلق بالأخلاق الفردية هل هي شاملة للإنسان أم المؤمنين به؟
٥. ما مدى التزام العهد القديم بالأخلاق الفردية التي ذكرت؟
٦. ما الفرق بين الشريعة الإسلامية في القرآن الكريم والشريعة التوراتية في العهد القديم في القيم الأخلاقية الفردية بشكل عام؟

٤- منهجية الدراسة:

أما عن المنهج الذي سأسير عليه فهو كما يلي:

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

١. المنهج الاستقرائي: في تتبع الآيات القرآنية ونصوص العهد القديم، التي لها صلة بموضوع الدراسة، من خلال الرجوع إلى نسخه الكتاب المقدس البروتستانتية المعتمدة لدى اليهود والنصارى البروتستانت، أي كتب العهد القديم والعهد الجديد المترجمة عن اللغات الأصلية ،دار الكتاب المقدس في العالم العربي.

٢. المنهج الاستنباطي: سأقوم باستنباط الآيات الواردة في القرآن الكريم، والعهد القديم وملاحظة مواطن تميز القرآن الكريم عن العهد القديم وافتراقه عنه.

٣. المنهج التحليلي: دراسة ما جمعت من النصوص الدينية، وتفسيراتها ،وشروحها المختلفة للوصول إلى المقصد.

٤. المنهج المقارن: وذلك بمقارنة هذه النصوص وإثبات نقاط الاتفاق والاختلاف في وجهات النظر، ومقارنتها للوصول إلى المعالم المتعلقة بموضوع الدراسة.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الفصـــــــــل التمهيـــــدي: مصطلحات البحث

المبحـــــث الأول : التعـــــريف بالقـــــرآن الكـــــريم

المبحـــــث الثانـــي: التعـــــريف بالعهـــــد القـــــديم

المبحـــــث الثالـــث: مفهـــــــوم الأخـــــــــلاق

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

المبحث الأول: التعريف بالقرآن الكريم

المطلب الأول: القرآن الكريم لغة

المطلب الثاني: القرآن الكريم اصطلاحاً

المطلب الثالث: أسماء القرآن الكريم

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

المطلب الأول:القرآن الكريم لغة:

تعددت آراء العلماء والباحثين في الأصل اللغوي لكلمة القرآن، فجاءت على وجهين:

رأى بعض علماء اللغة أن لفظ القرآن لفظ مهموز على وزن فعلان، نحو: شكر شكران، ورجح رجحان. فهو مهموز اللام من قرأ يقرأ قراءة، وقرآناً[١]

١. ورأى الشافعي - رحمه الله – بأن لفظ القرآن ليس مشتقاً ولا مهموزا، بل أنه وضع علماً على الكلام المنزل على النبي - ﷺ - وحجته في ذلك أنه لو كان مهموزاً ومشتقاً من قرأ لكان كل ما قرأ قرأناً، ولكنه اسم للقرآن مثل: التوراة والإنجيل[٢].

المطلب الثاني: التعريف بالقرآن الكريم إصطلاحاً.

القرآن الكريم اصطلاحاً بأنه: " كلام الله المعجز المنزل على سيدنا محمد- ﷺ - بواسطة الأمين جبريل - عليه السلام - المكتوب في المصاحف المنقول إلينا بالتواتر المتعبد بتلاوته المبدوء بالفاتحة المختتم بسورة الناس"[٣].

المطلب الثالث: أسماء القرآن الكريم:

وردت أسماء متعددة للقرآن الكريم فقد سماه الله تعالى بـ:

١. القرآن: " إِنَّ هَـذا القُرْآنَ يِهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقوَمُ "[٤].
٢. الفرقان: قال تعالى:" تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَى عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا"[٥])
٣. الكتاب: قال تعالى:" أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنسَوْنَ أَنفُسَكُمْ وَأَنتُمْ تَتْلُونَ الْكِتَابَ أَفَلا تَعْقِلُونَ"[٦]).
٤. الذكر: قال تعالى:" بِالْبَيِّنَاتِ وَالزُّبُرِ وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ"(٧)
٥. التنزيل: قال تعالى:" لا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِن بَيْنِ يَدَيْهِ وَلا مِنْ خَلْفِهِ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ"(٨).

---

(١) محمد بن منظور، ت (٧١١ هـ): **لسان العرب**، مادة قرأ.
(٢) السيوطي: **الإتقان في علوم القرآن**، ص٨٣، وينظر إسماعيل احمد الطحان، **دراسات حول القرآن الكريم**، ط٢، مكتبة الفلاح، الكويت ١٩٨٨، ص١٢.
(٣) صبحي الصالح: **مباحث في علوم القرآن**. ص٢١، وينظر محمد علي الصابون: **مباحث في علوم القرآن**. دار القلم بيروت دط، ص ٦. وينظر الزرقاني: مناهل العرفان. ج٢، ص ١.
(٤) الإسراء: آية ٩.
(٥) الفرقان، ١.
(٦) البقرة، ٤٤.
(٧) النحل، ٤٤
(٨) فصلت، ٤٢.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

المبحث الثاني: التعريف بالعهد القديم

المطلب الأول: تعريف العهد القديم لغة واصطلاحاً

المطلب الثاني: نُسخ العهد القديم وأسفاره

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

المطلب الأول : تعريف العهد القديم لغة واصطلاحاً :

- أولاً : العهد القديم لغة:

العهد:عَهد: عهداً أي: أوصى[١] : قال الله تعالى :" وَأَوْفوا بالْعَهْدِ إنَّ العَهْدَ كانَ مَسْؤُولا"[٢].

وعَهد: اتفق ، واتفاقاً في شكل ميثاق، يعقد بين طرفين، بناءً على رضاهما[٣] .

والقديم من : القِدَم: العِتق مصدر القديم وهو نقيض الحدوث[٤] .

- ثانياً: العهد القديم اصطلاحاً:

- العهد القديم ويضم التوراة وملحقاتها ،أي جميع الأسفار المنسوبة للأنبياء اللذين قبل عيسى - عليه السلام- وأولها سفر التكوين،واختلف في عددها، وقد استخدمت كلمة العهد في التوراة بمعنى الوعد الصادق من الله للإنسان.

ويتألف العهد القديم من تسعة وثلاثين سفراً. وهي:

التكوين، والخروج، واللاويين، والعدد، والتثنية، ويشوع، والقضاة، وراعوث، وصموئيل الأول، وصموئيل الثاني، والملوك الأول، والملوك الثاني، وأخبار الأيام الأول، وأخبار الأيام الثاني، وعزرا، ونحيما، واستير، وأيوب، والمزامير، والأمثال، والجامعة، ونشيد الأنشاد، واشعيا، وارميا، ومراثي أرميا، وحزقيال، ودانيال، وهوشع، ويوئيل، وعاموس، وعوبيديا، ويونان، وميخا، وناحوم، وحبقوق، وصيفنيا، وحجي، وزكريا، وملاخي[٥] .

المطلب الثاني:

نسخ العهد القديم وأسفاره:

أولاً : نُسخ العهد القديم:

اختلف أحبار اليهود في أسفار العهد القديم فبعضهم أضاف وبعضهم لم يقبل هذه الإضافات وبهذا تكون نُسخ العهد القديم كما يلي:

---

[١] محمد بن منظور، ت (٧١١هـ): **لسان العرب**. مادة عهد.

[٢] الإسراء، ٣٤.

[٣] بطرس عبد الملك، وآخرون، **قاموس الكتاب المقدس**، دار الثقافة، ط١، ص٦٤٣.

[٤] ابن منظور: **لسان العرب**. مادة قدم.

[٥] بطرس عبد الملك وآخرون: **قاموس الكتاب المقدس**. ص ٦٤٣..

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

- أولاً: النسخة السامرية:

وهي النسخة التي يؤمن بها جماعة السامرية فقط، ويدعون أن غيرها محرّفة، بل يقطعون بأن غيرها محرّفة ومبدَّله. وتحتوي أسفار موسى الخمسة وسفر يشوع والقضاة[١] .

- ثانيا : النسخة العبرانية:

وهي النسخة المعتمدة لدى اليهود والبروتستانت، وتتكون من تسعة وثلاثين سفراً وقد كان إجماع النصارى إلى أن النسخة العبرانية هي نسخة محرّفة إلا أن البروتستانت اعتمدتها وقالت بصحتها[٢].

- ثالثاً: النسخة اليونانية :

وفيها تسعة وأربعون سفراً، وهي عبارة عن ترجمة للنسخة العبرية، وهي معتمدة عند النصارى بشكل عام[٣]. يقول الشيخ رحمة الله الهندي أن اليهود كانوا قد أعدموا نسخاً كثيرة للتوراة في المئة السابعة والثامنة قبل الميلاد لأنها كانت تخالف مخالفة كبيرة ما بأيديهم من نسخ[٤]. أما عن النسخة التي بين أيدينا، فهي النسخة العبرانية التي أعدتها جماعة من علماء اليهود في طبريا، من القرن السادس إلى الثاني عشر للميلاد، وقد وضع هؤلاء المعلمون الشكل على الكلمات بواسطة النقط،وعملوا للنص تفسيراً يسمى " الماسورة" أي التقليد الذي يتعلق بكل ما يثبت صحة النص .

ثانياً: أسفار العهد القديم:

هناك كتب أخرى غير العهد القديم مثل التلمود ،والأبوغرفا،وغيرها عند اليهود، ولكن حديثنا يقتصر على العهد القديم فقط ويقسم إلى:

التناك أو التناخ ويشمل على:

١- أسفار التوراة الخمسة، والتي يعتقد اليهود أنها نزلت على موسى – عليه السلام- وهي:

أ_ سفر " التكوين ": والذي يتحدث عن تاريخ العالم منذ خلق السماوات والأرض ،مروراً بقصة آدم وحواء حتى دخول يعقوب وأولاده إلى مصر واستقرارهم فيها[٥].

ب- سفر " الخروج " ويتحدث بالتفصيل عن حياة موسى - عليه السلام - وقيادته لشعب إسرائيل[٦].

---

[١] أبو محمد علي بن أحمد سعيد بن حزم الظاهري، ت ٤٦٥ هـ، **الفصل في الملل والأهواء والنحل**، تحقيق عبد الرحمن عميره، ط١، دار الجيل بيروت ١٩٨٥م، ج١، ص ٢٠٢.

[٢] عبد المنعم الحنفي، **الموسوعة النقدية للفلسفة اليهودية**، طبعة دار الميسرة، بيروت، ١٩٨٠، ص٨٣

[٣] بطرس عبد الملك وآخرون:**قاموس الكتاب المقدس**. ص٧٦٨.

[٤] رحمت الله الهندي: **إظهار الحق**. ج٢، ص ٦٠٩.

[٥] محمد علي الخولي: **التحريف في التوراة**، ط١، ١٩٩٠، ص ٧: وإبراهيم ناصر، **التوراة بين الحقيقة والأسطورة والخيال**، دار الحوار، للنشر، ط١، ٢٠٠٥، ص ١٣.

[٦] زكي شنودة: **المجتمع اليهودي**، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط٢، ص ٢٨٨.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ج- سفر " اللاويين ": ويتحدث عن الأحكام الخاصة بالذبائح والقرابين والطقوس والأعياد والمواسم الدينية المختلفة[١].

د- سفر " العدد ": وفيه الكثير من المعلومات الإحصائية عن القبائل الإسرائيلية ،كما يشتمل على بعض الأحكام المتعلقة بطقوس العبادات،والمعاملات المالية، وغيرها[٢].

هـ- " التثنية " :ويسمى أيضاً سفر الاشتراع، أو تثنية الاشتراع، أي التأكيد على التشريعات، والتعاليم بالإعادة والتكرار[٣].

٢- أسفار الأنبياء:

أ) الأنبياء الأوائل (المتقدمون) وهم:

١- سفر " يوشع ": وينسب إلى يوشع بن نون، والذي كان خادماً لموسى ويتحدث عن شخصيته وكفاءته[٤].

٢- سفر " القضاة ": ولقب القضاة يطلق على رؤساء بني إسرائيل من يشوع إلى صموئيل،ويتناول حياة بعض القضاة الكبار والصغار[٥].

٣- أسفار الملوك:وهي أربعة أسفار: صموئيل الأول، صموئيل الثاني، والملوك الأول ،والملوك الثاني وتتحدث عن سير الملوك الذين حكموا اليهود بني إسرائيل[٦].

ب) الأنبياء المتأخرون وهم:

١- سفر " اشعياء ": وهو أكبر أسفار العهد القديم حجماً، ومن أكثرها إثارة للخلاف حول مؤلف هذا السفر، ويحتوي على عدد من النبوءات المستقبلية[٧].

٢- سفر " أرميا ": ويحتوي على الكثير من الشؤون السياسية والتاريخية، غير المرتبة[٨].

٣- سفر " حزقيال ": ويحتوي على مجموعة نبوءات الأمم الأخرى، كالمؤابيين ،والفلسطينيين وغيرها، ونبوءات حول عودة اليهود بعد سبيهم[٩].

٤- سفر " هوشع ": وينسب إلى هوشع بن بئيري، ويحتوي على نبوءات مستقبلية وحديث عن العقاب والمغفرة[١].

---

[١] عماد علي عبد السميع حسين، **الإسلام واليهودية**، دراسة مقارنة من خلال سفر اللاويين، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ٢٠٠٤، ص ٢٤.
[٢] علي عبد الواحد وافي: **الأسفار القدسية في الأديان السابقة للإسلام**، ص ١٤.
[٣] حسن ظاظا: **الفكر الديني**، دار القلم – دمشق، ط٣، ص ١٦.
[٤] وديروس بارتون، رولاند بترز وآخرون: **التفسير التطبيقي للكتاب المقدس**، ترجمة شركة ماستر ميديا، القاهرة - مصر، ص ١٨.
[٥] أحمد شلبي: **مقارنة الأديان اليهودية**، ص ٤٨٢، النشر، ط.
[٦] أحمد شلبي: **مقارنة الأديان في اليهودية**، ص ٩٥: ديروس بارتون وآخرون: **التفسير التطبيقي للكتاب المقدس**، ص ٤٥٠ – ٦٣٣، ٦٩٦ - ٧٧٢
[٧] صابر طعيمة: **الأسفار المقدسة قبل الإسلام**، عالم الكتب، بيروت، د. ط، ص ٧٩.
[٨] صابر طعيمة: **الأسفار المقدسة قبل الإسلام**، ص ٨.
[٩] بطرس عبد الملك وآخرون: **قاموس الكتاب المقدس**، ص ٣٠٢ – ٣٠٣.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

٥- سفر " عاموس ": ويتنبأ بعقوبات إلهية عن شعوب: غزة، ودمشق، وصور وغيرها وعن غضب الله وعن بعض رؤى عاموس[٢].

٦- سفر " عوبديا ": ويتحدث عن نبوءات عن أرض أدوم وتدميرها وخرابها واستيلاء بني إسرائيل على أرض الكنعانيين وجبل صهيون[٣].

٧- سفر " يونان": وينسب إلى يونان ابن امتّي ويبدو أن هذه الشخصية هي نفسها يونس بن متى - عليه السلام -[٤].

٨- سفر " ميخا ": ويحتوي على نبوءات عن غضب الله وعقوبة للسامره ويهوذا والتحذير من الأنباء الكاذبة[٥].

٩- سفر " ناحوم ": وينسب إلى النبي ناحوم ويتنبأ بحصار نينوى وخرابها وتساقط قلاعها[٦].

١٠- سفر حبقوق: وينسب إلى النبي حبقوق ويرجّح أنه كتب بعد هجوم " نبوخذ نصر " الأول للقدس وهي شكاوى يدفعها النبي حبقوق إلى الله وأجوبة الرب عليها[٧].

١١- سفر صفنيا: ويتحدث عن غضب الله تعالى على أورشليم بسبب مخالفتهم وبشارات بالتوبة والمغفرة[٨].

١٢- سفر حجي: يتحدث عن شروع الحسس اليهود ببناء الهيكل[٩].

١٣- سفر زكريا: يتحدث عن الرؤى التي رآها زكريا ووعيد هلاك عدة مدن[١٠].

١٤- سفر ملاخي: وهو سفر قصير جداً فيه تأكيد لما جاء في سفري زكريا وحجي[١١].

٣- أسفار الكتابات " الكتب " وهي:

أ) الكتب اللفظية وهي:

١- سفر المزامير: وتشمل على مجموعة من الأغاني الشعرية، وعلى مقطوعات من الشعر الغنائي[١].

٢- سفر الأمثال: يحتوي على بعض الأمثال الشعرية التي تنسب إلى سليمان وإلى حكم عامة[٢].

٣- سفر أيوب: ويتحدث عن مرض أيوب ومحنته التي قاساها[٣].

---

[١] بطرس عبد الملك وآخرون: **قاموس الكتاب المقدس**، ص ٣٠٢ – ٣٠٣.
[٢] صابر طعيمة: **التراث الإسرائيلي في العهد القديم وموقف القرآن منه**، دار الجيل، بيروت، ط، ١٩٧٩، ص ٢٢٨.
[٣] بطرس عبد الملك وآخرون: **قاموس الكتاب المقدس**، ص ٦٤٤.
[٤] سفر يونان: **أصحاح١** (١ – ٤).
[٥] صابر طعيمة: **التراث الإسرائيلي**، ص ٢٤٠.
[٦] بطرس عبد الملك وآخرون: **قاموس الكتاب المقدس**، ص ٩٤٤.
[٧] صابر طعيمة: **التراث الإسرائيلي**، ص ٢٤٩.
[٨] صابر طعيمة: **الاسفار المقدسة قبل الإسلام**، ص ٨٣.
[٩] صابر طعيمة: **التراث الاسرائيلي**، ص ٢٥٦.
[١٠] بطرس عبد الملك وآخرون: **قاموس الكتاب المقدس**، ص ٤٢٨.
[١١] صابر طعيمة: **الاسفار المقدسة قبل الإسلام**، ص ٨٤.
[١] محمد علي الخولي: **الخريف في التوراة**، ص ١٦٣.
[٢] أحمد شلبي: **مقارنة الأديان**، ص ٢٢١.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ب) المجلات الخمس وهي:

١- سفر نشيد الإنشاد: وهذا السفر عبارة عن موضوع غرامي وغزل صريح مكشوف[٤].

٢- سفر المراثي: ويحتوي على شؤون السياسة والتاريخ[٥].

٣- سفر الجامعة: سند شعري ينسب إلى سليمان - عليه السلام -[٦] .

٤- سفر أستير: ويتحدث عن دور المرأة اليهودية " أستير " التي خدمت بني إسرائيل[٧].

٥- سفر راعوث: يتكلم عن الملك داود وراعوث هي أم جدّ داود[٨].

ج) الكتب وهي:

١- سفر دانيال: يقدم نبذة تاريخية عن مرحلة السبي، وبعض الأحداث التي جرت بين دانيال والملك " نبوخذ نصر "[٩].

٢- سفر عزرا: ينسب إلى عزراء الكاهن ويتحدث في معظمه عن المباحثات التي جرت بين قصر إمبراطور الفرس وأعداء اليهود وحول بناء الهيكل[١٠].

٣- سفر نحيميا: نبحث عن حياة نحيما الكاهن وعودته إلى أورشليم ودوره في إعادة بناء سور المدينة وإصلاحاته الدينية والاجتماعية[١١].

٤- سفر أخبار الأيام الأولى.

٥- سفر أخبار الأيام الثاني

يحتوي هذان السفران حديثاً مكرراً سبق ذكره في الأسفار الخمسة وأسفار الملوك[١٢].

---

[٣] اسبينوزا، **رسالة في السياسة واللاهوت**، ترجمة حسن حنفي، ط١، ٢٠٠٥، دار التنوير للطباعة والنشر بيروت ص ٤٠٣.
[٤] بطرس عبد الملك وآخرون: **قاموس الكتاب المقدس**، ص ٩٧٠.
[٥] صابر طعيمة: **الاسفار المقدسة قبل الإسلام**، ص ٨.
[٦] بطرس عبد الملك وآخرون: **قاموس الكتاب المقدس**، ص ٩٧٠.
[٧] أحمد شلبي، **مقارنة الأديان اليهودية**، ص ٢١٧.
[٨] ديروس بارتون وأخرون: **التفسير النطقي للكتاب المقدس**، ص ٤٧٢.
[٩] صابر طعيمة، **الأسفار المقدسة قبل الإسلام**، ص ٨٢.
[١٠] بطرس عبد الملك وأخرون، **قاموس الكتاب المقدس**، ص ٦٢٢: احمد شلبي: **مقارنة الأديان**، ص ٢١٦.
[١١] إبراهيم ناصر: **التوراة بين الحقيقة والأسطورة والخيال**، ط١، دار الحوار للنشر والتوزيع، ٢٠٠٥، سوريا.
[١٢] اسبينوزا، **رسالة في اللاهوت والسياسة**، ص ٢٩٧.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

المبحث الثالث: مفهوم الأخلاق

المطلب الأول: تعريف الأخلاق لغة واصطلاحاً

المطلب الثاني: الأخلاق في علم النفس وعلم الاجتماع

المطلب الثالث: أهمية الأخلاق في المجتمع الإنساني

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ـ المطلب الأول: الأخلاق لغة واصطلاحاً

- أولاً: الأخلاق لغة:

الخُلق والخُلق: السَّجيَّة، يقال: خالق المؤمن، وخالِق الفاجر. وفي الحديث: ليس شيء في الميزان أثقل من حُسن الخُلق، والخُلق بضم اللام وسكونها، هو الدِّين والطبْع والسجية[١]. وعند الجوهري: الخُلق والخُلق: السجيّة والجمع الأخلاق[٢].

- ثانياً: الأخلاق اصطلاحاً:

يمكن حصر الاستخدامات المختلفة لكلمة الأخلاق في ثلاث معانٍ رئيسية وهي: الأولى: طريقة أو أسلوب معين في الحياة. والثانية قد تعني مجموعة معينة من قواعد السلوك. والثالثة قد تعني البحث في طرق السلوك وقواعده[٣].

أما عند الباحث وليام ليلى: يمكن تعريف علم الأخلاق بأنه العلم المعياري لسلوك الكائنات البشرية التي تحيا في المجتمعات ،وأنه العلم الذي يحكم على مثل هذا السلوك بالصواب والخطأ، بالصلاح أو بالطلاح[٤].

عند ابن مسكوية: فإن علم الأخلاق: " علم بأصول يعرف به حال النفس من حيث ماهيتها، وطبيعتها،وعلة وجودها ،وفائدتها، وما هي وظيفتها التي تؤديها،وما الفائدة من وجودها، وعن سجاياها، وما ينقلها بسبب التعليم عن الحالة الفطرية "[٥].

وذهب أبو العينين إلى تعريف الأخلاق: على أنها سلوك فقال: " إن الخلق سلوك الإنسان – كفرد وكجماعة – سلوكاً يميز فيه بين الخير والشر، فيحب الخير ويختاره، ويعمل على تنفيذه ويمقت الشر ويعافه "[٦].

أما عند الإمام الغزالي: " فإن الأخلاق عبارة عن هيئة في النفس راسخة عنها تصدر الأفعال بسهولة ويسر من غير حاجة إلى فكر وروية، فإن كانت الهيئة بحيث تصدر عنها الأفعال الجميلة والمحمودة عقلاً وشرعاً سميت تلك الهيئة خلقاً حسناً، وإن كان الصادر الأفعال القبيحة سميت الهيئة التي هي المصدر خلقاً سيئاً "[٧].

ويستخدم مصطلح (Morality) ومصطلح (Ethical) ليدل على مفهوم الأخلاق عند الغرب فالأخلاق عندهم هي:

---

[١] ابن منظور: **لسان العرب**. مادة خلق.
[٢] اسماعيل حمّاد الجوهري: **الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية**. مادة خلق.
[٣] إمام عبد الفتاح إمام: **فلسفة الأخلاق**. ط١٩٩١، دار الثقافة للنشر: ص٤.
[٤] وليام ليلى: **الدين والأخلاق**. ترجمة عبد المعطي محمد، دار المعرفة الجامعية، ١٩٨٥، ص ٣٥.
[٥] ابن مسكوية: **تهذيب الأخلاق في التربية**. دار الكتب العلمية – بيروت، ١٩٨١، ص ز.
[٦] علي خليل أبو العينين: **فلسفة التربية الإسلامية**. في القرآن الكريم، ط٢، ١٩٨٥، دار الفكر العربي، ص ١٨٦.
[٧] أبو حامد الغزالي: **إحياء علوم الدين**. مكتبة ومطبعة المشهد الحسيني، القاهرة، ١٩٦١م، ج٣، ص٥٣.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

is the belief that some behaviors right and acceptable and that other behaviors is wrong and its system of principles and values concerning peoples behavior which is generally accepted by a society or by a particular group of people.[1]

وتعني الاعتقاد بأن بعض السلوكات صحيحة ومفيد له، وأن سلوكات أخرى تعتبر خاطئة، وأيضاً هي نظام للمبادئ والقيم التي تتعلق بسلوك الناس وتصرفاتهم التي تعتبر بشكل عام مقبولة من قبل المجتمع ومجموعة معينة من الناس.

واستخدم هيجل مصطلح (Moralitat) لتعني الأخلاق الفردية وخصوصاً كما يتصورها كانط[٢].

[1] John A.Selble. And Lous H. Cray, Encyclopedia of Religion and Ethics, volume (v), page 408. And (www.seslisozluk.com, En.wikipedia.org/wiki/ethics).
[2] Michael in wood: Agege1, Dictionary, Black well, page 44; 1997.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

المطلب الثاني: الأخلاق في علم النفس وعلم الاجتماع:

- **أولاً: الأخلاق في علم النفس:**

المقصود بعلم النفس (علم يعنى بسلوك الكائن الآدمي في شتى مجالات نشاطه)[١]

يرى بعض علماء النفس أن شخصية الإنسان تتألف من سمات نفسية عامة ثابتة لا تتغير، لاصقة بالفرد لا تفارقه، وهي استعدادات عامة مستقلة عن المواقف الخارجية.

فالشخص الأمين :و أمين في أي موقف يصادفه سواء في البيت ،أو في العمل ،أو مع أصدقائه، أو في أي موقف يصادفه. ونلاحظ على هذا الاتجاه النفسي أنه يعزل الأخلاق عن البيئة، ويردها إلى داخل النفس الإنسانية ،ولا يربطها بما حول الإنسان من زمان ومكان ومؤثرات، وإذا جرينا على هذه النظرة فإننا سنلقي جانب الاكتساب في الأخلاق، ونرد الأخلاق إلى الفطرة وحدها، وهذا يؤول بالأخلاق إلى سمات ذاتية فردية، وهو اتجاه لا يخفى ما به من جمود واختزال لمهمة الأخلاق وطبيعتها. وهذا الاتجاه - وهو يعبر عن نظرة نفسية - يتعارض مع مقررات علم النفس ذاته، الذي يربط بين الإنسان والموقف الذي يكون فيه، ففي تعريف علم النفس للغريزة الإنسانية: نجد أن الغريزة عند الإنسان هي ما لديه من استعدادات نفسية تدفعه للقيام بسلوك ،ذا ما أدرك نفسه في موقف أو مجال معين[٢].

كما تعرّف الحاجات وهي منحى آخر في تفسير تصرفات الإنسان بأنها حالة من النقص والافتقار،يصاحبها نوع من التوتر والضيق، لا يلبث أن يزول عندما تلبى الحاجة[٣]. وهذه الحاجة منها ما هو داخلي، ومنها ما هو خارجي كالحاجة إلى تقدير الآخرين[٤] بل إننا نجد الأثر الخارجي للمواقف والظروف في مصطلح نفسي أكثر فردية وهو (السمات) حيث تعرف السمة في علم النفس: بأنها استعداد دينامكي أو ميل ثابت نسبياً إلى نوع معين من السلوك يبدو أثره في عدد كبير من المواقف المختلفة. فعلم النفس لا ينكر دور المؤثرات الخارجية كالبيئة والمواقف المختلفة في التأثير في السمات العامة للإنسان وحاجاته وغرائزه.

وعلم النفس وإن كان يرفض الربط الآلي بين الأخلاق والمؤثرات الاجتماعية ربطاً آلياً، إلا أنه لا يعزلها تماماً عن المجتمع، فهو مجال تفاعلها وفضائها الرحب الذي تبرز فيه هذه الأخلاق وتتفاعل وتكتسب[٥].

---

[١] محمود البستاني، دراسات في علم النفس الإسلامي، دار البلاغة بيروت، ط٢، ١٩٩١م، ص٧.
[٢] عبد العزيز القوصي: **أساس الصحة النفسية**. ط٥ القاهرة، مكتبة النهضة المصرية، ص ٧٩.
[٣] عبد الله الرشدان وزميله: **المدخل إلى التربية والتعليم**. ط٤، دار الشروق – عمان، ص ٢٧٢.
[٤] جورج شهلاء وآخرون: **الوعي التربوي ومستقبل البلاد العربية**. بيروت ، ١٩٧٢: ص ٨٤.
[٥] المرجع السابق، ص ٨٤.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ثانياً:الأخلاق في علم الاجتماع:

تحتل الأخلاق مكانة كبرى في علم الاجتماع وإذا تعددت أفكار علماء الاجتماع واتجاهاتهم، فإن نظرتهم إلى أهمية الأخلاق في البُنى الاجتماعية هي مجال اتفاق، فعلم الاجتماع يتصدى للأخلاق ومهمتها الاجتماعية، بل إن بعض المذاهب الأخلاقية التي نشأت في الغرب تنظر للأخلاق على أنها تتويج لعلم الاجتماع[١].

وقد برز علماء الاجتماع الفرنسيين في ربط الأخلاق بعلم الاجتماع،وكان من أوائلهم " ليفي بروهل " الذي رأى أنه لا يمكن تصور الإخلاص إلا كعلم السلوك الذي يلمس، ويصنف ويقارن، بشكل موضوعي المؤسسات الأخلاقية الاجتماعية، ولكن هذا العلم يستطيع، خلق أو إلغاء اتجاهات اجتماعية ضمن نطاق جماعة معينة[٢].فالأخلاق إذا بحسب رؤية بروهل مقارنة، وعملية، وصانعة للاتجاهات الوطنية المرغوبة.

وأما " دور كهايم " فيركز على أن الأخلاق هي انعكاس ضروري للجماعة التي انبثقت عنها هذه الأخلاق. كما يركز على أن منبع القيم الأخلاقية هي الضمير الجماعي الذي يشكل للفرد المثل الأعلى، وروحاً جماعياً يحس بها بشكل جماعي، كشعور داخلي عميق بالواجب[٣].

وربما ترد ملاحظات هنا عن نظرتين سابقتين لعالمين من أهم علماء الاجتماع في العصر الحديث، حيث جعل الأول الأخلاق سلوكاً مما يغفل الأخلاق الباطنة التي لا تشكل سلوكاً ظاهراً كالإخلاص. وأما " دوركهايم " فقد ألقى المستوى الفردي للأخلاق وجعله معطىً ثانوياً يتمثل في حصره لمستوى الانفعال والتأثر بالضمير الجماعي ،وقد ركزت هنا على مقولات " دوركهايم " وتلميذه " بروهل " - الذي يمثل امتداداً وإضافة لأستاذه – لأن " دوركهايم" هو صاحب النداء بضرورة ابتناء الأخلاق على التفكير العلمي بدلاً من اتيانها على التفكير الخيالي.

ومن العلماء الغربيين الذين ربطوا بين الأخلاق والمجتمع بشكل وثيق عالم الاجتماع " برجستون "، فهو يرى أن الأخلاق من حيث إلزامها ترجح في أهم مصادرها إلى قوة الضغط الاجتماعي ويشبه المجتمع بكائن حيوي تتحد خلاياه بوشائج قوية بحيث تخضع كل خلية لنظام قد يتطلب منها التضحية في سبيل صالح المجموع، بل إنه يعبر عن هذا الربط بشكل أوضح حيث يجعل من الحياة الاجتماعية عبارة عن مجموعة من العادات المتأصلة في نفوس الأفراد لتلبية حاجات الجماعة[٤].

---

[١] فرانسوا غريغوار: **المذاهب الأخلاقية الكبرى**. ترجمة قتيبة المعروفي، منشورات عويدات، بيروت – باريس، ص ١٠٩.
[٢] المرجع السابق، ص ١٠٩.
[3] نفسه، ص ١١١.
[4] هنري برجسون، **منبعا الأخلاق والدين**، تعريب سامي الدروبي وعبد الله عبد الدائم، دار العلم للملايين، ط٢، ١٩٨٤، ص ١٠٧.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وهو يمثل لفكرته بالمجرم الذي شعر بوخز الضمير والندم، ويتساءل عن سبب هذا الندم من الجرم، ثم يميل إلى أن هذا الندم، يرجع في معظمه إلى الخوف من العقوبة بدليل أن المجرم يحتاط ويبرر وسائل جريمته بدقة متناهية، حتى يخفي معالمها إلى جانب شعوره الإنساني بفظاعة جرمه[١]، والواقع أن برجسون يحاول الموازنة بين الشعور الذاتي النابع من البنية الأخلاقية عند الإنسان كفرد وبين ضغط المجتمع وأحكامه، وهو بذلك يتجاوز " دوركهايم وبروهل " بإيلائه الاهتمام للبعد الفردي إضافة إلى البعد الاجتماعي كمصادر للالتزام الأخلاقي، وإن كان يغلب الجانب الاجتماعي، ويظهر ذلك بقوله بأن حكم الضمير غالباً ما يكون حكم المجتمع.

ومن الجدير بالذكر أن هذا الربط شبه المطلق بين الأخلاق وعلم الاجتماع والصدور بالأخلاق آلياً عن المجتمع والضغط الاجتماعي، تقابله تماماً نظرة الفيلسوف " كانت "والذي ربط بين الأخلاق والمجتمع بطريقة أخرى تتلخص بقوله: " تصرف دائماً على أساس أنك تستطيع أن تجعل من حكمة تصرفك قانوناً عاماً ".(ومن الأمثلة التطبيقية على كلامه) أنه يجب أن لا تكذب،لأن الكذب يتحول إلى مبدأ عام يفقد الناس ثقتهم ببعضهم "[٢]. " فكانت " يجعل من الفرد مصدراً للأخلاق ،حيث تأخذ مداها الاجتماعي في المجتمع، فأخلاق الفرد هي المؤثر والمجتمع هو مجال التأثير، فهو يصعد بالأخلاق من الفرد إلى المجتمع ولا يهبط بها من المجتمع إلى الفرد كما فعل الآخرون.

وبالرجوع إلى فكرنا الإسلامي،نجد أن علماء الاجتماع المسلمين قد أعطوا الأخلاق أهمية كبرى كما نرى عند مؤسس علم الاجتماع الإمام ابن خلدون، فهو يرى أنه لا تمكن حياة المنفرد من البشر، ولا يتم وجوده فهو محتاج إلى المعاونة بطبعه وهذه المعاونة لا تكون غريزية حيوانية، بل يجب أن تكون منظمة، ينكب فيها الإنسان عن القبيح إلى الحسن[٣]. وهو في سائر مقدمته الشهيرة يسوق الأمثلة على هذه النظرية القائمة على أساس ضرورة التنظيم لعلاقات البشر، وهو يضع المعطيات الأخلاقية كأساس لهذا التنظيم.

وسنستعرض عند بحثنا لمصادر الإلزام الأخلاقي في القرآن الكريم عن توازن هذه المصادر في النظرة القرآنية ودور كل منها في بناء الأخلاق وترسيخها.

---

(1) برجستون: **منبعا الدين والأخلاق**، ص ١٠٧.
(2) المرجع السابق، ص ٤٢.
(3) نفسه، ص ٩٨.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

المطلب الثالث: أهمية الأخلاق في المجتمع الإنساني:

إنَّ أهمية الأخلاق في المجتمعات الإنسانية المختلفة ليست محل اختلاف بين أصحاب النظريات الاجتماعية ،والنفسية، والتربوية، والأخلاقية المختلفة، ولقد كانت القيم الاجتماعية التي تتناول مجموعة القيم الأخلاقية في مستواها الاجتماعي – وما زالت - تشغل المفكرين الذين حاولوا رصد أثر الأخلاق في المجتمع، أو كيف يجب أن يكون هذا الأثر. ولكي نستجلي رصانة النظرة القرآنية وشموليتها وموضوعيتها في النظر إلى موقع الأخلاق في المجتمع الإنساني ، فإنه يجدر إجراء مقارنة موجزة بين الدور الحياتي، الذي تؤديه الأخلاق في المجتمع الإنساني كما يصورها القرآن وبين مرحلتين زمنيتين، وفكريتين مفصليتين: النظرة القرآنية مقارنة بنظرة سابقة وهي نظرة الفلسفة المثالية الأفلاطونية ونظرة لاحقة وهي النظرة الغربية الحديثة " البرجماتية ".

أ) الفلسفة المثالية

ففي الفلسفة المثالية يصور أفلاطون الأخلاق على أنها قوالب جامدة،غير قابلة للتغير ولا يمكن أن تفقد صفتها الإلزامية: والسبب في إعطاء الأخلاق هذه القيمة العلياء لا يعود في رأيه إلى كونها حسنة بذاتها ونبيلة في أهدافها، بل لكونها صدرت عن عظماء خالدين لا يمكن مناقشتهم[١].

ويجب هنا قطع النظر عن أية علاقة توازنية بين هذه القيم ومطالب الحياة ،بل يجب تنزيل الحياة على هذه القيم الثابتة - هذا من جهة - ومن جهة أخرى فإن هذه الأخلاق لا يجوز النظر فيها أهي صحيحة أم لا[٢].

والواقع أن الفلسفة الافلاطونية باستبعادها لمعيار نقد الخلق ذاته قد أدخلت قيماً أخلاقية ليست سديدة ولا صحيحة، ورأت أن على المجتمع أن يتقيد بها اذكر منها على سبيل المثال: استبطان نظرة دُنية (أي دنيئة) إلى قيمة العمل الحرفي والمهني حيث تقع في أسفل السلم القيمي عند أفلاطون، فالحرف والمهن هي وظيفة أصحاب العقول الضعيفة وليست من مهام التربية بل إن ضعفاء العقول هم الذين يذهبون بهذا الاتجاه[٣].

وبذلك نتبيَّن خطأ الذين وصفوا الفلسفة المثالية في مجال القيم بالثبات، وأظن أن الجمود هو الصفة الأكثر دقة هنا.

---

[1] عبد الله الرشدان: **المدخل إلى التربية والتعليم**. ص ٦١.
[٢] المرجع نفسه، ص ٦١.
[٣] المرجع نفسه، ص ٦٥.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ب- الفلسفة البرجماتية:

على النقيض من هذا تأتي الفلسفة الغربية الحديثة " البرجماتية " التي تنعت – خطأ – بالتقدمية، لتخرج الأخلاق من دائرة الدور القيادي في حياة المجتمع، واختزلت جميع محاسن الأخلاق، وثوابت القيم في قيمة واحدة هي النجاح وتحقيق المنفعة، والتي تقوم على أساس إنكار خلود المُثل والقيم والأخلاق، وبما أن هذه الفلسفة أصلاً تنكر ثبات الحقائق، فمن الطبيعي أنها لا تؤمن بوجود قوانين أخلاقية مطلقة.

ولقد كان " شارلز بيرز " - أهم زعماء هذا المذهب الحديث - أول من استعمل كلمة " برجماتية " وهي مشتقة من الكلمة اليونانية (Pragma) ومعناها العمل[١]. وللأخلاق في نظر هذه المدرسة أهميتها الخاصة، لا بالنظر إلى كونها قيم معروفة تشكل إطاراً مرجعياً لسلوك الناس في المجتمع، بل باعتبارها أعرافاً تظهر وتتغير بحسب حركة المجتمع ذاته وتطوره ونموه، بل إنها تتولد من حركة الناس، فكل ما يؤدي إلى تحقيق المنفعة والنجاح في الغايات – والتي غالباً ما تكون مادية – فهو حسن، وعلى هذا فإننا لسنا هنا بإزاء منظومة أخلاقية وقيمية مرجعية.

وأما الإسلام، فكما توسط النظرتين زمنياً فقد توسطهما موضوعية، فالأخلاق تتسم بالثبات لا لأنها صدرت عن أشخاص لا يمكن مناقشتهم، بل لأنها حسنة في ذاتها يمكن أن تشكل قاسماً مشتركاً بسلوك اجتماعي في مجتمع يسعى أفراده إلى التوائم والتفاعل المنظم.

إلا أن الثبات يستدعي المرونة لكي لا يتحول إلى جمود، ولذلك نجد أن خلقاً ما قد يتحرك من موقعه ليحقق المقصد الكلي للأخلاق، ومن أمثلة ذلك في التشريع الإسلامي: إجازة الكذب في مواطن ثلاث وهي: الكذب على العدو في حالة الحرب، ومجاملة الزوجة لحفظ العلاقة الزوجية، وإصلاح ذات البين. فعن أسماء بنت يزيد قالت: قال رسول الله - ﷺ - : (لا يحلُّ الكذب إلا في ثلاث: يحدث الرَّجل امرأته ليرضيها، والكذب في الحرب، والكذب ليصلح بين الناس)[٢].

ونلاحظ هنا أن الكذب لا يستعمل إلا بمدلوله اللفظي المجرد، وهو القول الذي لا يطابق الواقع، ولكنه لا يستتبع ما للكذب من آفات في واقع الناس، ومن الأمثلة التي يمكن استحضارها فهم خالد بن الوليد لخلق الشجاعة، فإذا كانت الشجاعة تعني الإقدام في المواجهة فهي لا تعني التهور لتحقيق الأمجاد الشخصية، وبهذا المعيار قام خالد بن الوليد بعملية الانسحاب الشهيرة في غزوة مؤتة.

---

[١] جورج اف نيلز: **مدخل إلى فلسفة التربية**. ترجمة نظمي لوقا، القاهرة، مكتبة الأنجلو المصرية، ١٩٧١م، ص ١٧

[٢] الترمذي أبو عيسى محمد بن عيسى الترمذي: **الجامع الصحيح** : (٢٠٩-٢٧٩)،باب البر والصلة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم باب ٢٦ ما جاء في إصلاح ذات البين، برقم ٢٠٠٣،دار الفكر ط٣، ١٣٩٨هـ، ١٩٧٨م، ج٣، ص ٢٢٢.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ولنا أن نرى الفارق الكبير بين قيم لا تقدر العمل والحرفة الشريفة وبين البنية الأخلاقية الإسلامية التي تضع العمل الشريف في زاوية العبادة التي تستوجب الأجر، والمثال الذي يتبادر إلى الذهن هنا موقف النبي - ﷺ - من الرجل الذي جاء يشكو الفقر حيث أعطاه قدوماً وأمره بالعمل.

وأهمية علم الاجتماع يتوضح من خلال النقاط التالية:

أولا: تحقيق الكرامة الإنسانية ورقي الإنسان[١] عن مدارج الحيوانات: وذلك أن الأخلاق ميزة إنسانية. ولذلك نجد القرآن الكريم يساوي بين الحيوان وبين الإنسان الذي تنحط به أخلاقه إلى درك يجلعه يقارف الخلق الذميم لقاء منفعة دنيوية، أو هوى نفسي، فالذين خانوا أمانة الرسالة وقبلوا على أنفسهم تبديل كلام الله دون أن يعقلوا ما فيه من عظمة، وعدل، وخير هم كمثل الحمار الذي يحمل أسفاراً، ولا يستفيد منها شيئاً، والذي أراد استعمال آيات الله في طريق الضلال خائن أيضاً، وفاقد للموضوعية والعدالة ومتبع لهواه، يقول تعالى: " فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ الْكَلْبِ إِن تَحْمِلْ عَلَيْهِ يَلْهَثْ أَوْ تَتْرُكْهُ يَلْهَثْ "[٢]. والذي يكذب على نفسه وعلى غيره ويخفي قناعته ويظهر ما لا يقتنع به ويكابر في المحسوس والمعقول، ويرد الحق ولا يستمع إليه هو إنسان كاذب ومزور للحقائق ،ومستكبر، يقول الله تعالى: " وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ لَهُمْ قُلُوبٌ لَا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ آذَانٌ لَا يَسْمَعُونَ بِهَا أُوْلَئِكَ كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُوْلَئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ "[٣] وهذا الفرق الجوهري بين الإنسان والحيوان، وهو في الأخلاق التي هي محل اتفاق بين المدارس الفكرية المختلفة حيث نجد عند أرسطو أن الإنسان حيوان خلق ليعيش في مجتمع وأن من أهدافه أن ينمي الفضيلة في هذا المجتمع[٤].

ثانياً: تحقيق الهدف الأسمى للإنسان المؤمن

وذلك بكسب الأجر والثواب الآخروي والفوز برضى الله تعالى، وهي غاية ينشدها كل ذي دين باختلاف طبيعة الجزاء والمثوبة الآخروية، ففي القرآن نجد للأخلاق أهمية كبرى ودوراً عظيماً إلى جانب العقيدة والتشريع العلمي، فالأخلاق مكون من مكونات الدين الذي يُطالب به المسلم لنيل السعادة الأخروية، وقد بينت الآيات القرآنية ثواب الخلق الحسن تفصيلاً، كما نجد في قوله تعالى: " الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ طُوبَى لَهُمْ وَحُسْنُ مَآبٍ"[١].وسنأتي إن شاء الله بتفصيل حول طبيعة هذا الجزاء الأخروي في مبحث الجزاء والعقاب في الأخلاق.

---

[١] عبد الرحمن حنبكة الميداني، **الأخلاق الإسلامية وأسسها**، دط، دار القلم، ١٣٩٩ هـ، ١٩٧٩م، ص ٣٠. وانظر توفيق يوسف الواعي، **الحضارة الإسلامية مقارنة بالحضارة الغربية**، ص٤٦٨، دار الوفاء للطباعة والنشر.

[٢] الأعراف، ١٧٦.

[٣] الأعراف، أية ١٧٩.

[٤] فرانسوا غريفورا: **المذاهب الأخلاقية الكبرى**. ص ٤٢

[١] الرعد، ٢٩.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ويعنينا هنا أن هذه الغاية كما أنها تكتسب أهمية فردية، فإنها تكتسب أيضاً أهمية اجتماعية، فالمجتمع له أخلاق كلية تشكل شروطاً للفوز بالسعادة الأخروية وتجنب الخُسْر والعذاب كما في قوله تعالى: " وَالْعَصْرِ إِنَّ الإِنسَانَ لَفِي خُسْرٍ إِلا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ "[٢] فالتواصي بالصبر وبالحق مهمة اجتماعية لأنها تكون بين أفراد المجتمع فيما بينهم، ويدل على ذلك الصيغة القرآنية " تواصوا " فالإنسان المؤمن لا يستوصي بالحق والصبر فحسب، بل يوصي غيره، بها ويستقبل الوصية من غيره وكذلك فإن صيغة الجمع تدل على أن الاتجاه نحو هذين الخلقين هو اتجاه جماعي لمجتمع يطلب رضى الله والسعادة الأخروية والنجاة[٣].

ثالثاً: تحقيق الأمن الاجتماعي، وهذا يستدعي سيادة السلام الاجتماعي، وخلو المجتمع من الأمراض النوعية على المستوى الاجتماعي الذي يصبغ المجتمع بصبغة التناحر والبغضاء، ولذلك فقد دعانا القرآن إلى أخذ العبرة ممن قبلنا، فهناك صورة الذين نقضوا الميثاق وتركوا خلق الحفاظ على العهد وقارفوا الخلق الذميم، وهو خلق نقض العهود والمواثيق في أفظع صورة. وهي نقض الميثاق مع الله وكان اتجاههم نحو هذا الخلق الذميم اتجاهاً جماعياً حيث تواطؤا على ذلك وأصبح هذا الميثاق بينهم نسياً منسيّاً، فآل أمرهم إلى انعدام الثقة بينهم وسيادة منطق الكراهية والتناحر والبغضاء يقول تعالى: " وَمِنَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصَارَى أَخَذْنَا مِيثَاقَهُمْ فَنَسُوا حَظًّا مِّمَّا ذُكِّرُوا بِهِ فَأَغْرَيْنَا بَيْنَهُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ"[٤] .

رابعاً: توفير المناخ المناسب لتعزيز الإنتاج وتطور المجتمع نحو الأفضل، وهذا مبني على ما تحققه الأخلاق من أمن وسلام اجتماعيين[٥].

وخلاصة القول: أن المجتمع الأخلاقي هو مجتمع ناجح؛ ويسير نحو تحقيق أهدافه برؤية واضحة وانسجام بين أفراده، بحيث يؤدي كل دوره بما تمليه عليه الأخلاق الصحيحة بالتزام الأخلاق.

---

[٢] العصر، ١ – ٣.
[٣] مقداد يلجن، **علم الأخلاق الإسلامية**، ط٢، دار عالم الكتب، ١٤٢٤ هـ، ٢٠٠٣م، ص ٦٠.
[٤] المائدة، آية ١٤.
[٥] عبد الرحمن حسن حنبكة: **الأخلاق الإسلامية وأسسها**. دار القلم، دمشق – بيروت، ط١، ١٩٧٩م، ج١، ص٩.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الفصل الأول: القيم الأخلاقية الفردية في العهد القديم

المبحث الأول: الإلزام والمسؤولية في الأخلاق الفردية

المبحث الثاني: مظاهر وصور الأخلاق الفردية

المبحث الثالث: الثواب والعقاب المتعلقة في الأخلاق الفردية

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

المبحث الأول: الإلزام والمسؤولية على الأخلاق الفردية

المطلب الأول: الإلزام

المطلب الثاني: المسؤولية

المطلب الثالث: خصائص الإلزام والمسؤولية في العهد القديم

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

المبحث الأول: الإلزام والمسؤولية على الأخلاق الفردية:

المطلب الأول: الإلزام.

العهد القديم هي الكتب المكتوبة بعد موسى – عليه السلام-، يشتمل على مجموعة من الأوامر والنواهي، ومنها ما يتعلق بالجانب الأخلاقي ،حيث تكثر النصوص التي تحث على الكثير من القيم الأخلاقية، التي تتوجه إلى الفرد اليهودي بصيغة إلزامية، وسنبحث في إلزامية هذه الأخلاق من حيث:

مصادر الإلزام الأخلاقي في الأخلاق الفردية وتقسم هذه المصادر إلى:

أ. مصدر الإلزام من حيث الجهة الآمرة.

ب. مصدر الإلزام من حيث رقابة المجتمع.

أ- مصدر الإلزام من حيث الجهة الآمرة:

ليس العهد القديم كتاباً واحداً نزل على فترات متتابعة، ولا يعتقد اليهود بذلك بل يعتقدون بأنه كتاب كَتَبَ أجزاءه في فترات تاريخية متتابعة بشر، إلاّ أن هذه الكتب جميعها إلهامية أي أن الله – تعالى – ألهم من كتب شيئاً من هذه الكتب جميعها ما يكتب، وهذا يعني أن نفيهم لمبدأ التنزيل الحرفي للنص لا ينفي اعتقادهم بالوحي عموماً أو ما يسمونه الإلهام[١].

وباعتباره نصاً إلهامياً كان العهد القديم كتاباً مقدساً ،يعتبر اليهود أن ما يصدر فيه من أوامر ونواهي وتشريعات هي من الله – تعالى – ، أما بالنسبة للأسفار الخمسة خصوصاً وهي ما يسمونه " التوراة "، فهم يعتقدون بأنها نزلت على موسى في صحراء سيناء[٢]، فأصبحت المرجع القانوني، ولذلك فهي تمثل المكانة الأسمى من التقديس.

وفي الجانب الأخلاقي تعتبر الأسفار الخمسة المرجع الأهم كذلك لاشتمالها على الوصايا العشر، التي تشكل البنية الأخلاقية في العهد القديم، وتشتمل على معظم ما دعى إليه العهد القديم من الأخلاق، كما أنها أيضاً تتصل بالمستوى الفردي اتصالاً وثيقاً، فهي موجهة إلى الفرد بعينه كما أنها تحمل الصيغة الفردية في الخطاب[٣].

---

[١] عبد المسيح بسيط أبو الخير، **الإعلان الإلهي وكيف كلم الله الإنسان**، مطبعة المصريين، ١٩٩٧، القاهرة، ص ١١، وانظر اسبينوزا، **رسالة في اللاهوت والسياسة**، حسن حنفي، ص ٧٣، وانظر محمد أحمد الخطيب: **مقارنة الأديان**، دار المسيرة – عمان، ط١، ٢٠٠٨، ص ٩٢٠.

[٢] **تثنية**، ١٠: ١-٧ عبد الجليل شلبي، **عظماء قادة الأديان**، مؤسسة الخليج العربي، ط١، ١٩٩١م، ص ١٢.

[٣] فتحي محمد الزغبي، **تأثر اليهودية بالأديان الوثنية**، ط١، ١٩٩٤م، دار النشر، مصر، ص ٣٥٦.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

يمكن القول الآن أن الجهة الآمرة بالأخلاق وهي الله – تعالى – تشكل المصدر الأساسي للإلزام كما تعرض نصوص العهد القديم فيقول: " أنا الرب ألهك الذي أخرجك من أرض مصر، من بيت العبودية لا يكون لك ألهة أخرى أمامي "[١].

" الرب إلهكم تتقون، إياه تعبدون، وبه تلتحقون، باسمه تحلفون "[٢].

" الرب إلهكم إله واحد، لا تسيروا وراء ألهة أخرى، من ألهة الأمم التي حولكم لأن الرب ألهكم إله غيور في وسطكم، لئلا يحمي غضب الرب عليكم، فيبيدكم عن وجه الأرض "[٣].

نلاحظ في هذه النصوص الصيغة الآمرة الإلزامية والمرتبطة بالله مباشرة، والملاحظ في الطريقة التي يقدم فيها الإلزام باعتبار المصدر، اللغة التي يمكن وصفها " بالتسلطية " بمعنى أن الخلق في إلزاميته منبثق عن الإله الرب، وهو بذلك لا يعير انتباهاً لدور المتلقي في استيعاب هذا المضمون والتفكير فيه بعقله، فالنص لا يعرض القضية الأخلاقية على العقل، ولا يهتم بتقديم المبررات العقلية، أو الوجدانية لمثل هذه الأخلاق: (الرجل أو المرأة الذي يذهب ويعبد آلهة أخرى ويسجد لها أو للشمس أو للقمر.... يخرج ويرجم بالحجارة حتى يموت)[٤].

" كل إنسان سب أباه أو أمه فإنه يقتل، من سب أباه أو أمه دمه عليه "[٥].

إن سمعتم عن إحدى مدنكم التي يهبها الرب إلهكم لتسكنوا فيها، أن بعض الفاسقين قد خرجوا من بينكم وضللوا سكان مدينتهم قائلين لنذهب ونعبد آلهة أخرى ... فاقضوا على سكان تلك المدينة وعلى بهائمهم واقتلوهم بحد السيف"[٦].

" هذا ما يقوله الرب: من أجل معاصي إسرائيل الثلاث، والأربع لن أردّ عنهم سخطي، لأنهم باعوا الصديق لقاء القضية والبائس مقابل نعلين، الذين يسحقون رأس المسكين في التراب، ويجورون على البائسين، ويعاشر الرجل وابنه امرأة واحدة، فيدنس بذلك اسمي المقدس "[٧].

فالتسلطية واضحة في هذه النصوص، ولعل هذا ينسجم مع طبيعة الاعتقاد بالجبر الذي تنطق به نصوص العهد القديم، فتعطل إرادة الإنسان أمام قدرة الله وإرادته[٨]، فيقول:

" لماذا أضللتنا يا رب عن طريقك، قسيت قلوبنا عن مخافتك "[٩].

---

[١] **خروج**، ٢٠ : ٢- ٤.
[٢] **تثنية**، ٦ : ١٣.
[٣] **تثنية**، ٦ : (١٤ - ١٥).
[٤] **تثنية**، ١٧.
[٥] **لاويين**، ٢٠ : ٩.
[٦] **تثنية**، ١٣ : (١٢ - ١٦).
[٧] **عاموس**، ٢ : (٦ - ٧)، (٣ - ١١).
[٨] ظفر الإسلام خان، **التلمود تاريخه وتعاليمه**، ط١، ١٣٩١ هـ، دار النقاش – بيروت، ص ١١٣، وانظر موفق محادين، **دورة الدين اليهودي**، دار الكنوز الأدبية، بيروت، ١٩٩٧م، ط١، ص ١٩.
[٩] **اشعيا**، ٦٣ : ١٧.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

"أنا هو الرب وليس هناك آخر أنا مبدع النور وخالق الظلمة أنا صانع الخير وخالق الضر أنا هو فاعل كل هذا"[١].

" ما هو كائن هو الذي سيظل كائناً وما صنع هو الذي يظل يصنع ولا شيء جديد تحت الشمس"[٢]

إذاً فبديهيٌّ أن العقل لا يمكن أن يعمل وأن يؤدي دوراً إيجابياً في التلقي والتفاعل، بل أنه يصبح قوة لا يعتد بها أمام سطوة الدين، وباستقراء النصوص الأخلاقية في العهد القديم يمكن وصف الخطاب الأخلاقي بأنه: خطاب تسلطي أو جبري رغم ما نجده في قليل من النصوص من اهتمام بإقناع العقل وتنبيهه إلى معيار الحسن والقبح في الأخلاق، وتقديم تفسير للأمر الأخلاقي يقنع العقل به، ومن ذلك ما جاء في النهي عن الغضب.

" الجواب اللين يبدد الغضب، والكلمة القارحة تهيج السخط "[٤].

فهو يبين الحكمة من النهي عن الغضب بما يقنع العقل وينبه وجدان الفرد إلى أهمية هذا البعد الأخلاقي إلا أنّ هذا قليل جداً إذا قيس إلى جانب الأوامر والنواهي الموجودة في العهد القديم.[٥]

و لعل من أسباب تغييب دور العقل في هذا التفاعل و التلقي هو ازدواجية الخطاب الأخلاقي أحياناً كثيرة و الخلل واضح بين الأمر النظري و الجانب التطبيقي و عدم المطابقة بين الأخلاق النظرية كما ينقلها الأنبياء و بين السلوك العملي، الذي تنسبه نصوص العهد القديم للأنبياء، مما يجعل الأوامر الأخلاقية المبثوثة في زوايا هذا الكتاب لا تخاطب العقل و الذي لابد أن يتحرك ليتساءل عن هذه الفجوة بين النظرية و التطبيق و بين كلام الأنبياء و سلوكهم[٦].

وملحظ آخر نلمحه هنا وهو متعلق بمن يقع عليهم أثر هذا الخطاب، وهم اليهود، إذ إن التوراة توجه في ثنايا خطابها اتهاماً لليهود بضعف البصيرة وانعدام الرأي والعناد وقلة الفهم والجهل كما نرى مثلاً:

---

[١] **اشعيا**، ٤٥ : ٦ - ٨.

[٢] جامعه، ١: ٩-١٥.

[٤] **أمثال**، ١٥ : ١.

[٥] جمال الدين حسين عفيفي، **أسس فلسفة الأخلاق**، ط١، ١٤٥١ هـ - ٩٩٤م، دار الطباعة المحمدية بالأزهر،ص ، وانظر زكي شنودة، **اليهود نشأتهم وعقيدتهم ومجتمعهم**، ط١، ١٩٧٤م، ملتزمة الطبع والنشر، ص ٣٢٠.

[٦] عبد المجيد همو، **مابين موسى وعزرا كيف نشأت اليهودية**، الأوائل، ٢٠٠٣، ط١، وانظر محمد الخطيب، **مقارنة الأديان**، ص ١٦٤

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

" إن قومي حمقى لا يعرفونني هم أبناء أغبياء مجردون من الفهم حاذقون في ارتكاب الشر جهلاء في صنع الخير "[١].

" إن بني إسرائيل أمة غبية، ولا بصيرة فيهم "[٢].

بل لقد وصفهم من الناحية العقلية أنهم في مرتبة أقل من مرتبة الحيوانات فيقول " قل لهذا الشعب اسمعوا سمعاً ولكن لا تفهموا وانظروا نظراً ولكن لا تدركوا"[٣].

فيزول العجب هنا من عدم إعطاء عقل المتلقي فرصته في استيعاب مضامين الخطاب الآمر من خلال المزيد من البيان، والتوضيح، ولذلك فإن الجبر وإغفال مخاطبة العقل على الوجه المعتبر في الخطاب العقلي سمتان تبرزان في طبيعة الإلزام الأخلاقي باعتبار الجهة الآمرة في العهد القديم[٤].

إلاّ أننا ومع هذا الملحظ لطبيعة الإلزام باعتبار الجهة الآمرة ،نؤكد على أن الجهة الآمرة تشكل مصدراً إلزامياً صارماً للفرد ويمكن معه القول أن الأخلاق في العهد القديم ترتكز إلى قوة إلزامية متينة باعتبار الجهة الآمرة.

ب- القوى الإلزامية للأخلاق الفردية باعتبار رقابة المجتمع:

تتعدد النصوص التي تأمر المجتمع بما يشبه الرقابة عن سلوك الفرد الأخلاقي ومن هذه النصوص: في خلق القسوة والقتل وسفك الدماء.

" إذا كان إنسان مبغضاً لصاحبه فيكمن له وقام عليه وضربه ضربة قاتلة فمات ثم هرب إلى إحدى تلك المدن يرسل شيوخ مدينته ويأخذونه من هناك ويدفعونه إلى يد ولي الدم فيموت لا تشفق عينك عليه فتنزع دم بريء من إسرائيل فيكون لك خير "[٥].

في خلق عدم العفة والزنا " وإذا اتخذ رجل امرأة وحين دخل عليها ولم يجد عذرة وثبت يقيناً أنه لا عذرة لها ترجم بالحجارة حتى تموت "[٦].

---

[١] **أرميا**، ٤ : ٢٢.
[٢] **تثنية**، ٣٢: ٢٨.
[٣] **اشعيا**، ٦ : (٨ - ١١).
[٤] عابد توفيق الهاشمي، **التربية في التوراة**، ص ٨٩، وانظر م. ريجسكي، **أنبياء التوراة والنبوات التوراتية**، ترجمة احمد يوسف، دار الينابيع – دمشق، ط١، ١٩٩٣م، ص ٦٥.
[٥] **تثنية**، ١٩ : (١١- ١٣).
[٦] **تثنية**، ٢٢ : (٢٠ - ٢١).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وأما عن خلق السرقة: فقد جاء " إذا سرق إنسان ثوراً أو شاة فذبحه أو باعه يعوض عن الثور بخمسة ثيران وعن الشاة بأربعة من الغنم وإن وجد السارق وهو ينقب فضرب ومات فليس له دم ولكن إذا أشرقت عليه الشمس فله دم إنه يعوض وإن لم يكن له بيع بسرقته، إن وجدت السرقة في يده حية ثوراً كان أو حماراً أو شاة يعوض باثنين "[١].

وفي عقوبة عقوق الوالدين " من ضرب أباه او أمه يقتل قتلاً، كل إنسان سب أباه أو أمه فإنه يقتل "[٢].

فالمجتمع من خلال هذه النصوص يطبق هذه العقوبات ممثلاً بالسلطة الحاكمة.

ونلاحظ على هذه القوة الإلزامية من خلال النصوص الواردة أنها مختصة بما تُكلف به من إيقاع العقوبة على الفرد، كالرجم، أو القتل، أو التعويض، أو غير ذلك.

وليس لهذه القوى الإلزامية دور في توجيه الفرد كما لا يشكل المجتمع بذاته محضناً حقيقياً للأخلاق،بحسب ما تصوره نصوص العهد القديم نفسه، والتي جاء الكثير منها في ذم هذا الواقع الاجتماعي،مصوراً انحراف المجتمع بكليته أو بغالبيته عن القيم الأخلاقية، ومخالفته الصارخة لأمر الرب، وولوغة في الموبقات والفواحش والخطايا والمظالم، فكما ورد في العهد القديم مثلاً في تورط المجتمع كاملاً في القتل أمام مرأى الرب أو علمه " رُجع رجال بني إسرائيل إلى بني بنيامين وضربوهم بحد السيوف من المدينة بأسرها حتى البهائم حتى كل ما وجد وأيضاً جميع المدن التي وجدت أحرقوها بالنار "[٣] فهذه المعركة والقتل إنما كان بين بني إسرائيل أنفسهم.

وأما في الخداع والخيانة فإن الرب يأمر المجتمع " حين تقترب من مدينة لكي تحاربها استدعها إلى الصلح فإن أجابتك إلى الصلح وفتحت لك فكل الشعوب فيها يكون لتسخير ويستعبد لك "[٤]. فبدلاً من أن يسامح ويعفو يطلب منه أن يكون قاسياً معهم وأن يتخذهم عبداً وخدماً .

وأما عن خلق ارتكاب الرذائل والفساد " خذي الرحى واطحني دقيقاً، اعري عارك، اكشفي كتفك، اظهري ساقيك ... "[٥] فالرب يأمر النساء بالتعري وهو ما سبب الفتنة والانحراف في المجتمع وبالتالي يكون غير صالح لزرع الأخلاق الحسنة.

يمكننا بعد هذا الاستعراض القول بأن: المجتمع يكون قوة إلزامية لا باعتباره محضناً للتقويم الأخلاقي والسلوكي، ولا عاملاً من عوامل التربية للفرد بل باعتباره مكلفاً من قبل النصوص بإيقاع عقوبات محدودة على الفرد الذي ينحرف عن معيارية هذه القيم[٦].

---

[١] **خروج**، (٢٢ - ٤).
[٢] **خروج**، ٢١ : (١٥ - ١٧).
[٣] **قضاة**، ٢٠ : ٤٨.
[٤] **تثنية**، ٢٠ : (١٠ -١٥).
[٥] **اشعيا**، ٤٧ : (٢ - ٣).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

المطلب الثاني: المسؤولية:

والمسؤولية هي أهلية الشخص بأن يكون مطالبا| شرعاً بامتثال المأمورات واجتناب المنهيات ومحاسباً عليهما [١]

المسؤولية الخلقية في العهد القديم متضمنة في المسؤولية الدينية بشكل عام، و يمكننا ملاحظة أقسام هذه المسؤولية في مستويات ثلاث ،و هي المسؤولية امام الله، و امام المجتمع، و امام الضمير الفردي، إلا أننا مع ذاك قد لا نلاحظ انخراط هذه المستويات الثلاث ضمن منظومة متوازنة ،تكامل بين هذه الأقسام سواء من حيث الدور و المساحة المفردة لكل مستوى، أو من حيث مدى الجدية في الفاعلية في كل مستوى،فيما يتوخى أن يؤديه في حياة الفرد، الذي عليه تحمل هذه المسؤولية عما يفعل أو يصدر عنه من سلوك أخلاقي، و فيما يلي بيان ذلك من خلال عرض أقسام هذه المسؤولية الخلقية في العهد القديم و هي كما يلي:

أ- المسؤولية الخلقية امام الله:

بالقدر نفسه من هيمنة الجهة الآمرة على مصادر الإلزام تأتي هيمنة هذه الجهة على المسؤولية الخلقية، وغالباً ما يشار إلى هذه المسؤولية من خلال التلويح بالعقوبة، ونتائج الفعل السلبي ،ويمكن أن يأتي هذا في صور متعددة منها الدعوة إلى أخذ العبرة مما وقع من عقوبات إلهية عن الأمم الأخرى.

ومن ذلك قصة الطوفان :الذي أغرق العالم عقوبة لهم لعدم امتثالهم لأوامر الرب[٢] وجاء أيضاً " وطرد من أمامكم سبع أمم أكثر وأعظم منكم هم الحثيون والجرجاشيون والكنعانيون والفريزيون واليبوسيون "[٣].

" فتعرفون أني أنا الرب إلهكم محرركم من أثقال المصريين وأقودكم إلى الأرض التي أقسمت أن أهبها لإبراهيم واسحق ويعقوب لأعطيها لكم أنا هو الرب "[٤].

ومنها بيان العقوبة المترتبة على الفعل، وهذا من شأنه أن يضع الفرد أمام مسؤوليته عن تصرفه الأخلاقي، والمسؤولية هنا تأخذ شكلاً رادعاً، وإن كان يقع في دائرة المبالغة وتجاوز المبادئ العدلية العامة التي هي محل توافق بين التشريعات المختلفة، كالإعلان عن مسؤولية الأبناء عن اختيارات آبائهم وتصرفاتهم كما ورد في سفر خروج أن الإبن يعاقب بجريرة أبيه،

---

[6] محمد خليفة حسن أحمد، **تاريخ الديانة اليهودية**، دار قباء للنشر، ط١، ١٩٩٨، ص ١٨٠.
[١] الجليبي ، المسؤولية الخلقية والجزاء عليها، ص ٧١.
[٢] **تكوين**، ٧: ١٠.
[٣] **تثنية**، ٧ : ١.
[٤] **تكوين**، ١٧: (٧ - ٨)، **خروج**، ٦ : ٧ : ٨.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

افتقد ذنوب الآباء في الأبناء في الجيل الثالث والرابع من مبغضي[٥] ،أما العقوبة المترتبة على الفعل فقال: " وكان عير بكر يهوذا شريراً في عيني الرب فأماته الرب "[٦].

فأشار إلى عقوبة الموت للإنسان الشرير وهو نتاج أعماله وقال " من سب أباه أو أمه يقتل قتلاً "[١] وقال في المسؤولية عن خلق الزنا:

وإذا وجد رجل مضطجع مع إمرأة متزوجة يقتل الاثنان الرجل المضطجع مع المرأة والمرأة "[٢].

والواقع أن المسؤولية الأخلاقية في العهد القديم، رغم أنها تلاحظ بشكل أكبر أمام الله باعتبار أن الرب أصدر الأوامر والنواهي وحدد عقوبتها إلاّ أنها كحلقة في ثلاثية البنية الأخلاقية (الإلزام، المسؤولية، الجزاء) لا تكاد تظهر بوضوح، أي أن المسافة الفاصلة بين إلزام والجزاء،لا تستجلى بسهولة فكثيراً ما نجد الالزام في الأخلاق مرتبطاً مباشرة بنوع الجزاء المترتب على المخالف بلا توقف عند المسؤولية.

وصحيح أن الجزاء لا يكون إلا عن مسؤولية يتحملها الفرد، إلاّ أن صيغة الخطاب في العهد القديم لا تلفت النظر إلى المسؤولية باعتبارها ناتجة عن الإلزام وسبباً في الجزاء، بل قد تغيب المسؤولية الضمنية كذلك والتي تفهم كنتائج طبيعية عن الإلزام فلا يمكن لأحد أن يدرك علاقة الجيل الثالث والرابع، عن اختيارات وتصرفات الجيل الأول وهذا مثال واضح على خروج المسؤولية عن دورها المنطقي كحلقة وسطى بين الإلزام والجزاء.

وهي نتيجة لطبيعة الخطاب التسلطي، كما يلاحظ الدكتور جمال الدين عفيفي في قوله (الإله يعني في التوراة يأمر كقائد حربي ولذلك يجب أن يطاع لأنه الإله القوي الغيور الذي يأخذ بجريرة الآباء أبناءهم وأحفادهم إلى الجيل الرابع "[٣].

ومما يبرز طبيعة مفهوم المسؤولية وطبيعتها متعلق آخر من متعلقاتها، وهو تحمليها للحيوان الذي ليس من شأنه التصرف باختيار مسؤول بمقاييس العدالة الإنسانية ،" إذ نطح ثور رجلاً أو امرأة فمات يرجم الثور ولا يؤكل لحمه وأما صاحب الثور فيكون بريئاً ... وإن نطح الثور عبداً أو أمة يعطي سيده ثلاثين شاقل فضة والثور يرجم ".فرجم الثور جزاء، ولا جزاء إلا بمسؤولية ولا مسؤولية إلاّ بأهلية، فما هي أهلية الحيوان هنا؟ ولماذا تتعلق المسؤولية بالثور ولا تتعلق بغيره من الحيوانات التي قد تأتي بما هو أفضع وأسوأ ؟

---

[٥] **خروج**، ٢٠ : ٦..
[٦] **تكوين**، ٣٨: ٧.
[١] **خروج**، ٢١ : ١٥ .
[٢] **تثنية**، ٢٢ : ٢٢.
[٣] عفيفي، **اسس متعلقة بالأخلاق**، ص ١٥٠.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وفيما يلي مقارنة سريعة يلفت الدكتور حسن الباش[٤] النظر إلى الفرق بين وقوع المسؤولية على جناية الحيوان في العهد القديم ،وبين تلك المسؤولية في الشريعة الإسلامية حيث تقع المسؤولية وحق التعويض على صاحب ،هذه مسؤولية تقع على العاقل حيال ما يملك من حيوانات غير عاقلة يقع عليه واجب عقلها.

ب- المسؤولية أمام المجتمع:

مسؤولية الفرد عن تصرفاته الخلقية أمام المجتمع هي مسؤولية ضيقة جداً حيث لا يتعدى دور المجتمع هنا تنفيذ العقوبات التي رتبتها النصوص باعتبارها صادرة عن الله، فدور المجتمع في المسؤولية مختزلة في السلطة الحاكمة التي توقع هذه العقوبة على الفرد، فبهذا الاعتبار هنالك مسؤولية تقع على الفرد حيال مجتمعه،وهذه تكثر في نصوص العهد القديم لا سيما ونحن أمام نصوص يطغى فيها الجزاء الدنيوي على الجزاء الأخروي،ولهذا فهو يتم بأيدٍ بشرية.

" من ضرب إنساناً فمات يقتل قتلاً ولكن الذي لم يتعمد بل أوقع الله في يده فأنا أجعل لك مكاناً يهرب إليه "[١] فالمجتمع المتمثل بالسلطة الحاكمة هو الذي ينفذ العقوبة بالقتل.

" إذا اتخذ رجل امرأة وأمها فذلك رذيلة، بالنار يحرقونه وإياهما "[٢].

وإذا اتخذ رجل امرأة وادعى أنها ليست بكراً يأخذها أهلها إلى شيوخ المدينة ويختبران عذرتها فيأخذ شيوخ تلك المدينة الرجل ويؤدبونه ويغرمونه بمائة من الفضة وتكون له زوجة لا يقدر أن يطلقها كل أيامه "[٣].

فخلق القذف عليه عقوبة: وهي التأديب والتغريم، يقوم بها ذوو النفوذ والسلطة في المدينة، وهي مسؤولية اجتماعية منوطة بهم.

وكما تضيق مساحة المسؤولية بين الإلزام والجزاء، في المسؤولية أمام الله، فهي تضيق أيضاً في المسؤولية أمام المجتمع، ويمكن هنا ملاحظة هذا الاختزال لحلقة المسؤولية أمام المجتمع من خلال غياب الخطاب الوجداني (بشكل خاص)، والذي يشعر الفرد بأهمية المجتمع الذي يعيش فيه ويعطي المجتمع دوراً تربوياً يمارس من خلاله هذه المسؤولية على تصرفات أفراده ،ولكي أوضح هذه النقطة ألجأ إلى مقارنة سريعة مع طبيعة المسؤولية في القرآن الكريم فيما يخص دور المجتمع ففي قوله تعالى " وتَواصَوا بِالْحَقِّ وتَواصَوا بِالصَّبْرِ "[٤] دور اجتماعي

---

[٤] حسن الباش، **التوراة والقرآن أين يتفقان وأين يفترقان**، دار قتيبة للنشر ، ط٢، ١٤٢٢ هـ، ٢٠٠٠ م، سوريا، ص ٤٠٥.

[1] **خروج**، ٢١ : (١٢ - ١٤).

[2] **لاويين**، ٢٠ : ١٤.

[3] **تثنية**، ٢٢ : (١٣ - ١٩).

[4] العصر: آية ٤.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

يمارسه المجتمع حيال الأفراد الذين يخرجون عن مقتضيات الحق، وهو دورٌ تواصلي وتربوي، وليس دوراً عقابياً.

ومن شأن هذا التواصل بين المجتمع وأفراده أن ينمي في الفرد الإحساس بهذه المسؤولية الاجتماعية، التي تفرض هيبة المجتمع قبل رهبة العقوبة.

ولا أحسب أننا واجدون مثل هذا البعد التربوي الاجتماعي في طبيعة المسؤولية الأخلاقية أمام المجتمع، فيما نستقرءه من نصوص العهد القديم، وهناك ملاحظة أخرى لا بد من الوقوف عندها وهي أن الغاية من إبراز المسؤولية والتأكيد عليها في أي منظومة أخلاقية هو تحريك نوازع الخير لدى الفرد، وإطلاق طاقاته الإيجابية وكبح نوازع الشر[١].

وهذه الغاية من المسؤولية يمكن استجلاءها من القرآن الكريم في مواضع متعددة نختار منها في البعد الاجتماعي: قوله تعالى: " فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ "[٢].

فالخطاب في بعده العام الذي يشمل جميع المؤمنين يضع الفرد أمام المسؤولية الاجتماعية عن تصرفه، وهو قادرٌ على أن يعزز في ذاته لين الخلق والتسامح والرحمة،ليكون مقبولاً اجتماعياً وإيجابي التفاعل مع محيطه الاجتماعي، وهو يشعر هنا بضرورة تقويم تصرفه الأخلاقي بما يترتب عليه من مسؤولية اجتماعية وهنا لا نجد حكماً على الفرد بأنه سيء بالفطرة، أو سلبي بشكل مطلق وعلى هذا الأساس يمكن تقويم سلوكه من خلال المجتمع.

ولكن نظرة العهد القديم إلى الفرد تنطوي على سلبية شديدة فهو شرير بطبيعته، ومخادع وتصوراته شريرة، ولا أمل في إصلاحه، فيقول " حتى متى أغفر لهذه الجماعة الشريرة المتذمرة علي "[٣].

" كيف أعفو عن أعمالك؟ تخلى عني أبناءك وأقسموا بالأوثان وعندما أشبعتهم ارتكبوا الفسق وهرولوا طوائف إلى مواخير الزانيات...ألا أنتقم لنفسي من أمة مثل هذه؟ "[٤].

" وإن قلوب بني البشر مفعمة بالشر وفي حياتهم تمتلئ صدورهم بالحماقة ثم يموتون"[٥].

" لأن أهواء قلب الإنسان شريرة منذ حداثته "[٦].

---

(1) مقداد يلجن، **علم الأخلاق الإسلامية**، ص ٢٥٦، ومحمد عبد الله درّاز، **دستور الأخلاق**، ص ٢٤٢.
(2) آل عمران ، ١٥٩ .
(3) عدد ١٤: (٢٧ - ٢٨).
(4) **أرميا**، ٥ : (٧ -٩).
(5) **جامعة**، ٩ : ٣.
(6) **تكوين**، ٨ : ٢١.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

فإذا كان الإنسان شريراً بطبيعته ومنذ خلق فلا يستطيع المجتمع تقويم شيء هو مجبول عليه وخلقه الله فيه منذ خلقه.

المطلب الثالث: خصائص الإلزام والمسؤولية في العهد القديم:

يتسم الإلزام والمسؤولية في العهد القديم بالخصائص والسمات التالية:

١- يرتكز الإلزام على مصدر متين باعتبار الجهة الآمرة بما تحويه النصوص المتعلقة بالأخلاق من قطعية في الأمر، وتلويح بالجزاء، وتأكيدا دائماً لمصدرية هذا الأمر، والمسؤولية أمامه وهو الله تعالى، فيقول " لأني أن الرب إلهك إله غيور، افتقد ذنوب الآباء في الأبناء في الجيل الثالث والرابع من مبغضي "[١].

٢- القصور في المصادر والقوى الإلزامية التي يرتكز عليها الإلزام، – وكذلك الأمر في اقتصار المسؤولية– حيث يغيب غالباً اعتبار معيار الحسن والقبح في الإلزام والمسؤولية ،ومعيار المسؤولية أمام النفس، كما لا نجد من النصوص ما يكفي للقول بإلزامية ضمير الفرد وحسه الأخلاقي، فقوله " لا تسرق " " لا تزني " " لا تشته بيت قريبك " خطاب فردي إلا إننا لا نجد في نصوص التوراة خطاباً ينبه الضمير إلى هذا الدور الإلزامي بأكثر من صيغة أفعل أولا تفعل.

٣- الجبرية: وهي العقيدة والفكرة المسيطرة على اليهود، ووجود الجبرية يلغي المسؤولية، فالله هو الذي يجبر الإنسان على السلوك الشرير، ولا يقدر أن يسلك طريق الخير، فقوله: " الأعوج لا يمكن أن يقوم ، والنقص لا يمكن أن يجبر "[٢].

وهو أمر يتذرع به اليهود لسلوك الأخلاق السيئة،سواء أكانت جبرية خلقية، أو جبرية ناتجة عن أسلوب التيئيس الذي نلاحظه في النصوص السالفة.

٤- تشويش الصورة فيما يخص الكثير من المفردات الأخلاقية ،بحيث يذمّ الخلق في موضع ويمتدح في موضع آخر، مما يجعل المتلقي أحياناً في حيرة من أمره تجاه الخلق أمراً ونهياً، وخصوصاً مع ما أثبتناه من افتقار الإلزام الأخلاقي هنا إلى معيار الحسن والقبح الذاتيين. بحيث يعين هذا التلقي على الانتقاء وتعرَّف الخلق المأمور به، ولا يقال هنا أن الخلق الحسن واضح ولا شك أنه مقصود الله تعالى لأننا إنما نشخص واقع الحال بالنسبة لطبيعة الإلزام، هذا من ناحية ، ومن ناحية

---

[١] **خروج**، ٢٠ : (٥ - ٦).
[٢] **جامعة**، (١ - ١٥).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

أخرى:فعندما يتعلق الخلق ونقيضه بأمر الله فلا بد أن الصورة ستكون مشوشة والمنظومة الأخلاقية - وإن وجدت- تكون فاقدة لصفائها ووضوحها.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

المبحث الثاني: صور و مظاهر الأخلاق الفردية

- المطلب الأول: الأخلاق الفردية

- المطلب الثاني: الأخلاق الفردية تجاه المجتمع اليهودي

- المطلب الثالث: الأخلاق الفردية تجاه الغير

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

المبحث الثاني: صور ومظاهر الأخلاق الفردية:

إن لكل عقيدة أو ديانة قوانين، وأحكام، وتشريعات دينية تحكمها، كما لها قوانين اقتصادية، واجتماعية، وفي العقيدة اليهودية أوجد العهد القديم الكثير من التعاليم والتشريعات التي تنظم حياة البشرية بين الإنسان وربه، والإنسان ومجتمعه، وبين الإنسان والإنسان.

ومن هذه التشريعات قانون الأخلاق في العهد القديم، والذي احتوى على صياغات لتلك ، يقول د.هوستن سميث:" تتضمن الشريعة التوراتية الصياغة اليهودية لتلك القيود الحكيمة التي تجعل البشر أحراراً فقد وردت ستمائة وثلاث عشر وصية تنظم سلوك الإنسان، طبقاً لأراء أحبار اليهود[١].

ولعل من أكثر الأمور وضوحاً لدى الباحث في موضوع الأخلاق في العهد القديم، التناقض بين الأخلاق التي فرضتها التوراة وبين التطبيق العملي لهذه الأخلاق على أرض الواقع فمثلاً نجد الأمر بخلق العفة،والاحتشام أمام النفس والمجتمع، ثم نجد أن هذا الأمر لا يطبق بل وأن القادة والأنبياء هم الذين يقترفون الأخلاق السيئة كالزنا، بعدما نهي عنه.

إلا أن هذه الأخلاق – سواء الفردية منها أو غيرها – ذات أبعاد ثلاثة: بعد فردي شخصي يتعلق بشخصية الفرد اليهودي وأخلاقه مع نفسه وأمام ربه، وبعد أخلاقي فردي تجاه المجتمع الذي يعيش فيه مع غيره من اليهود، وبعد أخلاقي فردي تجاه غير اليهود، وهذا ما سنراه في بحثنا لهذا الموضوع.

المطلب الأول: الأخلاق الفردية.

وهي أخلاق الفرد التي يتمثل بها أمام ربه، ونفسه من خلال العهد القديم والذي يسن قوانين و تشريعية تحدد لأتباعه ما هو مسموح به،وما هو غير مسموح. وتقسم هذه الأخلاق إلى أخلاق نظرية ايجابية، أو سلبية، وأخلاق عملية طبقها اليهود واتصفوا بها على أرض الواقع[٢].

أ- الأخلاق النظرية في العهد القديم:

١- الاتصاف بالتقوى: وهي من الأخلاق التي حث العهد القديم على الاتصاف بها " فلنسمع ختام الأمر اتق الله، واحفظ وصاياه، لأن هذا هو كل واجب الإنسان "[٣]. يقول مؤلفوا التفسير التطبيقي:" إن الاستقامة في الحياة يلزمها إدراك أن الجهد البشري بدون الله لا جدوى منه، وأن نضع الله أولاً لأنه سيدين نوعية حياة كل شخص"[٤].

---

(1) هوستن سميث، **أديان العالم**، تعريب سعد رستم، دار الحوار، حلب ١٤٢٦هـ، ٢٠٠٥م، ص٣٥٦.
(2) حسن الباش، **القرآن والتوراة أين يتفقان وأين يفترقان**، دار قتيبة للطباع والنشر، ط٢ ١٤٢٢هـ، ٢٠٢م سوريا، ص٤٢١.
(3) جامعة ١٣:١٢.
(4) **التفسير التطبيقي**، ص١٣٦٢.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

٢- التواضع و النهي عن التكبر: وهو من الأخلاق الايجابية التي ورد الأمر بها في العهد القديم في كثير من المواضع فيقول:" تواضع الروح مع الودعاء خير من قسمة الغنيمة مع المتكبرين"[١]. أما النهي عن التكبر فيقول " ستة أمور يمقتها الرب وسبعة مكروهة لديه " عينان متعجرفتان.."[٢].قف في حضرة كبار السن ووقر الشيوخ واتق إلهك "[٣].

٣- أداء الأمانة والنهي عن الخيانة والاستقامة: " يعرف الناس الأشخاص الصالحين لأمانتهم، والأشرار بخيانتهم"[٤].أما الاستقامة وهي من الأخلاق التي تتصف بها النفس وقد أمر العهد القديم اليهود إتباعها فيقول " وقال الرب لموسى قل لبني إسرائيل كونوا قديسين لأني أنا الرب إلهكم قدوس"[٥].

٤- التحذير من النميمة:" الرجل المغتاب، الرجل الأثيم هو من يسعى بنميمة الفم الكاذبة ويضمر بعينية ويشير برجليه، ويثير الخصومات دائماً لذلك تغشاه البلايا فجأة "[٦].

٥- النهي عن النفاق: وهي من الآفات التي تصيب القلب فيقول العهد القديم محذراً:" لا تختر أهل الشر ولا تشته معاشرتهم، لأنّ قلوبهم تتآمر على ارتكاب الظلم وألسنتهم تنطق بالإساءة "[٧].

٦- النهي عن الزنا: وقد جاء النهي عن الزنا في الوصايا العشر ،التي وردت في سفر الخروج يقول:" لا تزن "[٨] فجريمة الزنا عند اليهود جريمة نكراء وقد كانت تنتشر في اليهود انتشاراً فاحشاً لا حد له فهي لم تكن قاصرة على زنا الرجل في الأجانب، بل كانت في

---

(1) **أمثال**، ١٦:١٩.

(٢) **أمثال**، ٦: (١٦: ١٩).

(٣) **لاويين**، ١٩: ٣٢.

(٤) **أمثال**، ٢٠: ١٢ - ١٧.

(5) **لاويين**، ٩ : ٢.

(6) **أمثال**، ٦: (١٢ : ١٥).

(٧) **أمثال**، ٢٤ : ٢.

(٨) **خروج**، ٢٠ : ١٤.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

المحارم أيضاً وحتى الأنبياء أنفسهم وقعوا في هذه الجريمة. وجاء النهي عن الزنا مصحوباً بذكر العقاب والوعيد لمن قام بها[٩].

٧- النهي عن الغضب بقوله: " الجواب اللين يبدد الغضب والكلمة القارصة تهيج السخط "[١]. يقول مفسرو التفسير التطبيقي " يمكن أن يكون الغضب كحريق لا يمكن التحكم فيه فهو يدفعنا إلى اتخاذ مقررات متعجلة لا تسبب إلا المرارة والإحساس بالذنب "[٢].

٨- النهي عن السخرية: كما ورد في سفر الملوك عن النبي اليشع الذي كان يسير حين خرجت عليه عصابة من الشباب تسخر منه:" اصعد في العاصفة يا أقرع، فعاقبهم الرب بإرسال دُبّتان من الغابة وأكلت اثنين وأربعين فتى منهم "[٣].

٩- النهي عن السرقة: وهي عفة اليد عن الامتداد للمال الحرام ولكبح شهوة السرقة والتملك فقال في الوصايا العشر " لا تسرق "[٤] وقد بيّن العهد القديم أن السرقة جريمة تدنس اسم الرب فقال " لا تسرقوا ... فتدنس اسم إلهك أنا الربّ "[٥]. وقد وضع العهد القديم حداً للسارق وهو (الرق) أي أن يكون عبداً – في مقابل جريمته[٦].

١٠- التحذير من التمني ما للغير والحسد والأنانية: " لا تشته امرأة قريبك ولا عبده ولا أمته ولا ثوره ولا حماره ولا شيء مما لقريبك "[٧].

١١- النهي عن القتل بقوله " لا تقتل "[٨]. " لا تقتل البريء والصّالح لأنني لا أبريء المذنب "[٩] وعلى الرغم من ذلك إلا أن القتل

---

[٩] عماد علي عبد السميع حسين، **الإسلام واليهودية**، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ٢٠٠٤م، ص ٤١٦.

(1) **أمثال**، ١٥ : ١.

(2) **تفسير الكتاب المقدس**، ص ١٣٠٨.

(3) **ملوك الثاني**، ٢ : ٢٣.

(4) **خروج**، ٢٠ : ١٥.

(5) **لاويين**، ١٩ : ١١.

(6) عماد علي، **الإسلام واليهودية**، ص ٤٢٤.

(7) **خروج**، ٢٠ : ١٧.

(8) **خروج**، ٢٠ : ١٨.

(9) **الخروج**، ٢٣ : ٨.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الفردي يحدث كثيراً في مجتمع اليهود وأسفار العهد القديم شاهدة على ذلك[١٠].

١٢- النهي عن شهادة الزور: فقال العهد القديم: " لا تتعاون مع المنافق في شهادة زور "[١١] وقال لا تحرف شهادتك في دعوى انجرافاً مع الأكثرية "[١٢].

١٣- الصدق والوفاء " فقد حثهم العهد القديم عن التزام الصدق والوفاء كأخلاق خاصة " ولا تكذبوا ولا تغدروا أحدكم بصاحبة "[١٣].

١٤- الأمر بالرحمة وخصوصاً بالعاجزين " لا تشتم الأمم، وقدام الأعمى لا تجعل معترة بل اخشى إلهك "[١]. " ومن أمام الأشيب تقوم وتحترم الشيخ وتخشى إلهك "[٢].

١٥- الأمر بالعدل والمساواة " لا تظلموا في القضاء ولا تتحيزوا لمسكين ولا تحابوا عظيماً "[٣] لا يحب الغني أو الكبير فيحكم له بدون حق لأن هذا يجعل الغني أو الكبير يتمادى في أثامه واعتداءته "[٤].

١٦- النهي عن الوشاية باعتبارها خلق ذميم فقال: " لا تسع في الوشاية بين شعبك "[٥].

ب- الأخلاق الفردية التطبيقية في العهد القديم:

١- العنصرية اليهودية: وذلك لاعتقادهم أن اليهود هم شعب الله المختار والمقرب منه وأنهم أبناء الرب وهم مقدسون وهذا الخلق يصح أن يكون خلقاً نظرياً و يصح أن يكون خلقاً تطبيقياً، وذلك أن العهد القديم وبأقوال الرب جعلهم خيراً

---

(10) حسن الباش، **القرآن والتوراة**، ص ٤٣٢.

(11.) **خروج**، ٢٣ : ٢.

(12) **خروج**، ٢٣: ٣.

(13) **اللاويين**، ١٩ : ١١.

(1) **اللاويين**، ١٩ : ١٤.

(2) **اللاويين**، ١٩ : ٣٢.

(3) **اللاويين**، ١٩ : ١٥.

(4) نجيب جرجس: **تفسير سفد اللاويين**، ط١، ١٩٩٨، القاهرة، ص ٢٣٣.

(5) **اللاويين**، ١٩: ١٦.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

من الأمم التي حولهم: فيقول: " أن الرب ملجأ لشعبه وحصن بني إسرائيل "[٦].

ويقول :" إنكم آلهة، وبنوا العلي كلكم"[٧].وقد جعلت منهم هذه العنصرية صفات سيئة مثل الغرور والتكبر ويتمثل ذلك في أمر الرب لغير اليهود بالسجود لليهود " بالوجوه إلى الأرض يسجدون لك، ويلحسون غبار رجليك، فتعلمين إني أنا الرب الذي لا يخزي منتظروه "[٨] وهذه النظرة جعلتهم ينظرون إلى تلك الشعوب بأنها خدم وبهائم لديهم وأنهم أفضل منهم فيقول:" وتأكل كل الشعوب الذين الرب إلهك يدفع إليك، لا تشفق عيناك عليهم"[٩].

وهذا الشعور بالغرور ناشئ عن مشاعر النقص التي كان يشعر بها اليهود أثناء التشرد والاضطهاد الذي حل بهم، وجعلهم يشعرون أنهم من طينة مختلفة عن غيرهم، فيقول البيرتو دانزوا:" إنها النظرة الإلهية التي تجعل من اليهودي شيئاً غير عادي، ليس إنساناً بالمعنى الأرضي أو التقني أو بالمعنى التافه للكلمة، إنها تكلله بقداسة مثالية، إن اليهود شعب يقع على حدود الإلهي والإنساني"[١].

٢- القسوة والشدة والعناد:" وقال الرب لموسى: رأيت هذا الشعب فإذا هو شعب صلب الرقبة "[٢]. ومن الأمثلة الدالة على قسوة قلوبهم واتصافهم بهذا الخلق أنه عندما حاصر ملك آرام السامره، اتفقت نساء اليهود على سلق أطفالهن وأكلهم، وقد اتفقت امرأتان على سلق الأطفال بالتتابع، فبدأت الأولى بسلق طفلها وأكلت منه جارتها، وبعد أيام جاء دور الثانية فرفضت أن تسلق طفلها فتقدمت الأولى بشكوى إلى قاضي المدينة "[٣]. فأي أخلاق بعد هذه.

٣- قصور الهمة: منهم كانوا مستعبدين في مصر وبعد أن خرجوا كان لا بد أن يفرحوا من خلاصهم من العبودية إلا أنهم قالوا " ليتنا متنا بيد الرب في أرض مصر إذ كنا جالسين عند قدور اللحم نأكل خبزاً حتى الشبع[٤].

---

(6) **يوئيل**، ٣ : ١٦.

(7) **مزمور** ٨٢:٦.

(2) (8)**اشعيا**، ٤٩ : ٢٣

(9) **تثنية**، ٧ : (١٦ - ١٧).

(1) البيرتو دانزوا: **اليهودية والغيرية**: ترجمة ماري شهرستان، الأوائل للنشر، ط١، ٢٠٠٤م، ص ٣٩.

(2) **خروج**، ٣٢ : ٩ .

(3) **ملوك ٢**، ٦ : (٢٦ - ٣١).

(4) **خروج**، ١٦ : ٣.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

٤- إنهم أشرار كثيرو التذمر : يقول العهد القديم على لسان الرب وهو يخاطب موسى " حتى متى أغفر لهذه الجماعة الشريرة المتذمرة علي "[٥].

يقول مفسروا الكتاب المقدس: لم يكن الله يبالغ عندما قال أن بني إسرائيل قد فشلوا عشر مرات في الاتكال عليه وطاعته، وهذا ما أظهرته كل الأمة[٦].

٥- عداؤهم للعدل والحق، (ليس من يدعو بالعدل وليس من يحاكم بالحق... أعمالهم إثم ... في طريقتهم اغتصاب وسحق وطريق السلام لم يعرفوا وليس في مسالكهم عدل ... جعلوا لأنفسهم سبلاً معوجة كل من يسير فيها لا يعرف سلاماً)[٧].

٦- الجبن والخوف: (لا تطمئن ولا يكون قرار لقدمك ... وترقب ليلاً ونهاراً ولا مأمن على حياتك)[٨].

٧- العناد: " لم يسمعوا لصوتي، ولم يسلكوا بها بل سلكوا وراء عناد قلوبهم "[٩].

٨- خيانة العهد مع الرب فيقول الرب شاكياً : " نقض بيت إسرائيل وبيت يهودا عهدي الذي قطعته مع آبائهم "[١].

٩- الخداع والمكر والاستغلال إلى ما يريد وذلك من خلال قصة يعقوب وأخيه عيسوة والذي سلب من عيسوه بكوريته واحتال يعقوب على ابيه وفاز ببركته)[٢] كما خدع النبي داوود قائدة (أوريّا) من أجل الحصول على زوجته)[٣].

١٠- الأنانية: فكل شيء يتمنه حتى أنهم رفضوا عبادة الله إلا إذا أنقذهم فقالوا " أنقذنا من يد أعدائك نعبدك "[٤].

١١- الإسراف فقد ورد في سليمان أنه كان مسرفاً لحد السفه الذي لا يعقل ولا يصدق وكان متطلبات القصر اليومية من الطعام (طعام سليمان لليوم الواحد ثلاثين كسر سمين وستين كروتين وعشرة ثيران مسمنة)[٥].

---

(5) **عدد**، ١٤ : (٢٧- ٢٨).
(6) **تفسير الكتاب المقدس**، ص ٣٠٤.
(7) **أرميا**، ٥ : (٧ - ٩).
(8) **تثنية**: ٣٢: (٥ - ٢٩).
(٩) **أرميا**، ٩ : (١١ - ١٦).
(1) **أرميا**، ١١ : (١٠ - ١٣).
(2) **تكوين**، ٢٧: ١ – ٤٠.
(3) **صموئيل الثاني**، ١١ : ١ - ١٣.
(٤) **صموئيل١**، ١٢ : ١٠.
(٥) محمد عبد الله الشرقاوي، **مقارنة الأديان**، دار الجيل بيروت، ط٢، ١٩٩٠م، ص ٢٢٤.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

المطلب الثاني: الأخلاق الفردية تجاه المجتمع اليهودي:

ونعني بالأخلاق التي يمارسها اليهودي تجاه اليهود في مجتمعه، ومن الملاحظ أن العهد القديم زاخرٌ بالأوامر الأخلاقية تجاه المجتمع اليهودي فقد حرص على بقاء المجتمع اليهودي متماسكاً وإن كان على حساب باقي المجتمعات من غير اليهود.

أولاً: الأخلاق الفردية النظرية تجاه المجتمع:

١- النهي عن الغرور والتكبر " والعنصرية " تجاه مجتمعهم.

فهم بمجملهم شعب الله المختار، وما ينطبق على (الغير) لا ينطبق عليهم، فالقتل ممنوع بينهم، وكذلك الزنا، والسرقة، والشتم، والغدر، والمكر، وغيرها من الأخلاق فالرب اختارهم والرب يرعاهم، ويزكيهم على باقي الشعوب " لأنك أنت شعب مقدس "[٦] أما الوصايا العشر فهي معيارٌ عندهم للأخلاق الاجتماعية، وتجعل وجوده ممكناً، إلاّ أنها تميز بين المجتمع اليهودي كتعامل أخلاقي وبين غير اليهودي، فالقتل ممنوع وبين اليهود محرَّم فيمكن أن تقتل، وتحارب، لكن ضمن المجموعة غير مسموح، لأنه سيؤدي إلى نزاعات تقضي على المجتمع وكذلك الزنا، والسرقة، وشهادة الزور، يقول الرابي مناحم " أيها اليهود: إنكم من بني البشر لأن أرواحكم مصدرها روح الله "[١].

٢- الأمر ببر الوالدين: فيقول العهد القديم " أكرم أباك وأمك لكي تطول أيامك على الأرض التي يعطيك الرب ألهك "[٢] فقد جاء التوجيه لرعاية الأب والأم مصاحباً للثواب وهو إطالة العمر وجاء أيضاً " تهابون كل إنسان أمه وأباه "[٣].وإذا عق والده أو أمه فإن عقوبته الرجم كما ورد في سفر التثنية[٤].

٣- الأمر بالرحمة والتراحم بين الناس فقال (لا تدع الرحمة والحق يتركانك تقلدهما على عنقك اكتبهم على لوح قلبك فتجد نعمة وفطنة صالحة في أعين الله والناس)[٥].

وقد ذكرت الرحمة هنا مقرونة بالله والناس لتدل على وجوب التمثل بها والرحمة أيضاً تكون كما جاء في العهد القديم (الجواب اللين يصرف الغضب والكلام الموجع يهيج السخط)[٦]. والرحمة للضعفاء والعجزة فقال: (لا تشتم الأصم، وقدام الأعمى لا تجعل معثرة بل اخشى إلهك)[٧] (ومن أمام الأشيب تقوم وتحترم الشيخ وتخشى إلهك)[٨]. يقول نجيب جرجس "

---

[٦] **ملوك الأول**، ٤: ٢٢ - ٢٤

[1] حسن الباش، **القرآن والتوراة**، ص ٤٠٧٩.

[2] **خروج**، ٢٠ : ١٢.

[3] **اللاويين**، ١٩ : ٣.

[4] **تثنية**، ٢١: (١٨ - ٢٠).

[5] **امثال**، ٣ : (٣ - ٤).

[6] **أمثال**، ١٥ : ١.

[7] **اللاويين**، ١٩ : ١٤.

[8] **اللاويين**، ١٩ : ٣٢.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

فأصحاب العاهات يستحقون العطف والرثاء والمساعدة وليس من اللائق أن تضايقهم بوجه من الوجوه[٣].

٤- النهي عن النفاق: آثام المنافق تتصيده ويعلق بجبال خطيئته يموت افتقاراً إلى التأديب ويحمقه يتشرد[٩]. ويقول " لا تقبل خير كاذباً ولا تصنع يدك مع المنافق لتكون شاهد ظلم ولا تتبع الكثيرين لفعل الشر)[١٠].

٥- العدل والمساواة: يقول العهد القديم " لا تحرف حق فقيرك في دعواه) ويقول أيضاً " استمعوا إلى الخصومات الناشبة بين إخوتكم واقضوا بالعدل بين الإسرائيلي والنزيل "[١١]. وقد استعمل لفظ (قريب، أخيه، نزيله) وهي ألفاظ تدل على من هم من داخل المجتمع اليهودي.

٦- الأمر بكتمان السر: " الواشي يفشي السِّرَّ والأمين النفس يكتمه "[١].

٧- النهي عن الظلم والحقد والانتقام: دعى العهد القديم اليهود فيما بينهم إلى المحبة والتسامح فقال " لا يبغض أخاك في قلبك ... لا تنقم ولا تحقد على أبناء شعبك بل تحب قريبك كنفسك "[٢]. وقال أيضاً في منع الظلم " لا تسلب الفقير، لكونه فقيراً، لا تسحق المسيكن في الباب "[٣].

٨- الأمر بالأمانة: يعرف الناس الأشخاص الصالحين لأمانتهم والأشرار بخيانتهم)[٤] .

٩- التحذير من سبعة أخلاق سيئة كما جاءت في سفر الأمثال وهي " ستة أمور يمقتها الرّب، وسبعة مكروهة لديه: عينان متحجر فتان، ولسان كاذب ويدان تسفكان دماً بريئاً وقلب يتآمر بالشر، وقدمان تسرعان بصاحبهم "ارتكاب الإثم وشاهد زورٍ ينفث كذباً ورجلٌ يزرع خصومات بين الأخوة "[٥] وهذه الأخلاق هي: التكبر والتعجرف على الناس، والكذب عليهم، والقتل والخداع، وشهادة الزور، وإثارة الفتنة، والخصومات بين الناس، والوشاية بينهم، قد شدد العهد القديم على

أ) النهي عن الوشاية فقال:" لا تسع في الوشاية بين شعبك "[٦] وهو خلق مختص بين اليهود فقط وذلك للتخصيص في قوله:" شعبك ".

---

[٣] نجيب جرجس، **تفسير سفر اللاويين**، ص ٢٣٢.
[9] **أمثال**، ٥ : ٢٢ – ٢٣. تثنية، ١ : ١٦
[10] **اللاويين**، ١٩ : ١٥.
[11] **خروج**، ٢٣ : ٦.
[1] **أمثال**، ١١ : ١٣.
[2] **اللاويين**، ١٥ : (١٧ - ١٨).
[3] **أمثال**، ٢٢ : ٢٢.
[4] **أمثال**، ١٢ : ١٧.
[5] **أمثال**، ٦ : (١٦ - ١٥).
[6] **اللاويين**، ١٩: ١٦.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ب) وأما الكذب فقد جاء في الوصايا العشر:" لا تنطق باسم الرب إلهك باطلاً لأن الرب لا يبرئ من نطق باسمه باطلاً "[٧].

ج) أما شهادة الزور فقد جاء فيها:" لا تشهد على قريبك زوراً "[٨]. وقد خصص أيضاً بالمجتمع لقوله " قريبك ".

١٠- النهي عن الحسد والأنانية فقال:" لا تشتهي امرأة قريبك ولا عبده ولا أمته ولا ثوره ولا حماره ولا شيء مما لقريبك "[٩].

١١- وذكر سفر الخروج مجموعة من الأخلاق التي يجب الاتصاف بها، وتعامل اليهود فيما بينهم بها ومنها، " إذا صادفت ثور عدوك أو حماره شارداً ترده إليه وإذا رأيت حمار مبغضك واقفاً تحت حمله وعدلت عن حلة فلا بد أن تحل معه لا تحرف حق فقيرك في دعواه: ابتعد عن الكذب ولا تقتل البريء، لأنني لا أبرر المذنب ولا تأخذ رشوه لأن الرشوة تعمي المبصرين وتعوِّج كلام الأبرار "[١].

وهذه الأخلاق نذكرها على سبيل الحصر: وهي إيتاء الأمانة، والنهي عن الظلم، النهي عن القتل، والنهي عن الكذب، والابتعاد عن الرشوة، والنهي عن القتل، والإحسان إلى القريب.

يقول حسن الباش " فهذه التعاليم التي نادى بها موسى – عليه السلام – هي تعاليم إيجابية إنسانية وهي لا تختلف مع ما أمر الله به في القرآن الكريم إلا أن أحبار اليهود وحاخاماتهم أوّلوها لتصبح محصورة باليهود وحدهم "[٢].

١٢- النهي عن القتل: " يقول سميث:" يمكنك أن تشاجر، وتحارب، ولكن القتل ضمن المجموعة غير مسموح به لأنه سيزيد الحالات دموية ستقطع أوصال المجتمع وتهزمه لذلك كانت الوصية (لا تقتل)[٣] .وجاء أيضاً في العهد القديم: " ولا تقتل البريء لأنني لا أبرر المذنب "[٤] والعهد القديم ركز كثيراً على هذا الجانب الأخلاقي الذي يدل على القسوة.ووضع له أشد أنواع العقوبات بتفاصيلها ومن هذه العقوبات (وإذا بغى إنسان على صاحبه ليقتله بغدر فعند مذبحي تأخذه للموت "[٥].

١٣- أداء الأمانة، والنهي عن السرقة، والغصب: فالسرقة بين المجموعة ممنوع وفي هذا يقول إسرائيل شاحاك " السرقة (من غير عنف) ممنوع إطلاقاً حتى من غير اليهودي أما السلب

---

(7) **خروج**، ٢٠ : ٧.
(8) **خروج**، ٢٠ : ١٦.
(9) **خروج**، ٢٠ : ١٧.
(1) **خروج**، ٢٣ : (٤ - ٩).
(2) حسن الباش، **القرآن والتوراة**، ص٤٢٤.
(3) هوستن سميث، **أديان العالم**، ص ٣٥٨.
(4) **خروج**، ٢٣ : ٧.
(5) **خروج**، ٢١ : ١٥.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

(بالإكراه) فممنوع إطلاقاً إذا كان الضحية يهودياً "[٦] والعهد القديم كما جاء في الوصايا العشر يؤكد على منع السرقة بقوله " لا تسرق "[٧] وجاء أيضاً " لا تسرقوا ... فتدنس اسم إلهك أنا الرب "[٨] وجاء أيضاً " لا تغصب قريبك ولا تسلب "[٩].

وقد وضع العهد القديم العقوبات الصارمة على مرتكب خلق السرقة ومن هذه العقوبات الرق والتعويض بزيادة.ومن ذلك قصة يوسف مع إخوته عندما اتهمهم بسرقة الكأس فقال" حاشاني أن أفعل هذا إنما الرجل الذي عثر معه على الكأس هو يكون لي عبداً"[١٠]

١٤- النهي عن تعاطي الخبائث والخمر:

" وكلم الرب هارون قائلاً خمراً ومسكراً لا تشرب أنت وبنوك معك عند دخولكم إلى خيمة الاجتماع لكي لا تموتوا "[١] وقال " ليس للملوك أن يشربوا خمراً ولا للعظماء المسكر "[٢].

وقال " أما دانيال فجعل في قلبه أنه لا يتجنس بأطيب الملك ولا بخمر مشروبه "[٣] وقال " والآن فلا تشرب خمراً ولا مسكراً "[٤].

وهناك الكثير من الأدلة في العهد القديم تدل على تحريم الخمر في شريعة اليهود.

ويقول العهد القديم " لمن الويل؟ لمن الشقاوة؟ لمن المخاصمات ؟ لمن الكرب؟ ... للذين يدمنون الخمر "[٥].

١٥- خلق العفة " والنهي عن الزنا ": " يقول إسرائيل شاحاك الاتصال الجنسي بين امرأة يهودية متزوجة وأي رجل آخر غير زوجها جريمة كبرى، بالنسبة للفريقين،(لا فرق بالمرأة اليهودية سواء كانت متزوجة أم لا، أما بالنسبة للرجل فالزنا مع غير اليهودية لا يعتبر زنا)[٦].

وقد جاء في العهد القديم الكثير من الأدلة التي تحرم الزنا وتدعوا إلى العفة والحشمة ومنها " لا تكن زانية من بنات إسرائيل "[٧].

وقد جاءت الوصايا العشر بالنهي عن الزنا بقوله " لا تزن " والزنا عندهم غير مقتصر على النهي بالزنا مع الأجانب بل أيضاً النهي عن زنا المحارم وقد وردت الكثير من التهديدات

---

(6) إسرائيل شاحاك، **التاريخ اليهودي الديانة اليهودية وطأه ثلاث آلاف سنة**، ترجمة صالح علي سوداح، ط١، ١٩٩٥، نيسان للنشر، بيروت، ص ٣٥.

(7) **خروج**، ٢٠ : ٩.

(8) **اللاويين**، ١٩ : ١١.

(9) **اللاويين**، ١٩ : ١٣.

(١٠) تكوين، ٤٤: ١٧.

(1) **اللاويين**، ١٠ : ٨.

(2) **أمثال**، ٢١ : ٤.

(3) **دانيال**، ١ : ٨.

(4) **قضاة**، ١٣ : ٤، ١٣ : ٧.

(5) **أمثال**، ٢٣ : (٢٩ - ٣٠)

(6) إسرائيل شاحاك، **التاريخ اليهودي**، ص ١٣٦.

(7) **تثنية**، ٢٣ : ١٧.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

والوعيد لمن يقارف هذا الخلق المذموم فقال " إذا اضطجع رجل مع زوجة أبيه أنهما يقتلان كلاهما ومهما عليهم "[٨]، وقال " فإذا زنى مع امرأة قريبة يقتل الزاني والزانية "[٩].

١٦- خلق القذف بالباطل: يقول العهد القديم " إذا اتخذ رجل امرأة وحين دخل عليها أبغضها ونسب إليها أسباب كلام وأشاع عنها اسماً رديئاً وقال هذه المرأة اتخذتها ولما دنوت منها لم أجد لها عذرة (بكراً) يأخذ الفتاة أبوها وأمها ويخرجان علامة عذرتها إلى شيوخ المدينة ... فيأخذ شيوخ تلك المدينة الرجل ويؤدبانه ويغرمانه بمائة من الفضة ويعطونها لأبي الفتاة لأنه أشاع اسماً رديئاً عن عذراء من إسرائيل فتكون له زوجة ولا يقدر أن يطلبها كل أيامه "[١٠].

---

[8] **اللاويين**، ٢٠ : ١١.
[9] **اللاويين**، ٢٠ : ١٠
[10] **تثنية**، ٢٢ : (١٣ - ١٩).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ثانياً: الأخلاق الفردية التطبيقية تجاه المجتمع اليهودي.

ونقصد في هذا الجانب التزام اليهود بهذه الأخلاق تجاه بعضهم حسب ما ورد في العهد القديم.

١- خلق العفة والنهي عن الزنا:

- رغم ما ورد في العهد القديم عن النهي عن الزنا، وتشديد العقوبة عليه إلا أن اليهود لم يتمثلوا بهذا الخلق فيما بينهم،على الرغم من معرفتهم أن هذا الخلق مذموم ويؤدي إلى القضاء على مجتمعهم، وقد أباح الرب لهم الزنا في بعض الأحوال مناقضاً أوامره ونواهيه، وتحت مرأى منه بل وعلى العكس من ذلك فقد أكرم بعض هؤلاء الزناة كما حصل مع (رحاب الزانية) والتي أخفت جاسوسين عندها فأخرجها الرب هي وكل ما تملك، ثم حرق المدينة بأكلمها[١].

- ثم ما جاء في سفر استير والتي تزوجت الملك احشوبروش، وهو عدوٌ لهم، وقد جاء تحريم الزواج من غير اليهود ويعتبر زنا إلا أنها تزوجته من أجل تحقيق أهداف اليهود ومآربهم تحت مرأى الرب ورضاه[٢].

- ثم يأتي دور الأنبياء والملوك العظماء أمثال سليمان وداوود – عليهم السلام - : والذي نسب إليهم الانحلال الأخلاقي بنسبة سفر نشيد الإنشاد إلى سليمان والذي يصرح فيه بالغزل والوصف الذي ينافي العفة تحت رضا الرب وموافقته[٣] ولوط – عليه السلام – الذي زنا بابنتيه بعد تدمير سدوم وعمورية وأنجبتا ذرية له[٤]. وثامار وهودا وزناة بكنته وحملت هذه الكنة وولدت قارص وزارح وقارص هو صاحب السلالة المقدسة التي نسب إليها الأنبياء، داوود وسليمان وملوك يهودا، فكيف يكون أولاد الزنا مقدسين؟[٥].

- إن الرب الذي نهى عن الزنا بقوله (لاتزن) يعاقب داوود عندما أخذ زوجة قائدة أوريا بأن تنتهك أعرض نسائه أمام عينيه:" هكذا قال الرب: ها أنذا أقيم عليك الشر من بيتك وآخذ نساءك أمام عينك وأعطيهن لقريبك فيضطجع مع نسائك في عين هذه الشمس لأنك أنت فعلت بالسر، وأنا أفعل هذا الأمر قدام جميع إسرائيل وقدام الشمس [٦].

---

[١] **يشوع**، ٦ : ٢٣.

[٢] **استير كاملاً**.

[٣] **نشيد الإنشاد**، ٨ : (١- ٩).

[٤] **تكوين**، ١٩ : (٣ - ٣٧)، سعد الدين صالح، **العقيدة اليهودية وخطورتها على الإنسانية**، مكتبة الصحابة، ط٢، ١٤١٦ هـ، ص ٣٢٤.

[٥] **تكوين**، ٣٨.

[٦] **صموئيل الثاني**، ١٢ : (١١ - ١٢).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

٢- خلق تعاطي الخبائث وشرب الخمر:

لقد رأينا في الجانب النظري الأوامر والنواهي بخصوص شرب الخمر والنهي عنه واعتباره من غير ا لحكمة إلا أن هذه النصوص تناقضها نصوص أخرى من العهود القديمة حيث أن الرب لم يمانع شرب الخمر بل وأباحه. فالرب أمر سليمان بشرب الخمر ! كيف وسليمان نفسه قد نهى عن شرب الخمر[١] .فالرب خاطبة قائلا: " اذهب كل خبزك بفرح واشرب خمرك بقلب طيب لأنه الله منذ زمان قد رضي عملك "[٢].

وفي سفر أيوب " وكان ذات يوم وأبناءه وبناته يأكلون ويشربون الخمر في بيت أخيهم الأكبر "[٣] فالنبي يرضى ويقبل أن يشرب أبناءه الخمر و نوح – عليه السلام – والذي شرب الخمر وتعرى داخل خبائه فأبصر ابنه (حام) عورة أبيه "[٤].

فنوح غضب ليس لأنه شرب الخمر، بل لأن ابنه شاهد عورته فلعن ابنه في الأرض، والعهد القديم أباح الخمر أيضا لمرض الأجسام والنفوس والفقراء لينسوا تعبهم " أعطوا السكر لهالك وخمر لمري النفس يشرب وينسى فقره ولا يذكر تعبه بعده "[٥] وليس الأمر إلى هنا بل أن العهد القديم يأمر بجعل الخمر ضمن القرابين التي يتقرب بها إلى الله (وتقدمه عشرين من دقيق ملفوف بزيت وقودا للرب رائحة سرور وسكينة ربع الهين من الخمر"[٦].

٣- خلق الظلم والحسد: فالله الذي نهى عن الظلم، والحسد، والتمييز بين الأبناء يظلم أبناء إبراهيم ويأمر إبراهيم بالتمييز بينهم وذلك من خلال قصة إبراهيم مع ابنه إسماعيل – عليه السلام – الذي فضل عليه إسحاق، لأنه من جنس صافي – ورماه هو وأمه في البرية (فقال الرب لإبراهيم لا يقبح في عينيك من أجل الغلام ومن أجل جاريتك في كل ما تقول لك سارة استمع لقولها، لأنه بإسحق يُدعى لك نسل "[٧] فالرب يجاري سارة بغيرتها وحقدها ويأمر إبراهيم بطرد زوجه وابنه[٨].

٤- خلق الخداع والاستغلال وسوء النية: العهد القديم رضي عن يعقوب، رغم أنه خدع أخاه عيسوه واستغله بل على العكس فإن المخادع قد حصل على البكورية، والبركة، وأما الإنسان

---

[١] **أمثال**، ٢٣: (٢٩ - ٣٣).

[٢] **أرميا**، ٣٥ : (١ - ١١).

[٣] **أيوب**، ١ : ١٣.

[٤] **تكوين**، ٩ : (٢٠ - ٢٦).

[٥] **أمثال**، ٣١: (٦ - ٧).

[٦] **اللاويين**، ٢٣ : ١٣.

[٧] **تكوين**، ٢١: (١ - ١٤).

[٨] جميل خرطبيل، **نقد الدين اليهودي، الأوائل** للنشر، ط١، ٢٠٠٢م، ص ١٠٧.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

البسيط فقد خسر كل شيء، ويظهر ذلك من خلال قصة يعقوب وعيسوه حيث أن يعقوب استغل جوع أخيه ولم يرضى إطعامه حتى يعطيه بكوريته[١] وليس ذلك وحسب بل إن يعقوب خدع أباه إسحاق ليفوز ببركته فلبس لبس أخيه ووضع على يديه جلود المعاز فظن إسحاق أنه عيسوه فباركه[٢] . وأيضاً فإن لا بأن خدع يعقوب حين زوجه ليئة وكان قد وعده أن يزوجه من راحيل "[٣].

٥- خلق الطمع: فإن النبي لوط طمع بالسهول المحيطة بنهر الأردن وفضل نفسه على أخيه إيرام[٤].يقول مؤلفو التفسير التطبيقي " إن طمع لوط في الأفضل من كل شيء أدى به إلى بيئة شريرة وشهوته الملتهبة للأملاك والنجاح كلفته حريته ومتعته[٥].

٦- خلق القسوة وسفك الدماء:

القتل يحدث كثيراً في أسفار العهد القديم،وهناك مئات الإشارات إلى قتل اليهودي لليهودي دون أي رادع أخلاقي، والرب يقتل ويضرب " فضرب الرب بنيامين أمام إسرائيل وأهلك بنو إسرائيل من بنيامين في ذلك اليوم خمسة وعشرين ألف رجل ومئة رجل "[٦].وأما عن القسوة فليس هناك أقسى من أن تسلق الأم طفلها لتأكله أمام مرأى الرب وسمعه[٧].

---

[١] **تكوين**، ٢٥ : (٢٩ - ٣٤).
[٢] **تكوين**، ٢٧ : (١ - ٤١).
[٣] **تكوين**، ٢٩ : ٢١.
[٤] **تكوين**، ١٣ : ١١.
[٥] **التفسير التطبيقي**، ص ٣٨.
[٦] **قضاة**، ٢٠ : ٣٥.
[٧] **ملوك ثاني**، ٦ : (٢٤ - ٣٠).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

المطلب الثالث:

" الأخلاق الفردية تجاه الغير"

ويقصد بها الأخلاق والصفات التي يسلكها اليهود مع غيرهم من البشر- من غير اليهود -.

١. الغرور والتكبر" العنصرية اليهودية"

ويتجلى ذلك من خلال عنصريتهم الواضحة لأنفسهم، وعدائهم لغير العنصر اليهودي، وهذه النظرة تجاه الغير هي نظرة العهد القديم، وهي واضحة من خلال أسفاره. التي تشمل على كثير من القضايا التي تحرّم بين اليهود ويباح لليهود ممارستها مع الغير كالسرقة ،والزنا وغيرها.

ويتجلى ذلك من خلال قصة إبراهيم مع سارة، فقد كانت عقيمة وتزوج إبراهيم من جاريتهم المصرية هاجر،ومنها ولد إسماعيل الذي طُرد مع أمه إلى الصحراء ، وذلك حتى لا يرث إبراهيم وقد "أعطوه قربة ماء وخبزاً"[١] ونشئ منه نسلاً كبيراً لأن يهوه قد أكد أنه من نسل إبراهيم " أما بالنسبة لابن الجارية، فاصنع منه أمة كبيرة لأنه من نسلك"[٢].

ثم أن إبراهيم بُشّر بإسحاق. وهو ليس من خليط بل هو نتاج السلالة الصافية " لقد أعطى إبراهيم كل ما يملك لإسحق"[٣].

وهكذا تسير الأمور فنسل اسحق هم أصحاب السلالة الصافية المحبوبة من الله، وغيرهم هم أبناء الجارية، وهم خدم عند نسل اسحق، والذي من نسله يعقوب ثم يوسف، وهم أقرباء وعلى مستوى واحد وغيرهم خلقوا ليكونوا خدماً وعبيداً. " لأنك أنت شعب مقدس أياك قد اختار الرب إلهك لتكون له شعباً أخص من جميع الشعوب الذين على وجه الأرض، ليس من كونكم أكثر الشعوب التصق بكم واختاركم، لأنكم أقل من سائر الشعوب ، بل من محبة الرب إياكم"[٤]. فهم لا يؤمنون أنهم بشر كسائر خلق الله، وإنما يعتقدون أنهم أصحاب مميزات جنسية، وعقلية وحضارية لم تتوفر لسائر بني البشر من الأممين أو الجويم، ويقول مارتن لوثر :" لقد كانت مشيئة أن يكون إنعامه على العالم بالدين من خلال اليهود وحدهم دون سائر البشر، فهم أبناؤه الأثيرون إلى قلبه، وما نحن إلا الغرباء على مائدتهم وقدرنا هو أن نقنع بأن نظل الكلاب التي تلتقط الفتات المتساقطة من مائدة أبيه[٥].

---

[١] **تكوين** ٢١: ٩.

[٢] **تكوين** ٢١: ١٧ :١٣. وانظر جورجي كنعان، **العنصرية اليهودية ملحق رسالة إلى يهود العالم**، ط١٩٧٣، ص١٩٣.

[٣] **تكوين** ٢٥: ٥.

[٤] **تثنية** ٧: ٦، ١٤: ٢.

[٥] عبد المجيد همو، **ما بين موسى وعزرا كيف نشأت اليهودية**، مراجعة إسماعيل الكردي، **الأوائل** ط٣.الأولى،ص.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

فإن كان مارتن لوثر وهو من الاصلاحين النصارى، ينظر هذه النظرة إلى اليهود، فكيف باليهود أنفسهم؟ بل أن بعض كتبهم تذكر أن الكلب أفضل من الأجانب لأنه لليهودي في الأعياد أن يطعم الكلب وليس له أن يطعم الأجانب[١].

٢. السرقة:

في حين أن السرقة قد حرّمت بينهم، إلا أنها قد أبيحت مع الغير، حيث ورد في العهد القديم، أن بني إسرائيل عند خروجهم من مصر قد تآمروا على سرقة المصريين، حيث أُمرنَ نسائهم بأن تطلب كل واحدة من جارتها أو نزيلة بيتها أمتعة من فضة وذهب وثياب، فتكون غنيمة ولا ينصرفون وهم فارغي الأيدي." وأعطي نعمة لهذا الشعب في عيون المصريين فيكونوا حين تمضون لا تمضون فارغين بل تطلب كل امرأة من جارتها ومن نزيل بيتها أمتعة فضة وذهب وثياباً وتضعونها على بنيكم وبناتكم فتسلبون المصريين[٢].

وهذا الخلق جعل بني إسرائيل واليهود، تسيغ استحلال أموال الناس ويسلبها بأية وسيلة كانت حتى وإن كان بينهم توافق وتوادّ وتعايش." ولو كان بين المصريين وبني إسرائيل عداء لما أعارت المصريات حليهن وثيابهن للإسرائيليات "[٣].

وفي الوصايا العشر نهاهم الرب عن السرقة بقوله:" لا تسرق" إلا أنه لم يقصد السرقة للشعوب الأخرى وإنما جاء نهي اليهودي عن سرقة اليهودي ،" أما بقية الشعوب فهو يأمره بسرقتها أموالها ومواشيها وأراضيها ويزين له السرقة وكأنها قيمة إنسانية فاضلة يتباهى بها بين الشعوب[٤].

يقول العهد القديم: " فتجندوا على مديان كما أمر الرب وقتلوا كل ذكر وسبى بنو إسرائيل نساء مديان وأطفالهم ونهبوا جميع بهائمهم وجميع مواشيهم وكل أملاكهم"[٥].

ويقول العهد القديم:

" وأخذنا كل مدينة في ذلك الوقت وحرّمنا من كل مدينة الرجال والنساء والأطفال لم نبق شارداً، لكن البهائم نهبناها لأنفسنا"[٦]. " حرقها يشوع كل بقايا هذه المدينة وماشيتها أخذها أبناء إسرائيل كغنيمة لهم"[٧].

---

[١] محمد الشرقاوي، **الكنز المرصود في فضائح التلمود**، ص٢٠٣ - ٢٠٥.
[٢] **خروج** ٣:١٨ : ٢٢.
[٣] رجاء عبد الحميد عرابي، **سفر التاريخ اليهودي، الأوائل**، ط١ ٢٠٠٤، ص٤٧٠.
[٤] عبد المجيد همو، **ما بين موسى وعزرا كيف نشأت اليهودية**، مرجع سابق.
[٥] **عدد** ٧- ١٢.
[٦] **تثنية** ٢: ٣٤.
[٧] **يوشع** ١١ : ١٣-١٤.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ويقول د. هوستن سميث في شرح وصية لا تسرق " وبالنسبة للتملك يمكنك أن تجعل ثروتك أكبر مما تستطيع، وأن تكون فطناً وحرّيفاً وحدقاً في مشاريعك ولكن هناك شيء لن يسمح لك بفعله، وهو أن تسرق مباشرة من ثروة شخص آخر، لأن هذا ينتهك اللعبة العادلة للعمل، وتحصيل الثروة، وسيبني عداوات ستكون خارج السيطرة ولن يمكن التحكم بها، لذلك كانت الوصية : لا تسرق"[١].

٣. الزنا والانحلال الأخلاقي:

يلاحظ قارئ العهد القديم اشتماله على قيم غير أخلاقية،انحلال اخلاقي ويظهر ذلك – بصورة أكبر– من خلال سفر نشيد الإنشاد الذي يصور هذا الانحلال بطريقة مكشوفة.

" ها أنت يا حبيبتي، ها أنت جميلة، عيناك حمامتان من تحت نقابك.... كلك جميل يا حبيبتي ليس فيك عيبة"[٢].والعهد القديم ينشر في أسفاره قصص العهر، والغدر،والزنى حتى بأقرب المحرمات وأشدهن غلظه[٣].والعهد القديم يصور ويذكر تفصيلات البغاء والانحلال الخلقي لدى الأنبياء، والملوك بصورة تشمئز منها الأنفس، وتخجل منها النفوس.

فالرب كان يقف موقفاً مضطرباً من حيث الإباحة والتحريم فمرة يقول " لا تزن" كما جاء في الوصايا العشر، والظاهر أن منع الزنا إنما جاء فيما بين اليهود أنفسهم في مجتمعهم بينما أتيح لغير اليهود. وبين اليهود والغير، فالمرأة اليهودية يحرم عليها الزنا سواء كانت متزوجة أو غير متزوجة، واليهودي الرجل يحرم عليه الزنا مع امرأة يهودية، إلا أنه يباح له الزنا مع غير اليهودية وكذلك الحال لغير اليهود مع بعضهم.يقول الدكتور سميث في شرح وصية " لا تزن" :" يمكن أن تكون مدمن نساء، مغازلاً أو حتى معاشراً بنحو غير شرعي لامرأة، رغم أننا لا نوصي بمثل هذا السلوك إلا أننا لن نلاحقك قانونياً ولكن هناك خط أحمر لا يمكنك تجاوزه"[٤].

إذاً فقوله " رغم أننا لا نوصي به" لا يدل على تحريم قاطع بل هو من باب المحافظة على المجتمع. خوفاً عليه لا من باب التحريم مع الغير.ودليل أنه لا مانع من الزنا مع الغير " أن الكنعانيين ذرية الرذيل حام" [٥]. فحام وذريته رذيلة فلا بأس من نشر البغي والزنا بينهم أنهم أرذال بطبعهم.

---

[١] هوستن سميث، **أديان العالم**، مرجع سابق، ص٣٥٨.
[٢] **نشيد الإنشاد** ٤: ١- ٧.
[٣] عبد المجيد همو، **اليهودية بعد عزرا وكيف أخذت**، مراجعة إسماعيل الكردي، **الأوائل**، ط١ ٢٠٠٣م، ص٥٧.
[٤] سميث، **أديان العالم**،ص٣٥٨.
[٥] **تكوين** ١٠.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

والعهد القديم سمح لليهودية أن تستخدم جمالها، وأنوثتها لإغواء غير اليهود، لتحقيق مآربهم ومن ذلك سفر استير الذي يتحدث عن المرأة استير التي تزوجت الملك أحشبروش، الذي كان عدواً لليهود واستغلت جمالها لضرب هامان وقومه الفرس[١].

ولم يسلم الأنبياء أيضاً في العهد القديم من الوقوع في الزنا مع الغير " وعمل سليمان الشر في عيني الرب تماماً كدواد أبيه وهكذا فعل بجميع نسائه الغريبات اللواتي كن يوقدن ويذبحن لآلهتهن"[٢].

٤. القتل والوحشية:

كما رأينا فيما سبق فإن القتل بين جماعة اليهود محرّم، ويترتب عليه العقوبة، إلا أن قتل غير اليهود مباح وقد يكون واجباً من الرب، كما ورد في سفر يوشع[٣] الإصحاح الحادي عشر. ما قام به اليهود من ذبح جميع سكان مدينة أريحا دون استثناء لشيخ أو طفل أو امرأة حتى الحيوانات ذبحوها." إذا أدخلك الرب إلهك الأرض التي أتت حائر إليها لترثها، فاستأصل أمماً كثيرة من أمام وجهك: الحسسيين، والجرماشيين، والأموريين، والكنعانيين، والعزاريين، والحويين، واليبوسيين، سبع أمم أعظم وأكثر منك، فاسلم الرب إلهك، وضربتهم، فأبسلهم ابسالاً"[٤].

فهذه توصيات الرب لهم لقتل غيرهم من الأمم والقضاء عليهم وهذا ما نلمحه في وقتنا الحاضر من جرائم يرتكبونها ضد أهلنا في فلسطين والمجازر التي يأمرهم الرب بارتكابها بحق هؤلاء الأبرياء.ويقول الرب أيضاً ويأمرهم:

" وأخرج الشعب الذين كانوا بها وانشرهم بمناشير ونوداج حديد وفؤوس [٥] ". فليس القتل وحسب بل التشنيع والوحشية في القتل." فالآن إذهب واضرب عماليق وحرموا كل ماله ولا تعف عنهم بل اقتلوا رجلاً وامرأة وطفلاً ورضيعاً بقراً وغنماً جملاً وحماراً"[٦].ليس ذلك فحسب بل أن التلمود يقول :" ويحرم على اليهودي أن ينجي أحداً من الأجانب من هلاك أو يخرجه من حفرة وقع فيها بل عليه أن يسد الحفرة التي وقع فيها الأجنبي بحجر"[٧].

---

(1) **سفر استير**.
(2) **سفر الملوك الأول**، ١١: ٤- ٩.
(3) **يشوع**، ٦:٢١، و ٨و٩و١٠و١١.
(4) **تثنية**، ٧:١، **وخروج** ٣٤:١١، ١٢و١٣. انظر، سعيد بن عطية الزهراني، **القيم الأخلاقية في الصراع الحضاري بين الإسلام والغرب**، دار ابن حزم، بيروت لبنان ٢٠٠٣م.
(5) **أخبار الأيام**، ٢٠:٢- ٣.
(6) **صموئيل الأول**، ١٥:٣ و٢٢:١٩،**و صموئيل الثاني** ١٢:٣١، **وملوك الثاني** ٣:١٩و٢٥.
(7) **المسيح المنتظر وتعاليم التلمود**، ج١، الدار السعودية للنشر، ١٩٨٧م، ص١٥٩.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

٥. الكذب والغدر:

نهى الرب في العهد القديم عن الكذب، والغدر، فيما بين اليهود أنفسهم إلا أنه لم يأمر بالكذب والغدر مع غير اليهود. ومن ذلك الكذب على المصريين بأخذ أمتعتهم وإخبارهم أنها لديهم لثلاثة أيام في البرية[١].

وأما الغدر والخيانة في التعامل مع الغير فإن الرب أخبرهم أنه " يجوز لكم أن تتظاهروا بصفاء النية وحسن الجوار، ويجوز لكم أيضاً أن تدينوا بدينهم، وتضربوا الأوتاد في أصداغهم، حتى تنفذ إلى الأرض". وقد أمرت النساء بالغدر من أجل صالح المجموعة اليهودية فهذه ياعيل تغدر باسيرا وتقتله " وأما سيرا، فهرب على رجليه إلى خيمة ياعيل امرأة جابر القيني، لأنه كان صلح بين بيت ملك حاصور وبين جابر القيني، فخرجت ياعيل لاستقبال سيرا، وقالت له : هلما يا سيدي إليّ لاتخف، فمال إليها إلى الخيمة وغطته باللحاف، فقال لها: اسقني قليل من الماء لأني عطشت، ففتحت وطب اللبن وسقته ثم غطته، فقال لها قفي بباب الخيمة، ولكن إذا جاء أحد وسألك : أهنا رجل إنك تقولين لا. فأخذت ياعيل امرأة جابر وتد الخيمة، وجعلت الوتد في يدها وقارت إليه، وضربت الوتد في صدغه، فنفذ إلى الأرض، وهو مثقل في النوم ومتعب، فمات"[٢].ومن أدلة الغدر والخداع:

أن يعقوب غدر بأخيه عيسوه وأخذ البكورية من أبيه عندما لبس ثياب عيسوه فهو لم يغدر بأخيه وحسب بل وكذب على أبيه عندما سأله من أنت فقال: عيسوه[٣].

وجاء في سفر التكوين الحادث الذي وقع بين يعقوب وأبنائه وملك شكيم، وذلك أن يعقوب نزل بجوارهم بإذن ملكهم ثم إن شكيم بن حمور زنا بابنة يعقوب " دينه" ثم خطبها حمور لابنه فيما بعد، وتشاور يعقوب وأولاده، فوافقوا مع إضمار نية الغدر. فقالوا: إننا لا نستطيع أن نزوج أختنا لرجل أقلق " غير مختون" لأن ذلك عار علينا، فإذا اختتن كل ذكر عندكم، فحينئذ نوافقكم، ونصاهركم، ونصير شعباً واحداً، وقد كان هذا من الكيد والمكر، فالملك وافق على ذلك وحينئذ دخل أبناء يعقوب المدينة مشهرين سيوفهم وقتلوا كل ذكر فيها"[٤].

ومايدل على كرههم للشعوب الأخرى ما ورد في التلمود من إباحة للكذب والغدر والخيانة تجاه الغير " يجوز لليهودي أن يحلف مائة يمين كاذبة عند معاملته لباقي الشعوب إذ أن

---

(1) **خروج** ٣ : ١٨ – ٢٢.

(2) **القضاة**، ٤:١٧- ٢٢.

(3) **التكوين**، ٢٥:٢٩- ٣٤.

(4) **تكوين**، ٣٤.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

اليمين جُعل لحل النزاع بين الناس، أما غير اليهود من الحيوانات فلا اعتبار لها، ويجوز لليهودي أن يشهد زوراً وأن يقسم على ذلك حسب ما تقتضيه مصلحته مع غير اليهودي"[١].

٦. التجسس وبث الفتنة والرعب:

إن الرب في العهد القديم يعلم أبناء إسرائيل التجسس فيقول لهم الرب :" أرسل رجالاً ليتجسسوا أرض كنعان التي أنا معطيها لبني إسرائيل"[٢]. فهو أمرهم بالتجسس على غيرهم ومعرفة أسرارهم." فمضى الجاسوسان إلى بيت راحاب، فأخرجاها هي وأباها وأمها وكل ما لديها ..... ثم أحرق الاسرائيل المدينة بالنار"[٣].

٧. النفاق:" لقد أجاد اليهود النفاق للقوي فبذلوا له ماء الوجه والحياة، وسطوهم على الأعراض، فبذلوا لهم النساء مثل سارة ورفقة وأستير وغيرهن "[٤]، ومن ذلك كما ذكرنا في قصة أستير مع زوجها الملك والذي من خلال جمالها، ونفاقها، وإظهار الولاء لزوجها، نفذت رغبات شعبها[٥].

٨. قسوة القلب، يقول مؤلفوا القاموس المقدس" يمثل يوآب الأشخاص الذين لا يعرفون الرحمة في سبيل تحقيق أهدافهم وهي الفوز بالسلطة لنفسه "[٦]، وقد طلب داوود من سليمان أن يوقع بأعدائه العقاب الذي يستحقونه ويظهر ذلك من خلال وصايا داوود سليمان"، " فافض بما تمليه عليك حكمتك ولا تدع رأسه الأشيب يموت في سلام "[٧]، فهنا أمرٌ من داوود لسليمان ان يكون قاسياً مع يوآب ". قسوة موسى على غير اليهود حيث قال: " ويكون صراخ عظيم في كل أرض مصر لم يكن مثله ولا يكون مثله أيضاً "[٨].

---

(1) محمد علي البار، **المسيح المنتظر وتعاليم التلمود**، ج١، الدار السعودية للنشر،١٩٨٧م، ص١٦٠.

(2) **العدد** ١٣ : ١ : ٢.

(3) **يشوع** ٦ : ٢٢ - ٢٥.

(٤) عبد المجيد همو، **اليهودية بعد عزرا**، ص ٦٣.

(٥) كما جاء في سفر أستير.

(٦) **قاموس الكتاب المقدس**، مرجع سابق، ص ٧٠٧.

(٧) **ملوك الأول**، ٢ : ٧.

(٨) **خروج**، ١١ : ٦.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

٩. انعدام الرحمة " سوف تتلهم كل الشعوب التي يسلمها لك يهوه إلهك، عينك عليهم بدون رحمة "[١].

١٠. عدم إبرام العهود والإشفاق على الغير: " وتهزمهم أنت، وتؤدي بهم إلى اللعنة، فلن تبرم معهم عهداً، ولن تشفق عليهم "[٢].

١١. الطمع والجشع: " نسلك أعطي هذه الأرض من نهر مصر إلى النهر الكبير الفرات "[٣] " لأن جميع الأرض التي أنت ترى لك أعطيها، ولنسلك إلى الأبد كتراب الأرض، حتى إذا استطاع أحد أن يعد فنسلك أيضاً يُعّد "[٤].

فالأرض التي يعيشون عليها لا تكفيهم فطمعوا بالأرض التي يسكنها غيرهم.

---

[١] **التثنية**، ٧ : ١ ـ ٥.
[٢] **التثنية**، ٧-١٦.
[٣] **تكوين**، ١٥ : ١٨ ــ ١٩.
[٤] **تكوين**، ١٣ : ١٥ ــ ١٧

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

المبحث الثالث: الثواب والعقاب في الأخلاق الفردية

- المطلب الأول: الموت والبعث

- المطلب الثاني: الجزاء الدنيوي

- المطلب الثالث: الجزاء الأخروي على الأخلاق الفردية

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

المبحث الثالث: الثواب والعقاب في الأخلاق الفردية.

المطلب الأول: الموت والبعث:

قبل أن نبحث موضوع الجزاء والعقاب في الأخلاق الفردية من خلال العهد القديم، لا بد لنا من النظر في موضوع الموت لدى اليهود، فقد آمنوا وأيقنو بوجود الموت لجميع البشر فقد ورد في العهد القديم " يسلم الروح كل البشر جميعاً ويعود الإنسان على التراب "[١].

فالرب إذا لم يعتن ويهتم بالإنسان ،فإن الإنسان يموت وجاء " أي إنسان يحيا ولا يرى الموت ينجو نفسه من يد الهاوية "[٢] وجاء أيضاً " لأنك أنت حصني في يدك استودع روحي "[٣].

فهذه الأقوال كلها جاءت في إثبات وجود الموت والإيمان به وأنه يصيب كل بشر.

وقد جاء الموت في العهد القديم كنوع من أنواع العقاب الدنيوي، والذي يقع على مرتكب الآثام ومن ذلك. " وكان عير بكر يهوذا شريراً في عيني الرب فأماته الرب "[٤]. " وقال جميع الشعب لصموئيل صل على عبيدك إلى الرب إلهك حتى لا تموت "[٥]. " النفس التي تخطئ تموت "[٦].

وعقيدة اليهود في الموت جاءت من خلال آدم – عليه السلام – إذ أنه خير بين شجرة معرفة الخير والشر ومعها الموت، وبين شجر الميتة الآخر وقفة الخلود، فختار المعرفة والموت ومنذ تلك اللحظة تقرر الموت على البشر "[٧].

وجاء أيضاً " وليس للإنسان لزمة على الهمة لأن كليهما باطل، يذهب إلى مكان واحد، كان كلاهما من التراب وإلى التراب يعود كلاهما "[٨]. وبهذا يقرر العهد القديم أن الموت لا مفرَّ منه.

ثانياً:البعث " ما بعد الموت ":

يقول: هوستن سميث " إن العنصر الأكثر حسماً في التفكير الإنساني هو ما يعتقده بشأن النفس " الذات " ما مغزى أن تكون بشراً؟ وما الحكمة في أن تعيش هذه الحياة البشرية؟ "[٩].

إن فكرة البعث هي فكرة مضربة في موضوع الموت وقد وردت النصوص في موضوع البعث فبقول العهد القديم " لقد رأيت شراً مقيتاً تحت الشمس ثروة مدخرة لغير صاحبها، أو ثروة تلفت في مشروع خاسر ولم يبعه (صاحبها) لأبنه الذي أنجبه شيئاً ..... إذ أنه يفارق الدنيا كما جاء

---

(1) **أيوب**، ٣٤ : ١٥.
(2) **مزامير**، ٨٩ : ٤٨.
(3) **مزامير**، ٣١ : ٥.
(4) **تكوين**، ٣٨ : ٧.
(5) **صموئيل الأول**، ١: ١٢ – ١٩.
(6) **حزقيال**، ١٨ : ٤.
(7) جاك شورون، **الموت في الفكر الغربي**، عالم المعرفة – الكويت، ص ٩١.
(8) **جامعة**، ٣ : ١٨ – ٢٠.
(9) هوستن سمين، **أديان العالم**، مرجع سابق، ص ٣٤٦.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

فأي منفعة له إذ أن تعبه أدراج الرّياح، وينفق أيضاً كل حياته في الظلمات يُقاسي من الأسى والعتم والمرض والسخط "[١].

" في الظلام يذهب، واسمه يغص بالظلام "[٢]. فالجزاء والعقاب والثواب كانت في أسفار العهد القديم الأولى مقصورة على الحياة الدنيا ولم يكن هناك فكرة للبعث أو الآخرة إنما كان الاهتمام موجهاً للحياة الدنيا لأن الموت هو نهاية حياة البشر ومصيرهم في الهاوية والظلمة.

" عد يا رب نج نفسي، خلصني من أجل رحمتك لأنه ليس في الموت ذكرك، في الهاوية من يحمدك "[٤]. " ليس الأموات يسبحون الرب ولا من ينحدر إلى أرض السكون "[٥].

وهذا المكان المظلم هو مكان يلتقي فيه الموتى جميعهم الطيب والخبيث ولا يستثنى منه احد وهو ما يسمى شؤول ومن نادى بذلك هم (الصادقيون)[٦] الذين أنكروا البعث والجزاء وقالوا أنه في الدنيا، ومن جهة أخرى فقد قامت فرقة يهودية وهي " الفريسيون "[٧] ونادت بالبعث وقيام الأموات والعقاب والثواب.

وأما فرقة السامريين "[٨] هي الفرقة الوحيدة التي تؤمن بشكل واضح وصريح بالقيامة والحساب والعقاب وتؤمن بوجود الملائكة "[٩] وقد اعتبر الباحثون أن ظهور فكرة البعث إنما جاءت بعد السبي البابلي.

---

[١] **جامعة**، ٥ : ٢٠١٣

[٢] **جامعة**، ٦ : ٤.

[٤] **مزمور**، ٦ : ٤ – ٥.

[٥] **مزمور**، ١١٥ : ١٧.

[٦] وسمي كذلك نسبة إلى صادوق الكاهن الأعظم في عهد سليمان، ينكرون البعث والحياة الآخرة والتلمود وينكرون المسيح المنتظر، أحمد شلبي، اليهودية، ص ٢٢٢.

[٧] ويسمون أنفسهم الأحبار أو الربانيون، يعتقدون بأزلية التوراة، يعتقدون في البعث والحياة الآخرة والتلمود والمسيح المنتظر، شلبي، ص ٢١٨.

[٨] السامريون، فرقة يهودية في نابلس تؤمن بالقيامة والحساب والبعث والملائكة، وهي فرقة منبوذة عن اليهود، وعددهم لا يصل إلى بعض المئات احمد شبلي، اليهودية، ٢١٥..

[٩] حسين عودات، الموت في الديانات الشرقية، ط١، ١٩٨٦م، ص ٩٠.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

يقول الدكتور أحمد شلبي " ومن تعاليم هذه الديانة " الزرادشية ديانة الفرس " اقتبس اليهود الاعتقاد في الحياة الآخرة بعد الموت، ولأول مرة عرفوا أن هناك جنة ونار، فنقلوا ذلك الاعتقاد إلى دينهم "[١]. أما القيامة والآخرة في العهد القديم، فهي عبارة عن تعبير عن غضب الرب، وإظهار قدرته:" لذلك أزلزل السموات تتزعزع الأرض من مكانها في سخط رب الجنود وفي يوم حمو غضبه، ويكون كظبي طريد وكغنم بلا من يجمعها ". وورد أيضاً " هو ذا يوم الرب قادم قاسياً يسخط ،وحمو غضب ليجعل الأرض خراباً ويبيد منها خطاتها ". " فإن نجوم السماء وجبابرتها لا تبرز نورها، تظلم الشمس عند طلوعها والقمر لا يلمع بضوئه، فأعاقب المسكونة عن شرها، والمنافقين على إثمهم، أبطل تعظم المتكبرين، وأضع تجبر الطغاة "[٢]. " وأقسم الرب بفخر يعقوب أني لن أنسى إلى الأبد جميع أعمالهم رأيت من أجل هذا ترتعد الأرض وينوح كل ساكن فيها وتطموا كلها وتفيض وتنضب كنيل مصر ويكون في ذلك اليوم، يقول السيد الرب، أني أغيب الشمس في الظهر وأقيم الأرض في يوم نوراً "[٣].

وإنني لم أجد سوء إشارات إلى القيامة– وهي أيضاً إشارات مضطربة ولا تخبر عن اليوم الآخر – فربما هي عقوبات دنيوية ينزلها الرب على الخطائين، ربما أنها إشارة إلى القيامة.

أما الآخرة فلا تختلف كذلك في اضطراب مفهومها لدى اليهود. وقد وردت " فرأى الرب ورذل من الغيظ بنيه وبناته، وقال أحجب وجهي عنهم، وانظر ماذا تكون آخرتهم وإنهم جيل متقلب أولاد لا أمانة فيهم "[٤]. " إنهم أمة عديمة الرأي ولا بصيرة فيهم لو عقلوا لقطوا لهذه وتأملوا آخرتهم "[٥].

" صار في الأرض دهش وقشعريرة الأنبياء يتنبئون بالكذب، والكهنة تحكم على أيديهم، وشعبي هكذا أحب، وما تعملون في آخرتها "[٦]. ولم تذكر الآخرة هنا بصورة واضحة دالة على الحياة لما بعد الموت ولكن ورد بشكل واضح إنكار للحياة الآخرة من خلال:

١- إنكار سليمان في سفر الجامعة للبعث والحياة الآخرة " إنه لا شيء خير من أب يفرح الإنسان بأعماله، لأن في ذلك نصيبه لأنه من يأتي به ليرى ما سيكون بعده "[٧].

---

(١) أحمد شلبي، اليهودية، مرجع سابق، ص ٩٦، ديتر تستمرلينغ، **النهايات الهوس القيامي الألفي**، ترجمة ميشيل كيلو، قدش للنشر والتوزيع، ط١، ١٩٩٩، سوريا، ص ٤٣.

(٢) **اشعيا**، ١٣: ٩ – ١٤.

(٣) **عاموس**، ٨ : ٧ – ٩.

(٤) **تثنية**، ٣٢: ٢٠ – ٢١.

(٥) **تثنية**، ٣٢: ٢٨ – ٢٩.

(٦) **أرميا**، ٥ : ٣٠.

(٧) **جامعة**، ٣: ٢١ – ٢٢.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

٢- لأن الأحياء يعلمون أنهم سيموتون، أما الموتى فلا يعلمون شيئاً وليس لهم أجر بعد، لأن ذكرهم قد نسي "[١]. إلاّ أننا قد نفهم من بعض الإشارات الواردة في العهد القديم إلى وجود القيامة والآخرة الجزاء ومن ذلك. " وبعد أن يفني جلدي هذا، وبدون جسدي أرى الله الذي أراه أنا لنفسي، وعيناي تنظران، وليس آخر "[٢].

وفي ما ورد على لسان سليمان من سفر الجامعة " فلنسمع ختام الأمر كله، اتق الله واحفظ وصاياه، لأنه هذا هو الإنسان كله لأن الله يحضر كل عمل إلى الدنيوية على كل خفي إن كان خيراً أو شراً "

" والدنيوية تعني الحساب حيث يدين الله كل إنسان بعمله ولعله أكثر النصوص وضوحاً في الإشارة إلى البعث والقيامة "[٣].

الثواب والعقاب في الأخلاق الفردية:

الجزاء والعقاب في العهد القديم موجودٌ وواضحٌ في العهد القديم فهناك جنة ونار وحساب وثواب وعقاب مع الاختلاف في طبيعتها وغياب احوالهم.

إلاّ أننا في هذا المبحث سنراعي الجزاء والعقاب عند الفرق اليهودية كلها كما وردت في العهد القديم المؤيد لوجود الجزاء والنافي من غير تحيز لرأي معين.

وستعتمد في ذلك على نصوص العهد القديم وبناء على ذلك نرى أن الجزاء والعقاب في العهد القديم يتمثل بما يلي:

أولاً: الجزاء الدنيوي، على الأخلاق الفردية، وفيه:

١- الجزاء المادي. ٢- الجزاء المعنوي.

ثانياً: الجزاء الأخروي على الأخلاق الفردية، وفيه:

١- الجنة ٢- النار.

---

(1) **جامعة**، ٩ : ٥.

(2) **أيوب**، ١٩ : ٢٥ – ٢٧.

(3) عابد توفيق الهاشمي، **التربية في التوراة**، مؤسسة الرسالة، ط١، ٢٠٠٠م، ص ٨١.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

المطلب الثاني: الجزاء الدنيوي:

لقد أخذ الجزاء الدنيوي عند اليهود حيزاً كبيراً فكما ذكرت أن إجماع اليهود على الحساب إنما هو حساب دنيوي فقط ولا حساب في الآخرة لأنه لا بعث ولا حياة آخرة.

حتى أن الفريسين الذين قالوا بالبعث، إنما صوروه تصويراً دنيوياً فهو الذي يأتي بعد المسيح المخلص، ويخلصهم من الأسر، والتشرد، والاستضعاف، ويقيم لهم دولتهم، ويعيد لهم ملك داوود وسليمان، ويعيد بناء الهيكل "[١].

إذاً فالجميع يقر بوجود الجزاء والعقاب الدنيوي مادياً أو معنوياً.

أ) الثواب والعقاب الدنيوي المادي للأخلاق الفردية:

ورد في كثير من الأسفار ذكر للثواب والعقاب الدنيوي سواء عن الأخلاق أو غيرها.

الثواب: الكثير من النصوص في العهد القديم ذكرت الثواب الدنيوي المادي ،وبشكل صريح وواضح ،ومنها " إذا سلكتم في فرائضي وحفظتم وصاياي وعملتم بها أعطي مطركم في حينه وتعطي الأرض غلتها وتعطي أشجار الحقل أثمارها ويلحق دراسكم بالقطف ويلحق القطاف بالزرع فتأكلون خبزكم للشبع وتسكنون في أرضكم آمنين "[٢].

نرى وبشكل واضح أن من يتقيد بتعاليم الرب ويحفظ وصاياه – التي تنص في كثير منها على التزام الأخلاق ،– فإنه يثاب بها في الدنيا وذلك بإنزال المطر في وقته مما يؤدي إلى كثرة الثمار ومن ثم الشبع والحياة الآمنة.

وجاء أيضاً " أكرم أباك وأمك كما أوصاك الرب إلهك لكي تطول أيامك ولكي يكون لك خبز على الأرض التي يعطيك الرب إلهك "[٣].

فجزاء ومثوبة الشخص الذي يكرم أباه وأمه أن تزيد أيام حياته فلا يموت مبكراً – لأن الموت عقوبة- بل وأن الرب يعده بإشباعه الخبز وإغنائه عن الحاجة – كما يفهم من النص - .

ويقول العهد القديم " من أجل أنكم تسمعون هذه الأحكام وتحفظون وتعملونها يحفظ لك الرب إلهك العهد والإحسان الذين أقسم لأبائك يحبك ويباركك ويبارك ثمرة بطنك وثمرة أرضك قمحك وخمرك وزيتك ونتاج بقرك وإناث غنمك على الأرض "[٤].

---

(1) عبد الواحد وافي، **الأسفار المقدسة**، مرجع سابق، ص ٣٤.

(2) **لاويين**، ٣٦ : ٣.

(3) **تثنية**، ٥ : ١٦.

(4) **تثنية**، ١٢ : ١٦.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ويقول " فإذا سمعتم لوصاياي التي أنا أوصيتكم بها اليوم لتحبوا الرب إلهكم وتعبدوه من كل قلوبكم ومن كل أنفسكم أعطي مصر أرضكم في جنة المبكر والمتأخر فتجمع حنطتك وخمرك وزيتك "[٥].

فهذه المثوبة الدنيوية إلى الآن يلاحظ عليها أنها مثوبة مادية متمثلة بالأكل والشراب، وإطالة العمر، ومنها أيضاً دفع المرض عنهم:" وتعبدون الرب إلهكم فيبارك خبزك، وماءك وأزيل المرض من بينكم "[١].

" اسمع يا بني وأقبل أقوالي فتكثر سنو حياتك "[٢].

أما الثواب الأعظم لليهود،فهو ظهور المسيح المخلص، لتحقيق الخلاص القومي لشعبة، وإقامة مملكة الله السماوية لتعويض ضياع المملكة الأرضية، وسيحقق إقامة مملكة الله عز وجل على الأرض في نهاية الأيام[٣].

أما العقاب المادي الدنيوي على الأخلاق الفردية فهي تتمثل بالموت " الإماتة من الرب للعبد الذي يخطئ " وهي من اكبر العقوبات التي يواجهها الفرد ويخاف منها اليهودي وذلك لما قلناه من قبل أن كثير من اليهود لا يؤمنون بوجود حياة آخرة فنهاية الحياة والموت تعتبر لديهم من أشد العقوبات.

" وكان عير بكر يهوذا شريراً في عيني الرب فأماته الرب "[٤].

فقبح في عيني الرب ما فعله فأماته أيضاً[٥].

فهذه العقوبة التي يعاقب بها الرب من كان شريراً، أو فعل فعلاً قبيحاً.

" لا تكشفوا رؤوسكم ولا تشقوا ثيابكم لئلا تموتوا ومن باب خيمة الاجتماع لا تخرجوا لئلا تموتوا، وكلم الرب هارون قائلاً خمراً مسكراً لا تشرب انت وبنوك معك عند دخولكم إلى خيمة الاجتماع لكي لا تموتوا "[٦].

العقاب الدنيوي المادي:

١- " فحمى غضب الرب على عزة وهي عقوبة الضرب من الرب وعقوبة الموت ".

٢- التدمير: من أجيل أنكم لم تسمعوا كلامي ها أنذا آتي بهم " أي جيش نبوخذ نصر " على هذه الأرض فأمر منهم وأجعلهم دهشاً وخرباً أبدية "[٧] وجاءت هذه

---

(5) **تثنية**، ١١ : ١٣.

(1) **خروج**، ٢٣: ٢٥.

(2) **أمثال**، ٤ : ١٠.

(٣) محمد مجد عبد المجيد، **اليهودية**، مركز الدراسات الشرقية، القاهرة، دط، ص ٣٨.

(٤) **تكوين**، ٣٨: ٧.

(٥) **تكوين**، ٣٨ : ١٠.

(٦) **لاويين**، ١٠ : ٦، ٧.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

العقوبة عندما أرسل الرب إلى مملكة إسرائيل ملك أشور فسبى اليهود في المملكة الشمالية، وأرسل عليهم نبوخذ نصر فسبى اليهود في المملكة الجنوبية "[٨].

٣- الهزيمة أمام الأعداء: " واجعلهم يسقطون بالسيف أمام أعدائهم ..... واجعل جثثهم أكلاً لطيور السماء "[١] والله سلط عليهم أعداءه من كثرة معاجهم وارتكابهم المحظورات وأخلاقهم السيئة.

٤- حرق أورشليم: وتتمثل هذه العقوبة في بعث نبوخذ نصر مرة أخرى وسبي جميع اليهود وحرق أورشليم بقصورها " من أجل ذنوب يهوذا .... لا أرجع عنه لأنهم رفضوا ناموس الله .... فأرسل ناراً على يهوذا فتأكل قصور أورشليم "[٢].

٥- ويتجلى العقاب الدنيوي على الأخلاق – بخاصة الفردية – بشكل واضح من خلال العقاب الشامل، لأنهم لم يتناصحوا ولم ينتهو المنكر ويأمروا بالمعروف " ها أنذا عليك وأستل سيفي من غمده فأقطع منك الصدّيق والشرير "[٣].

٦- السبي: " وأبددهم في امم لم يعرفوها "[٤]، فقد هددهم الرب بأنهم إن لم يسمعوا الوصايا ويتخلقوا بما أمرهم بالسبي " وسبى ملك أشور إسرائيل لأنهم لم يسمعوا لصوت الرب إلههم ".

٧- خراب الأرض: واجعل أورشليم رجماً ومأوى بنات آوى (حيوانات تعيش في المدن الخربة المهجورة، ومدن يهوذا اجعلها بلا ساكن "[٥].

٨- النفي: " فغضب الرب جداً على إسرائيل، ونفاهم من أمامه "[٦].

٩- ومن العقوبات المادية الدنيوية الحدود والقصاص والتعزير، أما الحدود فهي الرجم والقتل وغيرها، فقد جاء في: القتل:" إذا وجد رجل مضطجعاً مع امرأة متزوجة يقتل الاثنان"[٧]. " من سب أباه أو أمه فإنه يقتل"[٨] فالحد هنا القتل. وفي الرجم:" وإن كانت العذراء الحرة مخطوبة زنى بها غير خطيبها في الحقل لا ترجم وإنما يرجم الزاني وحده"[٩]، فالحد هنا الرجم. أما القصاص:" ولكن إذا

---

(7) أرميا، ٢٥: ٨ – ٩.
(8) محمد الخولي، **اليهودية في كتابهم**، مرجع سابق، ص ٨٥.
(1) **أرميا**، ١٩ : ٧.
(2) **عاموس**، ٢: ٤ – ٥.
(3) **حزقيال**، ٢١: ٣.
(4) **ملوك الثاني**، ١٨ : ١١ – ١٢.
(5) **أرميا** ، ١١ : ١٦.
(6) **ملوك الأول**، ١٧ : ٧ – ٢٣.
(7) **تثنية** ٢٢:٢٢
(8) **خروج** ٢١: (١٥:١٧).
(9) **خروج** ٢٢: (١٦:١٧).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

كان إنسان مبغضاً لصاحبه فقام عليه وقتله ... يدفعونه إلى ولي الدم فيموت"[١٠]. " وإن حصلت أذيه تعطى نفساً بنفس وعيناً بعين وسناً بسن ورجلاً برجل وكي بكي وجرح بجرح ورضاً برض"[١]. أما التعزير فمنه الاتهام والقذف فإن عقوبة التغريم بالمال والتأديب[٢].

الثواب والعقاب المعنوي الدنيوي للأخلاق الفردية:

ويتمثل هذا الجزاء بشقيه الثواب والعقاب بما يلي:

أولاً: الثواب:

الثواب المعنوي الدنيوي للأخلاق الفردية:

وتتمثل هذه الجزاءات الثوابية بالرضا والمباركة والشعور بالأمن وهي جزاء دنيوي معنوي ومنها:

١- يقول العهد القديم لمن اتبع وصايا العهد القديم – بما فيها من أخلاق – واتباع فرائض الرب: " وتعبدون الرب إلهكم فيبارك خبزك وماءك وأزيل المرض من بينكم "[٣]. فالرب يبارك لهؤلاء المحسنين طعامهم وشرابهم وأيضاً في أيام حياتهم " اسمع يا بني واقبل أقوالي فتكثر سنو حياتك "[٤].

٢- الرضا ويعني رضا الرب عنهم ورضاهم عن أنفسهم: " أنا الرب إلهكم الذي ميزتكم عن الشعوب تكونون لي قديسين لأني قدوس، أنا الرب وقد ميزتكم عن الشعوب لتكونوا لي "[٥] فالرب رضي عليهم واصطفاهم " تكونون لي خاصة من بين كل الشعوب "[٦].

الشعور بالأمن " إذا سلكتم في فرائض وحفظتم وصاياي... تأكلون خبزكم للشبع وتسكنون في أرضكم آمنين "[٧]. فالشعور بالأمن من أهم هذه الجزاءات لأن عليه تقوم الحياة الهادئة المطمئنة.

ثانياً: العقاب:

١- الإذلال والشعور بالهزيمة: فالإسرائيليون قد نقضوا عهد الرب ولم يلتزموا بميثاقه فحقت عليهم كلمة العذاب وفقدوا استحقاقهم الاصطفاء والتفضيل على العالمين، وقد نقض بني إسرائيل وبني يهوذا عهدي الذي قطعته مع آبائهم "[٨].

---

(10) **تثنية** ١٩: (١١:١٣).
(1) **خروج** ٢١: (٢٣- ٢٥).
(2) **تثنية** ٢٢: (١٩- ١٣).
(٣) **خروج**، ٢٣ : ٢٥.
(٤) **أمثال**، ٤ : ١٠.
(٥) **اللاويين**، ٢٠ : (٢٥ - ٢٦)
(٦) **خروج**، ١٩ : (٥ : ٦)
(٧) **لاويين**، ٢٦ : ٣.
(٨) **حزيقال**، ٢٣ : ١ - ١٨.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ويقول العهد القديم مخاطباً أورشليم السافكة الدم في وسطها " فلذلك جعلتك عار للأمم وسخرة لجميع الأرض القريبة إليك والبعيدة عنك يسخرون منك يانجسة الاسم: يا كثيرة الشغب "[٩].

فالله تعالى – جعلهم سخرية وأذلهم بين الشعوب والإذلال شعور نفسي يصيب الإنسان.

" فرذّل الرب كل نسل إسرائيل، وأذلهم، ودفعهم ليد ناهبين "[١] لأنهم اخطئوا ولم يلتزموا وصايا الرب الذي وصاهم بها ولم يسيروا على الأخلاق التي أمرهم بها.ويقول الرب كذلك في عدم حفظ وصاياه – والتي توصي بحسن الخلق – وفرائضه.

" أو يكون إسرائيل مثلاً وهزأه في جميع الشعوب، وهذا البيت يكون عبرة كل من يمر عليه ويتعجب: ويقول لماذا عمل الرب هكذا لهذه الأرض ولهذا البيت؟ "[٢].

ويقول أيضاً في العقاب عن عدم الوفاء بالأمانة " أولاد لا أمانة لهم هم أغاروني بما ليس الها .... قلت: بروهم إلى الزوايا، وأبطل من الناس ذكرهم "[٣].

٢ – لعن الرب لهم وغضبه وكرهه لهم:

ويظهر ذلك من خلال النصوص التي تؤكد عدم التزامهم بالأخلاق والوصايا والفرائض التي أمرهم بها الرب.

" ولكن إن لم تسمع لصوت الرب إلهك تأتي عليك جميع هذه اللعنات "[٤] أما الكره والغضب وعدم الرضا عنهم:

" فأتاها بنو بابل في مضجع الحب ونجسوها بزناهم، فنجت بهم، وكشفت عورتها فجفتها نفسي "[٥]

ومن الغضب جاء نتيجة لارتكاب خلق (الزنا) وعدم العفة فالرب حذرهم من هذا الخلق الذميم ووعدهم بغضبه وكرهه له.

وأما عن خلق نقض العهد والعقوبة الدنيوية عليه فتتمثل بقول الرب " ونقض بيت إسرائيل وبيت يهوذا عهدي .... عليهم يصرخون إلي فلا أسمع لهم "[٦].

فالله تعالى - لا يستجيب إلى ندائهم ولا إلى دعائهم لأنه غضب عليهم، لأنهم نقضوا العهد والميثاق.

وفي الغضب على أنبيائه، فإن الرب غضب على سليمان الذي قارف الذنوب ولم يعمل كما وصاه الرب وسار مع النساء القريبات اللاتي أملن قلبه عن طاعة الرب:" وعمل سليمان الشر في عيني

---

[٩] **حزيقال**، ٦ : ٣ – ٦.
[١] **ملوك الأول**، ١٧ : ٧ – ٢٣.
[٢] **ملوك الأول**، ١٧ : ٧ – ٢٣.
[٣] **تثنية**، ٩ : ٦ – ٨.
[٤] **تثنية**، ٢٨ : ١٥ – ٢٦.
[٥] **حزقيال**، ٢٣ : ١ – ١٨.
[٦] **أرميا**، ١٥ : ٧.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الرب، ولم يتبع الرب كداوود أبيه، فغضب الرب على سليمان "[٧]. والله كره اليهود لسوء أفعالهم، وكراهة مقالهم:" من أجل أفعالهم اخرجوهم من بيتي لا أعود أجلهم "[٨]. والله رفضهم لكثرة معاصيهم " إن أنا ارفض كل نسل إسرائيل من أجل كل ما عملوا بقول الرب "[٩] .

المطلب الثالث: الثواب الأخروي على الأخلاق الفردية:

أولاً: الجنة:

ورد ذكر الجنة في العهد القديم بما فيها من رؤية الله تعالى فقد جاء في سفر التثنية وقال: " سأحجب وجهي عنهم فأرى ماذا يكون مصيرهم "[١]

إلاّ أنه قد وردت إشارات مضطربة أيضاً في وجود الجنة،رغم الاختلاف في كونها حسية أو معنوية[٢].

فيقول العهد القديم " وأخذ الرب الإله آدم ووصفه في جنة عدن ليعلمها ويحفظها وأوصى الرب آدم قائلاً: من جميع شجر الجنة تأكل أكلاً "[٣].

وجاء سفر أشعيا " أيها العطاش جميعاً هلموا إلى الحياة والذي ليس له فضة تعالوا اشربوا وكلوا وهلموا واشتروا بلا فضة وبلا ثمن خمراً ولبناً "[٤].

وفيها إشارة إلى أن نعيم الجنة محسوس، وهو جزاءٌ لمن سار على الطريق الصحيح وحفظ وصايا الرب.

ثانياً: النار:

إن النار كمكان للعقاب في العالم الآخر، غائب تماماً عن العهد القديم ،وإن ظهر فإنما ظهر في القرن الثالث قبل المسيح – عليه السلام - وبتأثر من الحضارات الأخرى[٥]. وإن ذكرت النار في العهد القديم، فإن ذكرها كان واضحاً ودالاً على أنها عقوبة لم ترتبط بفترة زمنية، ولم تذكر تفاصيلها وأحوالها.

فجاء في العهد القديم:" وإن الله خلق خلقاً وتفتح الأرض فاها فينزلون إلى الثرى هؤلاء القوم الذين عصوا الله وقال أحجب رحمتي عنهم وأريهم عاقبتهم وكما أنهم كادوني بغير إله، وأغضبوني بغزو لأنهم كذلك إني أكيدهم، لأن النار تتقدح من غضبي، وتتوقد إلى أسفال الثرى،

---

[٧] **ملوك** الأول، ١١ : ١٠.
[٨] **هوشع**، ٩ : ١٥.
[٩] **أرميا**، ٣١ : ٣٧.
[١] **تثنية**، ٣٢: ٢٠ : ٢٤.
[2] ظفر الإسلام خان، **التلمود تاريخه وتعاليمه**، دار النقاش – بيروت، ص ٧٨.
[3] **تكوين**، ٢ : (١٥ - ١٦).
[4] **أشعيا**، ٥٥ : (١ -٢٠).
[5] جورج منبوا، **تاريخ جهنم**، انطوان إ. الهاشم، منشورات عويدات، بيروت، ص ٤١.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

فتأكل الأرض نباتها "[٦]. وجاء أيضاً " ويمرقون ينظرون إلى أجسام القوم الذين كفروا بـي: إن دودهم لا تموت ونارهم لا تطغى فيصيرون عبرة لباقي البشريين "[٧].

وجاء أيضاً " وأنت يا رب فإلى متى " ننظر " ارجع يا رب وحرّر نفسي، أنقذني بفضل رحمتك، إذ ليس في عالم الموت من يذكرك، أو في مقرِّ الأموات من يسبحك "[٨].

ولكن – كما ذكرنا سابقاً - فقد وردت صفات لمكان يذهب إليه الأموات مظلم تحت الأرض وهو مكان مخيف تذهب إليه نفوس الجميع "[١].

وقد أطلق عليها البعض اسم الهاوية[٢].

إذا ما نراه أن الجزاء على الأخلاق الفردية بعقوبة النار هي واضحة في العهد القديم.

---

[6] **تثنية**، ٣٢: (٢٠ - ٢٤).
[7] **أشعيا**، (٣٠ - ٣٣).
[8] **مزامير**، ٦ : (٤ -٦).
[1] **أيوب**، ١٤ : (١ - ٦)، ٧ : (٩ - ١٠).
[2] **جامعة**، ٩ : (٧ - ١٠)، **مزامير**، ٦ : (٤ – ٥).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الفصل الثاني

القيم الأخلاقية الفردية في القرآن الكريم

- المبحث الأول: الإلزام والمسؤولية في الأخلاق الفردية.

- المبحث الثاني: مظاهر الأخلاق الفردية وصورها.

- المبحث الثالث: الجزاء والعقاب في الأخلاق الفردية.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

المبحث الأول: الإلزام والمسؤولية في الأخلاق الفردية:

المطلب الأول: الإلزام:

حين يلتزم المسلم بالأخلاق السوية ويجاهد نفسه لينأى بها عن الأخلاق السيئة في مستواها الفردي، فلا شك أن مثل هذا الإلزام يرجع إلى أسباب تكيّف اتجاهات الفرد نحو هذه الأخلاق، مما ينبني عليه تكييف سلوكه أيضاً، وفق هذه المعايير النابعة من هذه الأسباب.

والملاحظ أن تلك الأسباب التي تدعو الإنسان إلى الالتزام الطوعي بالأخلاق، المبني على القناعة العقلية والارتياح النفسي، هي ذاتها التي تشكل مصادر الإلزام من جهة أخرى، مما يعني أن القرآن الكريم بيّن إلزامه الأخلاقي وشكل مصادر هذا الإلزام وفق الأسباب ذاتها التي تدفع الإنسان إلى الإلتزام ذاتياً، وهذا فرق جوهري بين طبيعة الإلزام القرآني ومسؤولية الفرد عن أخلاقه في القرآن وبين الكثير من النظريات التي تبنى الإلتزام على الإلزام، أي أن الفرد يلتزم بالقيم والمعايير الأخلاقية حسب هذه النظريات لمجرد أنها تستند إلى مصادر إلزامية، كما لاحظت في الفلسفات اليونانية القديمة، وكذلك في بعض النظريات الأخلاقية الاجتماعية[١].

أما في القرآن الكريم فالإلتزام ليس أثراً فقط من آثار الإلزام الذي لا علاقة للفرد به، بل إن القرآن يقدم هذه الأخلاق مع مبرراتها الموضوعية التي توافق العقل، وتناسب فطرة الإنسان وقدرته على التمييز بين الأخلاق الحسنة وغيرها في كثير من مفردات هذه الأخلاق. فيمكننا إذا أن نقول إن الأسباب الداعية للالتزام هي ذاتها مصادر الإلزام، يدلنا على ذلك قول الرسول الكريم - ﷺ - وهو خير من يفصل القرآن الكريم:" بعثت لأتمم حسن الأخلاق"[٢]. فالقرآن وهو مما بعث به النبي- ﷺ- يؤكد على أن الأخلاق موجودة قبله، وهو يدعو الناس إلى الإلتزام بها باستدعاء وتحريك هذه القيم الأخلاقية التي يقبلون الإلزام بها مسبقاً، ثم ينطلق من هذا التوافق ليمنح هذه الأخلاق قوة الإلزام، حيث يقول- تعالى -:" فَمَنْ حَاجَّكَ فِيهِ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ وَأَنْفُسَنَا وَأَنْفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَلْ لَعْنَةَ اللهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ"[٣]. فالكذب خلق متفق على نبذه، ووضعه في الجانب السلبي للأخلاق لدى الداعي وهو النبي - ﷺ - ولدى الشخص المدعو إلى هذه المباهلة، ولم يحتج النص أن يدلل على أن الكذب خلق رديء وليس هدف المباهلة تبيين ما إذا كان الكذب خلقاً حسناً أم غير حسن، بل تبيين الصادق من الكاذب، أما الكذب كخلق سيء مذموم فليس محل اختلاف، بل هو شيء يلتزم نبذه والحيدة عنه جميع الفرقاء، ولو كان ذلك الإلزام في إطاره النظري فقط عند البعض.

---

[١] عبد الله الرشدان: **المدخل إلى التربية والتعليم**، ص٦١.

[٢] الامام مالك بن أنس، **الموطأ**، كتاب حسن الخلق حديث رقم٨، أخرج أحاديثه محمد فؤاد عبد الباقي، قال ابن عبد البر: هو حديث صحيح متصل من وجوه صحاح عن أبي هريرة وغيره ص٥٦٤، دط.

[٣] آل عمران، آية ٦١.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وسبب الإلزام هنا هو كون الكذب قولاً مخالفاً للواقع فهو قبيح بذاته، ولذلك لم تدعُ الحاجة في جميع المواطن التي نُهي بها عن الكذب في القرآن إلى تدليل منطقي وعرض لأسباب هذا النهي.

بل إن ما جاء القرآن ليعالجه من معايير أخلاقية فاسدة تواضع عليها البشر نتيجة الخرافات الاجتماعية، إنما عالجها بتنبيه العقول إلى أن هذا السلوك الأخلاقي الفاسد ينحرف عن معيار أخلاقي صحيح تقره تلك الجماعة البشرية وتلتزم به، ويرده الفرد أيضاً بناء على هذا المعيار، فإذا كان الفرد لا يقبل الظلم لنفسه ويرفض أن يؤاخذ بغير جريرة، ويحب العدل ويحب أن يعامل بالعدل ولا يحتاج في ذلك إلى ضغط اجتماعي يرغب بهذه القيمة، فإن هذا المعيار هو ما يجب أن ينظر إليه ذلك الفرد ويراعيه عندما ينحرف عنه إلى سلوك يجافي هذا المعيار الذي يلتزم به طوعاً، وفي هذا الإطار يرفض القرآن وأد البنات :" وَإِذا الْمَوْءُودَةُ سُئِلَتْ ۞ بِأَيِّ ذَنْبٍ قُتِلَتْ "[١].

وانطلاقاً من تقرير هذه العلاقة التوافقية بين الأسباب الداعية للالتزام بالقيم الأخلاقية - ونحن هنا نركز على المستوى الفردي – يمكننا محاولة استجلاء طبيعة المسؤولية الأخلاقية ومصادرها التي تأخذ قوة الإلزام.

ويمكن القول بأن مصادر هذا الإلزام في القرآن الكريم قد جاءت شاملة لجميع العناصر التي يمكن أن تكون عامل التزام بصورة من الصور بخلاف المذاهب الأخلاقية الأخرى كما يرى الدكتور " مقداد يلجن "[٢]. وقد رأيت مصداق ما ذهب إليه في عرضنا لتباين النظرة بين علماء النفس وعلماء الاجتماع، وكذلك بين الفلسفات القديمة والفلسفات الحديثة، حيث تنبع الأخلاق من ضغط المجتمع فقط عند الاجتماعيين، بينما تنبع من إحساس أخلاقي لدى الفرد يدفعه بصورة آلية نحو الأفعال كما نرى بعض المذاهب النفسية ومنها مدرسة الفيلسوف "هيوم"[٣]. في حين نظرت الفلسفات المثالية إلى أن منبع الإلزام هو عصمة الجهة الآمرة بها- رغم بشريتها-، أما البرجماتيون فيحصرونها في مصدر واحد، وهو تحقيق المصلحة المادية وبهذا تكتسب إلزامها.

وهنا نعرض القوى الإلزامية أو مصادر الإلزام للأخلاق الفردية كما يمكن استجلاءها من القرآن الكريم وهي:

- أولاً: قوة الإلزام باعتبار الجهة الآمرة وهو الله تعالى.
- ثانياً: قوة الإلزام باعتبار معيار الحسن والقبح

---

[١] التكوير، ٨ – ٩.
[٢] مقداد يلجن: **علم الأخلاق الإسلامية**. ط ٢، ص ٢٥٠.
[٣] فرنسواغريفوار: **المذاهب الأخلاقية الكبرى**. ص ١٠١.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

- ثالثاً: قوة الإلزام الاجتماعي " رقابة المجتمع على سيادة القيم الأخلاقية "
- رابعاً: قوة الإلزام الداخلي " ضمير الفرد ".

أولاً: قوة الإلزام باعتبار الجهة الآمرة " وهو الله تعالى " .

وقبل الخوض في توضيح هذا المصدر لا بد من أن نقرر أننا لا نجد في غير القرآن الكريم خطاباً دينياً يعبر عن كلمة الله للناس، يمكن التعبير عنه بأنه خطاب (غير تسلطي)، إذ دائماً ما تتسم هذه النصوص المقدسة – في غير القرآن الكريم – بروح تسلطية عالية لا تتجه في خطابها للعقل لتوجيه قناعاته، ولا إلى الوجدان لتحريك دوافعه و تنبيه استعداداته، بل تلقي الأوامر معتضدة بقوة مصدرها،ثم تتعدى هذه التسلطية النص إلى من يمثله – من رجال الدين الذين اكتسبوا عبر العصور هذه القوة التسلطية المغلفة بقداسة خاصة، ترفعهم عن مستوى البشر العاديين، وتشعرهم بعدم الحاجة إلى البرهنة على أقوالهم، أو إلى الوقوف مع المخاطبين على أرضية واحدة من الفهم، بل يكتفون بنقل هذا الخطاب التسلطي بذات الروح التسلطية التي سرت منه إليهم.

أما الخطاب القرآني – مع كونه خطاباً علوياً مقدساً – فيقدم مبرراته العقلية ويتكلم مباشرة إلى الإنسان ككائن مكرم جدير بأن تحترم خصوصيته، وتقدر فيه تلك الخاصية الكريمة التي أودعها الله فيه وهي العقل، ليكون إلزامه بعد ذلك أثراً طبيعياً لخطاب عقلي منطقي علمي.

ننظر في قوله تعالى: " إِنَّ رَبَّكُمُ اللهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّام ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ يُغْشِي اللَّيْلَ النَّهَارَ يَطْلُبُهُ حَثِيثًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومَ مُسَخَّرَاتٍ بِأَمْرِهِ أَلا لَهُ الْخَلْقُ وَالأَمْرُ تَبَارَكَ اللهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ "[1].

إن العقل السليم لا يسعه أن يصدق بأن الله له الخلق – والقرآن محشود بالدلائل العقلية على أن الله خالق كل شيء – ثم لا يأخذ بالحقيقية الثانية وهي أنه صاحب الأمر، إذ إن العقل المستقيم سيدرك تلك المفارقة والمغالطة المتمثلة بالإيمان بأن الله يستطيع أن يخلق السموات والأرض وما بينهما ويدير حركة الأفلاك ويسوق الغذاء إلى كل نبتة ويطعم ويرزق ويعز ويذل ويحي ويميت، بربوبية مطلقة وقدرة كلية وعلم دقيق، لكنه لا يمكنه أن يزود عباده بالتشريع الذي ينظم حياتهم والمعايير الأخلاقية التي تصلح حياتهم[2].

فقوة الإلزام باعتبار الجهة الآمرة بهذه المنظومة الأخلاقية، هي قوة لا تنفي القوى الإلزامية الأخرى، ولا تصادر تلك القوى كما نرى عند النظريات الأخرى، فإن الجهة الآمرة بالأخلاق في المدرسة المثالية، هي المصدر الوحيد للإلزام الأخلاقي بحيث لا ينظر إلى

---

[1] الأعراف، آية رقم ٥٤.

[2] محمد الشافعي، **المسؤولية والجزاء في بيان القرآن الكريم**:.ط١، مطبعة السنة المحمدية، ١٩٨٢م، ١٤٠٢هـ، ص، ٢١ بتصرف.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

المجتمع الذي تتحرك في فضائه هذه الأخلاق، ولا للفرد الذي سيترجم هذه الأخلاق إلى سلوك، ولا إلى طبيعة هذه الأخلاق أهي حسنة أم قبيحة.

ونحن نلمح هذا الربط بين الأمر بالأخلاق والإلزام بخلق ما، وبين التذكير بمسوغ هذا الإلزام بحيث يستقبل المتلقي - وهو في حالة الاختيار- هذا التوجيه الأخلاقي بمعزل عن الشعور بالتسلط أو الجبرية السالبة لإرادته وأخلاقه، ومن الأمثلة التي نسوقها على ذلك قوله تعالى: " بَشِّرِ الْمُنَافِقِينَ بِأَنَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ۞ الَّذِينَ يَتَّخِذُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ أَيَبْتَغُونَ عِنْدَهُمُ الْعِزَّةَ فَإِنَّ الْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا "[١] . تعالج الآيات مرضاً من الأمراض الأخلاقية وهو خلق النفاق، وإذا كان المفهوم العام أنه مرض اجتماعي فإنه كذلك خلق فردي ذميم، وتأثيره على المستوى الفردي تأثير جسيم، فهو يخرج الفرد من دائرة الإيمان إلى أحط دركات الكفر، ومع ذلك فإن النص يوضح نهيه عن هذا الخلق بتنبيه العقول إلى الخطأ الفكري الذي يسوق الإنسان إلى هذا الخلق، وهو اعتقاده بأن خيانته لدينه لحساب فئة أخرى ابتغاء للعزة، ناشئ عن تصور خاطئ كذلك.

ذلك أن الله هو صاحب العزة لأنه العزيز، والقادر، والقاهر، وإذا كان كذلك فهو لا يُغلب. فلا مسوغ عقلياً لمثل هذا السلوك المنحرف، فالقرآن يعتني بالقناعة العقلية ويقيم العقل شاهداً على صحة ما يلزم به من معايير أخلاقية، وإذا كانت القناعة العقلية هي الوسيط بين الأمر والإلزام الإلهي والإلتزام الإنساني، فإن هذا الإلزام سيكون أصدق، وستكون إرادة الفرد متماشية مع هذا الإلزام، وفي خضوعها لقوة الإلزام بعيداً عن الجدل الذي ساقه الفلاسفة قديماً وحديثاً حول ما يتوهم من تعارض بين حرية الإنسان وانصياعه لإرادة علوية، نقول هنا مع الأستاذ محمد عفيفي:" والخوف من الله تعالى لا يتعارض مع الإلزام الخلقي، بل أنه يزيده عمقاً، ويعمل على شحذ الإرادة الخيرة، ويزيدها إيجابية بقدر ما يسهم في ثباتها وصلابتها "[٢].

ويقول الدكتور عبد الله دراز:" إن الأخلاقية الحقة ليست خضوعاً محضاً ولا ابتكاراً مطلقاً، هي هذا وذاك في وقت واحد، والموقف ليس موقف عبد مسترق ولا موقف سيد مطلق، بل هو موقف مواطن يشارك بقدر معين بالسلطة التشريعية بالاختيار والمبادرة التي يملكها... وهناك في الواقع ما هو أكثر وأفضل فحين تلتحم بالقانون المقدس، يتمثله ضميرنا ويحميه ويجعله نفسه "[١].

وما يمكن قوله هنا أن الالتحام الذي ذكره الدكتور دراز الذي يعني به هذا التوافق بين إرادة الجهة الآمرة وإرادة الفرد المتلقي لا يمكن – بتصوري – أن يحدث ولا أن يجد صداه

---

[١] النساء آية ١٣٨ – ١٣٩.

[٢] محمد عبد الله عفيفي: **النظرية الخلقية عند ابن تيمية**. ط١، ١٩٨٨، مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية، ص١٢١.

[١] محمد عبد الله دراز: **دستور الأخلاق في القرآن** ، مؤسسة الرسالة، دار البحوث العلمية، ط٧، ١٩٨٧م، ص ١٢٣ – ١٤٤.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الإيجابي في ضمير الفرد،إلا إذا كان الخطاب الآمر يخاطب عقل المتلقي، والمتلقي بدوره يتلقى هذا الخطاب بعقله أيضاً.

وهذا ما نجده في التوجيه الأخلاقي الذي يتخذ صفة الإلزام في القرآن الكريم. وليضمن النص أن يقوم المتلقي بدوره بإعمال عقله في استقبال خطاب عقلي، فإنه لا يكتفي بتوجيه خطاب عقلي للعقل، بل يذكر الفرد أيضاً بأن عليه أن يُعمل عقله في الخطاب الموجّه ليأخذ الخلق المأمور به طريقة إلى ضمير الفرد ثم سلوكه، نجد قوله تعالى مثلاً لذلك: "ولا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلاَّ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّى يَبْلُغَ أَشُدَّهُ وَأَوْفُوا الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ لا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلاَّ وُسْعَهَا وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدِلُوا وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَى وَبِعَهْدِ اللهِ أَوْفُوا ذَلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ "[٢].

إن الآية هنا تقدم مبادئ أخلاقية بأسلوب الأمر والإلزام وهي العدل في القول والوفاء بالعهد، ثم تحث العقل على أن يعمل طاقته الفكرية في تفهم هذا الأمر وتذكره ما فيه من نفع وخير. وكذلك قوله تعالى: " وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لا تُفْسِدُوا فِي الأَرْضِ قَالُوا إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ "[٣].

فهم في غفلة عن إدراك حقيقة إفسادهم وخطره، وهذا الخطأ في الإدراك نتج عنه خطأ في التصور وهم كما يقول الدكتور عبد الرحمن حبنكة:" يتصورون أن خطتهم خطة إصلاح، وأن خطة المسلمين خطة إفساد"[٤] فالآية هنا تنهى عن الإفساد، ثم ترد سببه إلى نقص في الشعور والإدراك، فهي دعوة واضحة للعقل إلى أن يتلقى مبادئ الإصلاح ورفض الفساد، بتفاعل وتفكر ينتج عنهما تصور صحيح لهذه المبادئ، والنتيجة بعد ذلك ستكون رسوخ هذا المبدأ في ضمير الفرد بإرادته واختياره، وهذا ما يميز الخطاب الأخلاقي القرآني وينزه إلزامه عن الإخضاع القهري الذي يتجاوز العقل والقناعة لدى الفرد وهكذا كله لا يقلل من هيبة الجهة الآمرة، ولا من إحساس المسلم بعبوديته لله وخشيته من رقابته.

---

[٢] الأنعام، آية ١٥٢.
[٣] البقرة آية ١١.
[٤] عبد الرحمن حبنكة: **الأخلاق الإسلامية**.ص ٥١٩.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ثانياً: قوة الإلزام باعتبار الحسن والقبح:

إن موضوع الحسن والقبح معيارٌ أخلاقي أساسي وفق النظرة القرآنية في تقسيم الأخلاق إلى طائفتين، أخلاق حسنة وأخلاق مذمومة، وقد دار خلاف علمي بين العلماء حول مرجعية التحسين والتقبيح هل هي شرعية أم عقلية، وهم يقصدون بذلك أن ما يستقبحه العقل قبل نزول الشرع لا يوصف بأنه حرام، وأن ما يستحسنه لا يوصف بأنه واجب فلا يترتب عليه عقاب أو ثواب، ولا يعني ذلك أن العقل البشري ليس له أن يستحسن بعض الأفعال النافعة ويستقبح بعض الأفعال الضارة[١].

وفي ميدان الأخلاق نجد القرآن الكريم يدخل الأخلاق – والأخلاق الفردية خصوصاً – في مجال منظومة الحلال والحرام، فهي أحكام شرعية يترتب عليها الثواب والعقاب ولكن هذا الاستحسان والاستقباح الشرعي راجع إلى حقيقة هذه الأخلاق وماهيتها، أهي حسنة بذاتها أم قبيحة. وقد رسم النص القرآني وظيفة النبي - ﷺ - بأنه يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر ويحل الطيبات ويحرم الخبائث. قال تعالى: " الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَالإِنجِيلِ يَأْمُرُهُم بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالأَغْلاَلَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ "[٢].

فما دخل تحت دائرة الحلال بدرجاته في الحكم الشرعي هو حسن، وطيب، ومعروف. وما دخل تحت دائرة النهي فهو منكر، وخبيث، أي قبيح.

وهذا المعيار يطرد في المنظومة الأخلاقية ويشكل مصدراً من مصادر إلزامها حيث لا نجد مفكراً أو فيلسوفاً أو صاحب دعوة أخلاقية أو سياسية أو اجتماعية في أي ميدان من ميادين الحياة يقول: إن دعوته تقوم على تقديس القبيح واحترامه، وعلى رفض ما هو حسن. وعلى هذا فإن هذا الإلتزام البشري بمعيار الحسن والقبح يمنح هذا المعيار قوة الإلزام، وعلى المستوى الفردي للأخلاق نرى هذه القوة الإلزامية حاضرة، لذلك فالفرد أيضاً لا يقول في نفسه: أنه يفضل الخلق القبيح، بل إن الإنسان لو حاول أن يتذرع بالأعذار فإنه يعبر بهذه المعاذير عن قناعته بإلزام معيار الحسن والقبح. فهو يحاول أن (الفرد) يدثر ما أتاه من خلق قبيح بمعاذير مختلفة تبين حسن مقصده، وإلى هذا يشير القرآن الكريم بقوله تعالى: "بَلِ الإِنسَانُ عَلَى نَفْسِهِ بَصِيرَةٌ ۞ وَلَوْ أَلْقَى مَعَاذِيرَهُ "[٣].

والقرآن الكريم يعترف بمعايير القبح والحسن الإنساني للأخلاق ولا ينكر ذلك ولا يدعي أنه المصدر الوحيد الذي يفرق بين ما هو حسن وقبيح، بل إن للأخلاق ذاتها إحدى هاتين

---

[١] نوح القضاة، **المختصر المفيد في شرح جوهرة التوحيد**، دار الرازي، عمان،ط١، ١٩٩٩م- ١٤٢٠هـ، ص١١١.
[٢] الأعراف، آية ١٥٧.
[٣] القيامة، ١٤ – ١٥.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الصفتين ولكنه يبني قبوله لهذا الخلق ورفضه لذلك على هذه المعايير، ننظر مثلاً إلى قوله تعالى: " وَلَقَدْ عَلِمُوا لَمَنِ اشْتَرَاهُ مَا لَهُ فِي الآخِرَةِ مِنْ خَلاقٍ "[١].

إن الآية الكريمة تبني رفضها بأن يقوم إنسان بتزوير الحقيقة- ممثلة بتحريف كلمة الله- على ما استقر في علم الناس من أن هذا الفعل قبيح، فنحن لا نفهم من هذه الآية أن هذا الخلق مرفوض لأن الله حرمه فقط، بل لأنه مرفوض بما يشتمل عليه من قبح ذاتي معلوم على المستوى الإنساني، فرجل الدين الذي لم يتحمل أمانة المسؤولية وامتدت يده بالتحريف أتى خلقاً شائناً قبيحاً بذاته، وقد رفض القرآن هذا الخلق، ليس لأنه مخالف لأوامره، بل لأنه قبيح.

كذلك يؤكد القرآن على القوة الإلزامية لهذا المعيار الأخلاقي.ففي نهيه عن الزنا ينبه إلى معيار الحسن والقبح ويعتمد على هذا المعيار في إحداث الأثر المرجو عند المتلقي، فهو يذكر بأن الزنا فعل قبيح فاحش وبسبب هذه الصفة جاء التحريم، إننا نلاحظ أن تحريم هذا الخلق يُبنى على أنه خلق قبيح، ولم يُبنَ على أنه محرم.

وها هو القرآن الكريم يبين ما في بعض الأخلاقيات من جوانب قبح وحسن قد يغفل عنها المتلقي، وهو لا يزيد على أن يكشف له عن هذه الجوانب ثم يبني حكمه عليها، وهي تربية عميقة الأثر للفرد في أن يتنبه لاختياراته الخلقية وفق هذا المعيار، وأن يلتزم به كقوة إلزامية نابعة من الخلق ذاته، إن هذا الأسلوب في إبراز قوة الإلزام لمعيار الحسن والقبح، يمنح الفرد مرونة في قياس مفردات من الأخلاق على ما ورد من هذه المفردات في القرآن الكريم[٢]. لا سيما أن هذا المعيار يمتلك ثباتاً راسخاً تدور حوله المفردات الأخلاقية، حيث قد يكون تصرف ما يوصف بأنه حسن من الناحية الخلقية في موقف ما وليس كذلك في موقف آخر، ممّا يجعل الفرد مُطالباً بمراعاة إلزام معيار الحسن والقبح في سلوكه، والقرآن يعطيه نماذج تدريبية على ذلك ننظر مثلاً في قوله تعالى: " لاَ يُحِبُّ اللهُ الْجَهْرَ بالسُّوءِ مِنَ القَوْلِ إلاَّ مَن ظُلِمَ "[٣]. والمجاهرة بالسوء من القول خلق قبيح في الظرف العادي، ولكن هذه الصفة ترتفع عنه في حالة وقوع الفرد في ظلم بيّن، وما يجدر الوقوف عنده هنا أن الحسن والقبح كحدّين لقوة إلزامية يسمحان بأن تتوسطهما حالة ثالثة، ليست بحسن الصفة المطلوبة ولا بقبح الصفة المذمومة، وإنما تقع في خانة العذر، أي أن من يفعل ذلك الموقف الخلقي لا يلام لأن معيار القبح لا ينطبق عليه تماماً، فالذي يجاهر بالسوء لأنه ظلم لا يأتي خلقاً قبيحاً ولكنه في الوقت نفسه لا يرقى إلى درجة الخلق الحسن الذي يقابل الإساءة بالإحسان فيدفع السيئة عن نفسه بالتي هي أحسن، وقد جاء هذا التدرج في هذا المعيار، مراعياً لإمكانات الفرد ذاته فيسمح بهذا التفاوت ولكنه لا يسمح

---

[١] البقرة، ١٠٢.
[٢] جورج شهلا وآخرون: **الوعي التربوي ومستقبل البلاد العربية**. ط٣، ١٩٧٢ ، ص ١٩٦.
[٣] النساء، آية ١٤٨.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

بالخروج عن الحدين الضابطين لهذه القوة الإلزامية، وهما الحسن والقبح يقول الشيخ سيد قطب:

" إن الإسلام يحمي سمعة الناس – ما لم يظلموا- فإذا ظلموا لم يستحقوا هذه الحماية؛ وأذن للمظلوم أن يجهر بكلمة السوء في ظالمه، وكان هذا هو الاستثناء الوحيد من كف الألسنة عن كلمة السوء[١].

[١] سيد قطب: **في ظلال القرآن**، ط٧، دار إحياء التراث العربي، بيروت لبنان، ١٩٧١،ج٢،ص٧٨.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ثالثاً: قوة الإلزام الاجتماعي " رقابة المجتمع على سيادة القيم الأخلاقية "

يعول القرآن الكريم على المجتمع كثيراً في الرقابة على سيادة الأخلاق، ولست أعني هنا الأخلاق في مستواها الاجتماعي فقط، بل إن رقابة المجتمع تمتد إلى أخلاق الفرد، حيث لا يتحقق نقاء المجتمع إلا بنقاء الفرد، كما لا يأخذ الخلق مداه الاجتماعي إلا إذا تحقق هذا الخلق في ذات الفرد واصطبغ به سلوكه، وكثيراً ما نرى التحذير القرآني من خلق ما على المستوى الفردي ثم الإشارة إلى الأثر الجمعي لهذا الخلق، فالمجتمع في النهاية مجموعة من الأفراد، ننظر مثلاً في قوله تعالى : " وَلا تُبَذِّرْ تَبْذِيرًا "[١]، فهذه صيغة أمر للمخاطب المفرد، فهي بهذا موجهة إلى الفرد المسلم، ثم تأتي الآية الأخرى: " إِنَّ الْمُبَذِّرِينَ كَانُوا إِخْوَانَ الشَّيَاطِينِ "[٢] ، وفيها جمع المخبر عنهم لبيان انعكاس المستوى الفردي على المستوى الجماعي، وإذا كان الأمر كذلك فلا بد من رقابة المجتمع على الأخلاق الفردية كقوة إلزامية، لأن الفرد عضو في جماعة يعنيه أن يكون سلوكه محل رضى وتقبل من المجتمع المحيط وحول هذه الحاجة يقول الدكتور عبد الرحمن حبنكة:" فالانغماس في الجماعة، من شأنه أن ينقل من الجماعة إلى الفرد ما تتسم به الجماعة من أخلاق، عن طريق السراية والعدوى، التي تبدأ بالمحاكاة والتقليد والرغبة بالاندماج والموافقة وعدم المخالفة والشذوذ"[٣] .

ويأتي دور المجتمع في الرقابة على خلق الفرد منظماً في القرآن الكريم، فهناك رقابة اجتماعية يقوم بها المجتمع مباشرة بأفراده، وهناك رقابة تقوم بها السلطة التي خولها المجتمع لتطبيق القانون- والأخلاق جزء من هذا القانون- وهي رقابة اجتماعية أيضاً لأنها تتم نيابة عن المجتمع. ومن أوضح الأمثلة على تداخل هذين النوعين من الرقابة، التوجيه القرآني بشان حادثة الإفك، فحين جرى لسان أفراد من المجتمع بالسوء في عرض السيدة عائشة، ولقي القذف صدى عند أفراد آخرين في المجتمع، نزل التوجيه القرآني إلى المجتمع ليقوم بدوره الرقابي ويمارس قوته في الضغط على الأفراد لمنع استفحال هذا الخلق الذميم بين أفراد المجتمع، بقوله تعالى: " وَالَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَأْتُوا بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ فَاجْلِدُوهُمْ ثَمَانِينَ جَلْدَةً وَلا تَقْبَلُوا لَهُمْ شَهَادَةً أَبَدًا وَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ "[٤]. فهذا الخطاب موجه إلى السلطة التي تمثل المجتمع في تطبيق أوامر الله تعالى بأن تأخذ دورها في مواجهة هذا الخلق الذي لا يزال في هذا المستوى الفردي ولم يتحول إلى ظاهرة خلقية اجتماعية، بتطبيق العقوبة والحزم للتصدي لهذا الانحراف الخلقي. ولكن المجتمع بمجموع أفراده له دور آخر، فإن عليه أن يثبط عزيمة الفرد الذي ينحدر

---

[١] الاسراء ، ٢٦.
[٢] الإسراء، ٢٧.
[٣] عبد الرحمن حبنكة، **الأخلاق الإسلامية**، ص٢٠٠.
[٤] النور، آية ٤.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

إلى هذا الخلق الذميم، فعليهم أن يواجهوا سوء القول بحسن الظن وأن لا يسارعوا إلى تلقيه بالقبول والتناقل " لَوْلا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ الْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بِأَنفُسِهِمْ خَيْرًا وَقَالُوا هَذَا إِفْكٌ مُّبِينٌ "[١].

إن عدم تشجيع الفرد من قبل المجتمع على المضي في خلق مذموم من شأنه أن يدفعه إلى مراجعة نفسه، ويثبط دوافع الانجرار وراء هذا الخلق في نفسه، لكي لا يتمادى ويصبح خلقاً مقبولاً اجتماعياً. وهو على المستوى الاجتماعي يحصر هذا الخلق في نفس صاحبه، ويمنع شره عن المجتمع إن كان سيء النية أو منافقاً. ولا بد للمجتمع من أن يكون له موقف من الفرد الذي ينحرف عن جادة الصواب وعن معايير المجتمع الخُلقية.

وإذا كانت الرقابة بإيقاع العقوبة البدنية محصورة في السلطة والقضاء الرسمي، فإن المجتمع يمكنه أن يوقع عقوبة من نوع آخر، وهي العقوبة المعنوية التي تجعل الفرد يفاضل بين ما هو عليه من انحراف وبين محيطه الاجتماعي الذي لا يستغني عنه.

ويتجلى ذلك واضحاً من خلال الضغط الاجتماعي، الذي صدر عن مجتمع المدينة بحق الثلاثة الذين تخلفوا عن اللحاق بالنبي - ﷺ - في غزوة تبوك، والقرآن يثمن هذا الموقف ويعرض أثره الإيجابي على الأفراد ويصوره تصويراً دقيقاً: " وَعَلَى الثَّلاثَةِ الَّذِينَ خُلِّفُوا حَتَّى إِذَا ضَاقَتْ عَلَيْهِمُ الأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ وَضَاقَتْ عَلَيْهِمْ أَنفُسُهُمْ وَظَنُّوا أَن لاَّ مَلْجَأَ مِنَ اللهِ إِلاَّ إِلَيْهِ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ لِيَتُوبُوا إِنَّ اللهَ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ "[٢].

لقد كان من النتائج في هذه المقاطعة، أثر إيجابي في تعديل سلوك هؤلاء الأفراد وشعورهم بأن ما كانوا يرجونه من سلامة لأنفسهم لا قيمة له أمام التزامهم بأمر الله في إطار جماعته، فضاقت عليهم الأرض بما رحبت وسارعوا إلى التوبة من هذا الفعل، وكان للمجتمع موقفه الفاعل في شفاء هؤلاء الأفراد من آثاره[٣].

---

[١] النور، آية ١٢.
[٢] التوبة، آية ١١٨.
[٣] عبد الرحمن حنبكة: **الأخلاق الإسلامية وأسسها**، ص٥٣٢: سيد قطب، **في ظلال القرآن**، ج١١،ص٣١٠.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

رابعاً: قوة الإلزام الداخلي " ضمير الفرد "

تأخذ قوة الإلزام بالاعتبار الفردي - أي بالنظر إلى الوازع الداخلي الفردي الذي يحرك الفرد نحو الامتثال للمنظومة الأخلاقية- أهميتها الخاصة هنا، لأننا نركز على الأخلاق في مستواها الفردي.

ونحن نرى القرآن الكريم يمد الفرد بكل ما من شأنه أن ينبه عنده هذا الضمير ويحسن اتجاهاته نحو الأخلاق ليكون له من داخله ما يلزمه بهذه الأخلاق، فالرقابة الداخلية هي الرقابة الأكثر صدقاً وفاعلية في توجيه الفرد إلى التمييز بين الخير والشر أو بين الحسن والقبيح.

والقرآن الكريم ينبه الفرد إلى هذا المعيار لقوله تعالى:" بَلِ الإنسَانُ عَلَى نَفْسِهِ بَصِيرَةٌ ۞ وَلَوْ أَلْقَى مَعَاذِيرَهُ "[١]. يقول الشيخ حبنكة:" وقد منح الخالق النفوس الإنسانية القدرة على معرفة هذين الطريقين من طرق سلوك الإنسان في الحياة طريق الفجور وطريق التقوى[٢].

ولكن كيف يمكننا تحديد دور هذه القوة الإلزامية ومظاهرها وموقعها بين القوى الإلزامية الأخرى؟

نجد أن القرآن الكريم يرفض رفضاً قاطعاً أن يقف الفرد من مجتمعة وبيئته موقف المتلقي، المسلوب الإرادة الآلي التصرف، ويدعوه إلى التخير والانتقاء، ولكي يكون هذا الانتقاء صحيحاً فقد لفت نظره إلى حقائق ومسلمات يتقبلها عقله، بما أودعه الله فيه من قدرة على التمييز، لننظر مثلاً في قول الله تعالى:" وَكذلِكَ مَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ فِي قَرْيَةٍ مِنْ نَذِيرٍ إلا قَالَ مُتْرَفُوهَا إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَى أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَى آثَارِهِمْ مُقْتَدُونَ "[٣]. والواقع أن القرآن في حجاجه المنطقي يعلم العقل دائماً ألا يركن للتقليد، وهو يخرجه من ظلماته بفتح آفاق النظر في آيات الكون ويسوق إليه هذا التوجه بتقديم هذه البراهين العقلية الكونية محفوفة بخطاب وجداني لا يقف عند حدود العقلية الجامدة، بل يحرك الوجدان إلى جانب العقل، فإذا تفتح عقل الفرد وتفتح وجدانه في طلب الحق تهد من أسوار التقليد الذي لا مطمع في العودة إليه بعد مفارقته، كما يقرر الإمام الغزالي[٤].

ويعطينا القرآن الكريم نموذجاً عن هذه الحرية الفكرية في مواجهة التقاليد الاجتماعية في مواقف الأنبياء الكرام من أقوامهم وهم يعالجون ليس فقط التقاليد التي ساقتهم إلى الاعتقاد الباطل ومنعتهم من الاستجابة لنداء الإيمان، بل في معالجتهم كذلك لسلوكيات خلقية بالية، وقد كان خطاب الأنبياء موجهاً بما فيه من عقلانية وحكمة إلى محاربة التقاليد في الاعتقاد والخلق

---

[١] القيامة، ١٤-١٥.
[٢] عبد الرحمن حبنكة: **الأخلاق الإسلامية** ، ص٢٢٧.
[٣] الزخرف، ٢٣.
[٤] أبو حامد محمد الغزالي: **المنقذ من الضلال**، المكتبة الشعبية بيروت لبنان، ص٤٥.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

جنباً إلى جنب، فهذا شعيب - عليه السلام - يقرن النهي عن التقليد في الاعتقاد بالنهي عن التقليد عن أخلاق غير سوية تتمثل في تخسير الميزان والمكيال وبخس الناس أشياءهم يقول تعالى: " إذ قالَ لَهُمْ شُعَيْبٌ ألا تتّقونَ ۞ إنّي لكُمْ رَسُولٌ أمِينٌ ۞ فاتّقوا اللهَ وَأطِيعُونِ ۞ وَمَا أسْألُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أجْرٍ إنْ أجْرِيَ إلا عَلى رَبِّ العَالمِينَ ۞ أوْفوا الكَيْلَ وَلا تكونُوا مِنَ المُخْسِرِينَ ۞ وَزِنُوا بالقِسْطَاسِ المُسْتقِيمِ۞ وَلا تَبْخَسُوا النَّاسَ أشْيَاءهُمْ وَلا تَعْثَوْا فِي الأرْضِ مُفْسِدِينَ "[١].

وإذا كانت هذه الآفات اجتماعية في مداها الواسع فإن سبيل القضاء عليها هو تغير عقلية الفرد وإصلاح وجدانه بثورته على سلطان العادات والتقاليد الفاسدة، ولا شك أن الفرد الذي يستطيع أن يمتلك هذه الحرية هو فرد تحقق في ضميره الفردي وازع جاء نتاجاً لاستجابته الواعية، فهذا الخطاب النبوي موجه إلى الفرد عقلاً وعاطفة.

وهنا نسجل الفارق الجوهري بين توظيف القرآن لهذه القوة الإلزامية الفردية وبين الذين صدروا بالأخلاق عن ضمير الفرد باعتباره منتجاً للخلق من ذاته وهم بذلك يقفون على طرف النقيض من أصحاب الاتجاه الاجتماعي المتطرف أيضاً.

أما القرآن فلا يمنح الفرد هذا السلطان المطلق بل يمده بالقناعات التي تشكل ضميره ووازعه الداخلي ليضرب رقابة صارمة على ذاته. وفي نظرته العميقة إلى قوة الإلزام الفردية يرى الدكتور" درّاز"[٢] أن في الإنسان قوة باطنة لا تقتصر على نصحه وهدايته وحسب، بل إنها توجه إليه بالمعنى الصريح أوامر بأن يفعل أو لا يفعل، ويعطي لعقل الفرد أهمية عالية في إلزام الفرد بهذه الأخلاق حيث يراه مكملاً للنور الإلهي، وليس مصدراً آخر معزولاً عنه، فالخطاب الإلهي وعقل الفرد مستويان لمصدر واحد، ويضيف بأنه في القرآن الكريم يسير العقل والنقل معاً جنباً إلى جنبٍ وهو ما يُفهم من قوله تعالى: " وَقالوا لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِي أصْحَابِ السَّعِيرِ "[٣].

وفي قلب المؤمن يستقر نوران في حين لا يجد الملحد سوى نورٍ واحدٍ وهذا هو معنى رمز النور المزدوج في قوله تعالى " نُورٌ عَلَى نُوْر " وهو يرى أن الضمير الفردي هو الذي يأمرنا أن نخضع للعقل " الإلهي "[٤] وقد ذهب الدكتور درّاز إلى ما هو أبعد من ذلك، فهو يرى أن الرجوع إلى العقل هو رجوع إلى ما استقر في فطرة الإنسان التي فطره الله عليها من ميل إلى هذه الأخلاق باعتبارها مودعة في هذه الفطرة، ويأتي الخطاب الإلهي ليحرك هذه الفطرة، ويوجه العقل إلى ما أودعه فيها فالحاسة الخلقية هي انبعاث داخلي فطري والقانون الأخلاقي

---

[١] الشعراء، ١٧٧ – ١٨٣.
[٢] انظر محمد عبد الله درّاز: **دستور الأخلاق**. ص ٣٤.
[٣] الملك، أية ١٠.
[٤] انظر عبد الله درّاز: **دستور الأخلاق** ، ص ٣٥.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

طبع في النفس الإنسانية منذ نشأتها ". وبحسب فهمي فإن الدكتور درّاز لا يعني بذلك استغناء العقل والفطرة عن خالقهما في التوجيه الأخلاقي، لأنه إذا كان العقل منبع القانون فإنه سيصبح السيد المطلق فيبقي عليه أو يبطله تبعاً لمشيئته، فإذا لم يستطع ذلك فلأن قانوناً سبق في وضعه وجود العقل، وأن صانع العقل قد طبعه فيه، ولكنه لا ينكر أن نور الوحي وحده هو الذي يمكن أن يحل محل النور الفطري لأنه أكثر شمولاً بما فيه من العلم المطلق ونور أبدي[١].

والقرآن الكريم يؤكد لنا استقرار هذه القواعد الأخلاقية في فطر الناس وعقولهم، بحيث أنها تتنبه إلى التوجيه الإلهي إذا امتلك الإنسان إرادة الحق، وموضوعية الإقرار به، وهو يبين لنا ذلك بصورة عكسية توضح موقف الذين لا يمتلكون هذه الإرادة لغلبة الهواء على نفوسهم وعقولهم.

فحين يعرض موقف الذين يعتذرون عن قبول توجيهاته بما كان عليه أسلافهم قال تعالى: " قالوا وَجَدْنَا آبَاءَنَا لَهَا عَابِدِينَ "[٢].

فإنه يقدر أن هؤلاء القوم لو وجدوا من عقولهم وفطرتهم ما يؤيد موقفهم لا دلوا به، فحين عجزوا عن أن يجدوا هذه المؤيدات تذرعوا - تماشياً مع هواهم- بذريعة الضغط الاجتماعي والبيئة المحيطة ومن أجلى الصور التي يعرض لنا القرآن الكريم فيها هذا التناقض قوله تعالى: " وَقَالُوا إِن نَّتَّبِعِ الْهُدَى مَعَكَ نُتَخَطَّفْ مِنْ أَرْضِنَا أَوَلَمْ نُمَكِّن لَّهُمْ حَرَمًا آمِنًا يُجْبَى إِلَيْهِ ثَمَرَاتُ كُلِّ شَيْءٍ رِّزْقًا مِن لَّدُنَّا وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لا يَعْلَمُونَ "[٣] فالعقل يقرّ بأن هذا هدىً وحق ولكنه يتذرع بذرائع من البيئة المحيطة.

نخلص إلى القول بأن الخطاب القرآني يتوجه إلى الفرد لينمي فيه الوازع الديني لتمكينه للتصدي للهوى والضغط الاجتماعي غير الصحيح، وإطلاق ملكاته الفكرية والعاطفية للتمسك بالخلق المحمود، والإلتزام بالمنظومة الأخلاقية القرآنية التي يؤيدها العقل المتلقي بتفكيره، والفطرة التي فطر الله الإنسان عليها.

---

[١] عبد الله درّاز: **دستور الأخلاق** ، وهذا الجزء مستفاد من مقدمة الدكتور السيد محمد بدوي، لكتاب **دستور الأخلاق، بتصرف**.
[٢] الأنبياء،٥٣.
[٣] القصص،٥٧.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

المطلب الثاني: المسؤولية

أولاً: مفهوم المسؤولية الأخلاقية:

يعرف الدكتور مقداد يلجنّ المسؤولية بأنها: "تحمّل الإنسان نتيجة التزاماته وقراراته واختياراته العلمية من الناحية الإيجابية والسلبية أمام الله بالدرجة الأولى، وأمام ضميره في الدرجة الثانية، وأمام المجتمع في الدرجة الثالثة"[١]. أما الأستاذ الدكتور عبد الله درّاز فيرى أن المسؤولية هي نوع خاص من الإلزام، وأن كون الإنسان مسؤولا يعني كون الفرد مكلفاً للقيام ببعض الأشياء وأن يقدم عنها حساباً [٢].

ويمكن أن يلاحظ أن المسؤولية مقترنة بالإلزام اقتراناً وثيقاً، وفي هذا يقول الدكتور درّاز :" يرتبط بفكرة الإلزام ناتجان يستلزم أحدهما الآخر بدوره، ويؤيده ويدعمه هما فكرة المسؤولية وفكرة الجزاء، كما نلاحظ أن التعريف الأول جعل المسؤولية أيضاً نتيجة لالتزامات الشخص. ومن الناحية الاشتقاقية فإن المسؤولية مصدر صناعي والشخص الذي يتحمل المسؤولية هو شخص مسؤول، وهي صيغة اسم المفعول. وهذا يعني أن هناك من سيسأله عن نتائج التزاماته، ولأن جهات الإلزام متعددة فقد جاءت المسؤولية أيضاً متعددة، فمسؤولية الشخص عن أفعاله ليس أمام سائل واحد بل سائلين متعددين، وهو ما تأخذه ونستفيده من التعريف الأول الذي حدد هذه الجهات بالضمير الإنساني نفسه، ومجتمعه، وقبل ذلك أمام الله تعالى[٣]. ومن الصعب استقصاء كل الآيات القرآنية التي تقرر مسؤولية الإنسان عن اختياراته ولكننا نختار منها ما تظن أنه أكثر دلالة على المسؤولية الأخلاقية بشكل خاص، ننظر مثلاً في قول الله تعالى " فَلَنَسْأَلَنَّ الَّذِينَ أُرْسِلَ إِلَيْهِمْ وَلَنَسْأَلَنَّ الْمُرْسَلِينَ "[٤]. إنها آية صريحة في المسؤولية الشاملة للبشر الذين أرسل لهم الرسل، وكذلك للرسل الذين حملوا أمانة الرسالة، وهذا يعطينا دلالة في أن المسؤولية لا تعبر فقط عن الجانب السلبي للسؤال والمساءلة بل هي كذلك تقع في الجانب الإيجابي، فالذي أدى التزاماته والذي لم يؤدها كلاهما مسؤول. وننظر أيضاً في قول الله تعالى: " ثُمَّ جَعَلْنَاكُمْ خَلَائِفَ فِي الْأَرْضِ مِن بَعْدِهِم لِنَنظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ "[٥]. فالمسؤولية هنا أيضاً ناتجة عن التزام الفرد بتحمل أمانة أعماله في الأرض.

والآن ساستخرج بعض التطبيقات القرآنية على أقسام المسؤولية عن الأخلاق في مستو اها الفردي باعتبار الجهة التي يكون الشخص أمامها مسؤولا، وتنقسم إلى ثلاثة اتجاهات:

أ- المسؤولية أمام الله تعالى.

---

(1) مقداد يلجنّ: **علم الأخلاق الإسلامية**. ص ٢٥٢.
(2) محمد عبد الله الدراز: **دستور الأخلاق**. ص ١٣٦، بتصرف.
(٣) محمد عبد الله الدراز: **دستور الأخلاق**. ص ١٣٦.
(٤) الأعراف، أية ٦.
(٥) يونس، آية ١٤.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ب- مسؤولية الفرد أمام نفسه (ضميره).

ج- مسؤولية الفرد أمام المجتمع.

أولاً: مسؤولية الفرد أمام الله تعالى:

يعطي القرآن المسؤولية أمام الله الأهمية الكبرى، وذلك لأن الإنسان مخلوق لله – عز وجل – وإليه مرجعه والله تعالى سيقضي في شأنه في الآخرة حيث الخلود في دار السعادة أو دار الشقاء، ولذلك فإن المسلم يشعر بمسؤولية أمام الله بشكل أكبر من غيره.

كما أن الإنسان يشعر بعظمة هذا الإله الذي هو الآمر بفعل الأخلاق الحسنة، وبدافع من حب الإنسان لهذا الرب وتعظيمه إياه فإنه يشعر أيضاً بشكل أكبر بالاهتمام بمسؤوليته عن التزامه وتطبيقه لما أمره به من خلق.

وبناء على ذلك فقد لاحظت القرآن الكريم يعرض مسؤولية الفرد أمام ربه بهاتين الطريقتين: الأولى: باعتبار استحقاق الله أن يسأل عبده الذي خلقه والذي يحب ربه ويعظمه. الثانية: باعتبار ما سينتج عن هذه المسألة من جزاء أخروي ينتظره الفرد ويرجو خيره. فمن النوع الأول ننظر مثلاً في قول الله تعالى " يَا أَيُّهَا الإنسَانُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ الكَرِيمِ۞الَّذِي خَلَقَكَ فَسَوَّاكَ فَعَدَلَكَ "[1]. تقدم هذه الآية مسؤولية الإنسان عن طاعة الله بلغة التذكير بموقفه أمام الله للسؤال ويربط الإمام ابن كثير بين هذه الآية وبين الحديث الشريف :" يقول الله تعالى يوم القيامة يا ابن آدم ما غرّك بي يا ابن آدم ماذا أجبت المرسلين "[2]. ثم يأتي التذييل " بربك الكريم " والربوبية تتضمن التذكير بفضل الله، فإن من معاني الربوبية الخلق والرزق والتوفيق وغير ذلك من الأفعال ". ثم تختار الآية لفظ الكريم للتذكير – كما يرى الإمام ابن كثير – بأن الكريم لا ينبغي أن يقابل بالأفعال القبيحة وأعمال الفجور.

فترى أن التذكير بالمسؤولية الفردية عن هذا الخلق - وهو الغرور بالله والتمادي في معصيته- اقترنت بالتذكير بما يعرفه الإنسان عن ربه من عظمة وصفات تجعله يراجع نفسه، وهو يرى أنه يخلُّ بالتزامه مع من لا ينبغي أن يخلَّ معه. وكذلك ننظر في قوله تعالى: " لا يُحِبُّ اللهُ الجَهْرَ بالسُّوءِ مِنَ القَوْلِ إلا مَن ظُلِمَ "[3]. تترتب المسؤولية هنا من جهة الطلب بعدم الجهر بالسوء أي بالقول السيئ، ويربط النص بين الإلزام بترك هذا الخلق وبين مسؤولية الفرد أمام الله عنه لأن الله لا يحب هذا الخلق، وهذا يشعر الفرد بالمسؤولية أمام الله بما لله في نفسه من هيبته وتعظيم، ومحبة وخشية تجعله يستحي من الإخلال بهذا الإلزام. فهذا النوع

---

[1] الانفطار، آية ٧.

[2] اسماعيل بن كثير القرشي الدمشقي: **تفسير القرآن العظيم**. دار إحياء القرآن العربي، بيروت، ج ٤، ص ٤٨١ن ١٣٩٨ هـ، ١٩٦٩م.

[3] النساء، آية ١٤٨.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الثاني يشعر الفرد بمسؤوليته أمام الله باعتبار ما سيترتب على مدى تحمله للمسؤولية من واقع أخروي، وننظر في قوله تعالى: " وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ لِيَجْزِيَ الَّذِينَ أَسَاؤُوا بِمَا عَمِلُوا وَيَجْزِيَ الَّذِينَ أَحْسَنُوا بِالْحُسْنَى "[١].

يؤخذ من هذه الآية المسؤولية العامة أمام الله تعالى عن الإلتزام بالخلق الحسن، أو الإنجرار وراء الأخلاق السيئة عموماً، وهي تذكر الفرد بهذه المسؤولية بإشعاره بما يترتب من جزاء أخروي في حالتي الإحسان والإساءة. وننظر كذلك في قوله تعالى: " إِن تَجْتَنِبُوا كَبَائِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ "[٢]. إن هذه الكبائر هي في حقيقتها عمل خلقي ويقع في الجانب السلبي من هذه الأخلاق فاجتنابها هو إتيان للخلق الحسن، ولذلك فقد جاء التعقيب عن الأمر بالإلزام والتذكير بالمسؤولية بالجزاء المحمود لمن التزم، وهو تكفير السيئات حيث يشعر الفرد بأنه مسؤول عن ترك الكبائر وأن هذه المسؤولية لا بد له من تحملها رجاء ما سينتج عن ذلك من خير ذاتي له[٣]. فالتلويح بالجزاء ينظر إليه على أنه تذكير بالمسؤولية فهو داخل في بحث المسؤولية وليس في بحث الجزاء.

ب- مسؤولية الفرد أمام نفسه:

يسمي الدكتور عبد الله دراز هذه المسؤولية:"بالمسؤولية الأخلاقية "[١] . مقابلة لها بالمسؤولية الاجتماعية التي يستشعر الإنسان فيها بالمسؤولية أمام مجتمعه، والدينية التي يستشعر الإنسان فيها المسؤولية أمام ربه – عز وجل – على أنه يعود بعد هذا التقسيم ليقرر أن كل مسؤولية هي مسؤولية أخلاقية متى ارتضيناها. وأما مجال دراستي في هذا الجانب فهو رصد موقع ضمير الفرد أمام تصرفاته، وهل ينظر القرآن إلى ضمير الفرد على أنه قادرٌ على مسألتي عن التزاماته الأخلاقية؟.

و يؤكد القرآن لنا بأن الذي يخل بالتزاماته الأخلاقية لن يكون مرتاحاً أمام محكمة ضميره، ولعل هذا ما يمكن أن نقتطفه من قوله تعالى: " وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنكًا "[٢]. والقرآن الكريم ينبه ضمير الفرد ليكون سائلاً لصاحبه ولائماً له على مخالفاته الأخلاقية، كما في قوله تعالى: " وَلا أُقْسِمُ بِالنَّفْسِ اللَّوَّامَةِ "[٣]. نقل الإمام ابن كثير في معرض تفسيره لهذه الآية قول الإمام الحسن البصري: " إن المؤمن - والله- لا تراه إلا يلوم نفسه: ما

---

[١] النجم، ٣١.
[٢] النساء، آية ٣١.
[٣] سيد قطب:**في ظلال القرآن**،ج٢، ص٧٨.
[١] عبد الله درّاز: **دستور الأخلاق**. ص ١٣٦.بتصرف.
[٢] طه، آية ١٢٤.
[٣] القيامة، آية ٢.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

أردت بكلمتي؟ ما أردت بأكلتي؟ ما أردت بحديث نفسي؟ وكذلك نقل عن عكرمة قوله " تلومه على الخير والشر!! لم فعلت كذا، وكذا؟ [٤].

فذلك تقرير واضح الدلالة لمسؤولية الفرد أمام نفسه على اختياراته الخلقية، والقرآن الكريم يضع الفرد أمام ضميره ليستشعر المسؤولية تجاهه بتنبيه هذا الضمير واستثارته ليسأل الفرد عن التزامه. يقول تعالى: " وَاذْكُرُوا نِعْمَةَ اللهِ عَلَيْكُمْ وَمِيثَاقَهُ الَّذِي وَاثَقَكُم بِهِ إِذْ قُلْتُمْ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَاتَّقُوا اللهَ إِنَّ اللهَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ "[٥].

فالقرآن الكريم ينبه الفرد إلى مسؤوليته أمام ضميره، في قوله: " إِذْ قُلْتُمْ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا ". فإذا رجع الإنسان الذي يسمع هذا الكلام – ويستمع إلى ضميره – إلى نفسه أدرك أنه مسؤول عن أمانة الوفاء بهذا الميثاق أمام ضميره، حيث لا يجدر به أن يخون ميثاقاً قطعه على نفسه، ثم يتبعها بالمسؤولية أمام الله – عز وجل – فالآية هنا تحدد مسؤولية الفرد عن ميثاقه أمام جهتين لا أمام جهة واحدة، الأولى ضميره والثانية أمام الله.

وننظر أيضاً إلى قوله تعالى: " يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَخُونُوا اللهَ وَالرَّسُولَ وَتَخُونُوا أَمَانَاتِكُمْ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ "[١]. فهذا النهي الشامل عن الخيانة بكل أشكالها تتبعه مسؤولية الإنسان عن التزامه بهذا النهي أمام ضميره ونفسه، كما يلمح من قوله تعالى: " وأنتم تعلمون " فهذا تنبيه لضمير الفرد، أن يأخذ دوره في مُساءلة نفسه، و يمكن القول: إن هذا الخطاب الوجداني الموجه إلى ضمير الفرد فيه إنعاش لهذا الضمير، وتأكيدٌ لسلطته في المسألة وإشعار الفرد بهذه المسؤولية أمام ضميره بألا يخون الأمانة بغير الحقائق التي يعلمها يقيناً.

كما أن القرآن أيضاً يوقظ في النفس مشاعر سامية، كالوفاء والاعتراف بالجميل، وهي مشاعر من شأنها أن تمد الفرد بما يعزز شعوره بهذه المسؤولية تجاه ضميره، ننظر مثلاً في قوله تعالى: " وَاخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُل رَّبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا "[٢]. فتبين هنا أن الخلق المأمور به هو بر الوالدين، والمسؤول عن هذا الإلزام هو الفرد، والسائل من جهة المطالبة هو الله تعالى الذي قضى بهذا البر، ولكن هناك جهة أخرى للمسؤولية وهي جهة المراقبة أو المؤاخذة، التي يسهم فيها هذا الضمير الذي أمده القرآن بمشاعر الوفاء والاعتراف بالجميل " كما ربياني صغيراً ". ليقف من الفرد موقف المُسائل والرقيب، قبل أن يشير إلى الجانب الثاني للمسؤولية " ربكم أعلم بما في نفوسكم "، وهي المسؤولية أمام الله.

---

[٤] ابن كثير: **تفسير القرآن العظيم**. ج٤، ص ٤٤٩.
[٥] المائدة، آية ٧.
[١] الأنفال، آية ٢٧.
[٢] الإسراء، آية ٢٤.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ويمكن هنا القول – عن ثقة ويقين- أن مسؤولية الفرد أمام ضميره بهذه الكيفية التي يعرضها القرآن، لا تتمتع بها أي منظومة أخلاقية أخرى، حيث تقع هذه المسؤولية في غير القرآن موقع التجاهل الكامل في الكتب المقدسة الأخرى، والنظريات الاجتماعية الحديثة. وموقع الأخلاق الذي يحيل الفرد إلى سلطة مطلقة وهو بذلك أيضا يغيب دور الضمير بمعناه الإنساني والوجداني العميق، كما نرى عند أصحاب المنطلقات الفردية. وهذه الوسطية في إعمال دور الضمير الفردي مئنة من المنهج الوسطي القرآني في كل أحكامه وتقريراته.

ج- مسؤولية الفرد أمام المجتمع:

يقرر القرآن أن الأفراد غير متساويين في استجابتهم والتزامهم بالخلق القويم، " فَلَيَعْلَمَنَّ اللهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الكَاذِبِينَ "[١]. كما يقرر أنهم غير متساويين كذلك في تقديرهم للمسؤولية أمام ضمائرهم، " وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا "[٢] ، ولا أمام خالقهم " أَفَمَن يَعْلَمُ أَنَّمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَبِّكَ الحَقُّ كَمَنْ هُوَ أَعْمَى "[٣].

فقد جاءت المسؤولية الاجتماعية أي مسؤولية الفرد أمام مجتمعه على أخلاقه الفردية، وقد رأيت وانا أبحث في الأخلاق الفردية أنه لا مدخلية للمسؤولية الاجتماعية في الأخلاق الفردية، باعتبار أن المجتمع يؤاخذ الفرد على أخلاقه التي تتعدى إلى الغير، إلا أنني لاحظت أن الخلق الفردي هو ما يصدر عن الفرد، وأنه يصبح اجتماعياً حين يتعاطاه الأفراد جميعاً بعد ذلك، ويصبح ظاهرة اجتماعية. فوجدت أن المسؤولية الاجتماعية على الأخلاق الفردية ليست جمعاً بين حدين متناقضين، ولو كان في ذلك مخالفة لما جرى عليه كثير من الباحثين في حصر المسؤولية الاجتماعية على الأخلاق الاجتماعية.

وقد وجدت - بحمد الله – في القرآن الكريم مستنداً بما ذهبت إليه، ننظر مثلاً في قوله تعالى: " وَاتَّقُوا فِتْنَةً لاَّ تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنكُمْ خَاصَّةً "[٤]. فهذه دعوة للمجتمع أن يأخذ دوره في مساءلة الفرد عمّا يقع فيه من مظالم لئلا يصبح الظلم المنهي عنه هنا سمة للمجتمع توجب عقابه بمجمله، فالمجتمع يراقب أفراده لكي يصون بنيته من هذه الأخلاق الفردية المنحرفة، التي يقع بها الأفراد، وقد تنتقل بالعدوا، وتتسع دائرتها. وكذلك فالفرد مسؤول أمام مجتمعه عن الخلق الحسن وواجب المجتمع هنا أن يعزز فيه الخلق ويعممه. يقول الدكتور عبد الرحمن

---

[١] العنكبوت، آية ٣.
[٢] النمل، آية ١٤.
[٣] الرعد، آية ١٩.
[٤] الأنفال، آية ٢٥.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

حبنكة " وأما مسؤولية الأمة بعامة على أعمالها الجماعية، فإنها ترجع في حقيقتها إلى المسؤولية الشخصية، لأن كل واحد من الجماعة يتحمل قطعة من المسؤولية على مقداره من الجماعة، وينال من الجزاء على مقدار كسبه الشخصي سواء أكان كسباً إيجابياً أو كسباً سلبياً[٥].

وقد شبه الرسول - ﷺ - الحياة الاجتماعية بحياة جماعة في سفينة في البحر، وشبه عمل الفاسدين فيها بعمل خرق لجدار السفينة إذ إن هذا العمل عندئذ لا بد من أن يؤدي إلى غرق السفينة وضياع الحياة الاجتماعية.

فعن النعمان بن بشير رضي الله عنهما قال:قال النبي - ﷺ - (مثل المداهن في حدود الله والواقع فيها مثل قوم استهموا سفينة فصار بعضهم في أسفلها وبعضهم في أعلاها، فكان الذين في أسفلها يمرون بالماء على الذين في أعلاها، فتأذوا به، فأخذ فأساً فجعل ينقر أسفل السفينة، فأتوه فقالوا:ما لك؟ قال: تأذيتم بي ولا بد لي من الماء، فإن أخذوا على يديه أنجوه ونجوا بأنفسهم، وإن تركوه أهلكوه وأهلكوا أنفسهم)[١]

فالفرد إذا لم يجد رقابة من المجتمع الذي يعيش فيه، يردعه عن الأخلاق السيئة ويجزيه عن الأخلاق الحسنة فإن هذا يؤدي إلى الشعور بأنه لا فرق بين المحسن والمسيء، وبالتالي يؤدي إلى استفحال المشكلة مما يعني انهدام المجتمع؟[٢].

نخلص إلى أن المسؤولية بأقسامها الثلاثة- على ما فيها من اختلاف - تتفق في جوهرها، فهي مستمدة من وحي الله تعالى، وهذا ما يستفاد من قوله تعالى: " وَقُلِ اعْمَلُوا فَسَيَرَى اللهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ وَسَتُرَدُّونَ إِلَى عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ "[٣]. وهذه المسؤولية، تنظم أقسامها في أدوار متوازنة _ وإن لم تكن متساوية _ بحيث يأخذ كل بعد منها دوره الحيوي في حمل الفرد على إدراك مسؤوليته، والتزامه بالمنظومة الأخلاقية القرآنية، تحوطه الهيبة من الله والاحترام لمحيطه الاجتماعي، والانسجام مع ضميره الداخلي.

---

[٥] عبد الرحمن حبنكة: **الأخلاق الإسلامية**. ص ١٣٣.
[١] أحمد بن حجر العسقلاني: **فتح الباري بشرح صحيح البخاري**، محمد فؤاد عبد الباقي، المكتبة السلفية،ج٥، ص٢٩٣.
[٢] مقداد يالجن: **التربية الأخلاقية الإسلامية**، دار عالم الكتب، ٢٠٠٢م، ص٣٤٩.
[٣] التوبة، آية١٠٥.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ثانياً: أقسام المسؤولية باعتبار الأخلاق المسؤول عنها: نظرا لاهتمام معظم الباحثين المعاصرين بهذا التقسيم للمسؤولية، ونظرا لأهمية هذا التقسيم، فقد رأى الباحث فائدة في إضافته إلى التقسيم السابق الذي اختاره، وهو تقسيم يلقي مزيدا من الضوء على طبيعة المسؤولية الأخلاقية في القرآن الكريم وبحسب هذا التقسيم فإن المسؤولية تقسم إلى :

أ- المسؤولية الفردية في الأخلاق القولية.

ب- المسؤولية الفردية في الأخلاق الفعلية.

ج- المسؤولية الفردية في إقرار الفعل.

أ- أولاً المسؤولية الفردية في الأخلاق القولية:

أعطت الأخلاق الإسلامية في بعديها الشرعي والفكري اهتماما بالغا بالقول، وكل ما يتعلق به، لأن مسؤولية القول من شأنها أن تدمر، ومن شأنها أن تصلح وهي: " كل كلمة أو جملة حسنة أو قبيحة يتلفظ بها الإنسان، سواء كانت مقصودة أو غير مقصودة "[١].

وقد وردت الكثير من الآيات القرآنية والأحاديث الشريفة في مسؤولية الإنسان عن أقواله التي تمثل أخلاقه القولية ، و حذرت من كل كلام فاحش وبذيء وتحث على حسن الكلام وصدقه. يقول تعالى: " وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا "[٢] "وَقُل لِّعِبَادِي يَقُولُوا الَّتِي هِيَ أَحْسَنُ "[٣]. فالآيات تدعوا إلى حسن القول واختيار الأحسن من القول، وفي النهي عن الوقوع في مسؤولية الكلام البذيء الفاحش والذي ليس في محله. " وَأَن تَقُولُوا عَلَى اللهِ مَا لا تَعْلَمُونَ "[٤]،" وَاجْتَنِبُوا قَوْلَ الزُّورِ "[٥]

فقد حذر – سبحانه وتعالى – في الآيات السابقة من مسؤولية " الكلمة "، فلكل إنسان رقيب. وقال - ﷺ - : " إن الصدق يهدي إلى البر، وإن البر يهدي إلى الجنة، وإن الرجل ليصدق حتى يكتب عند الله صديقا، وإن الكذب يهدي إلى الفجور، وإن الفجور يهدي إلى النار، "[٦]. فالرسول - ﷺ - يحذر من عظم مسؤولية اللسان، ويدعوا إلى قول الصدق واجتناب الكذب، والمسؤولية عن الأقوال.

---

[١] احمد بن عبد العزيز الجليبي،**المسؤولية الخلقية و الجزاء عليها**، ط١، مكتبة الرشيد للنشر و التوزيع ، ١٤١٧ هـ، ١٩٩٦م، ص ٢٢٩.

[٢] البقرة،آية٨٣.

[٣] الإسراء،آية٥٣.

[٤] البقرة،آية١٦٩.

[٥] الحج،آية٣٠.

[٦] رواة مسلم عن ابن مسعود،في البر،باب قبح الكذب و حسن الصدق،ج٤/ص٢٠١٢، رقم ٢٦٠٧.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ب - ثانياً: المسؤولية الفردية في الأخلاق الفعلية:

وهي أفعال الإنسان وتصرفاته الخلقية حسنه كانت أو سيئة[١].ومسؤولية الأفعال هي ترجمة وتأكيد لكل ما يدور لدى الإنسان من معانٍ باطنة.يقول تعالى: " ولا تَقفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالبَصَرَ وَالفُؤَادَ كلٌّ أولئك كانَ عَنْهُ مَسْؤُولا ".فالفعل تمتد مسؤوليته إلى كل الخطوات التحضيرية قبل أن يشرع الإنسان في عمله، من نية وعزم أو همّ أو حديث نفس[٢].

وتصدر الأخلاق سواء أكانت حسنة أو سيئة عن أعضاء الإنسان، وهي العين، والأذن، واليد، والرجل، والفرج، وغيرها.

فالعين: خُلقها الحسن غض البصر عن ما حرم الله تعالى، وخلقها السيء النظر إلى ما حرم سبحانه.قال تعالى: " قُل لِّلمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ذَلِكَ أَزْكَى لَهُمْ إِنَّ اللهَ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ "[٣].

والأذن:خُلقها الحسن حفظها عن سماع المحرمات، وخُلقها السيء التلذذ بسماع المحرمات " إِنَّ السَّمْعَ وَالبَصَرَ وَالفُؤَادَ كلُّ أولئِكَ كانَ عَنْهُ مَسْؤُولا "[٤].

واليدين: خُلقها الحسن حفظهما من السعي إلى الحرام، وخلقهم السيء السعيُ إلى ما حرم الله.قال تعالى: " أَيُّهَا النَّبِيُّ إذا جَاءكَ المُؤمِنَاتُ يُبَايِعْنَكَ عَلَى أن لا يُشْرِكْنَ بِاللهِ شَيْئًا وَلا يَسْرِقْنَ وَلا يَزْنِينَ وَلا يَقْتُلْنَ أَوْلادَهُنَّ وَلا يَأْتِينَ بِبُهْتَانٍ يَفْتَرِينَهُ بَيْنَ أَيْدِيهِنَّ وَأَرْجُلِهِنَّ وَلا يَعْصِينَكَ فِي مَعْرُوفٍ فَبَايِعْهُنَّ وَاسْتَغْفِرْ لَهُنَّ اللهَ إِنَّ اللهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ "[٥].

إن مسؤولية الأخلاق الفعلية تبقى أمام أعيننا فهي أعمال مادية ملموسة ذات أثر واضح، وكما رأينا في الآيات الكريمة – الناهية والآمرة – فإن الإنسان بجوارحه مسؤول أمام الله عن هذه الأفعال الخلقية.

ج- ثالثاً: المسؤولية الفردية في إقرار الفعل:

ويقصد بها كل إمداد الخلق قولي أو فعلي حسن أو قبيح[١].فالخلق الحسن مطلوب إقراره والموافقة عليه، ومحبة من يقوم به. والخلق السيء مطلوب رفضه وإنكاره." وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِي الكِتَابِ أَنْ إِذا سَمِعْتُمْ آيَاتِ اللهِ يُكفَرُ بِهَا وَيُسْتَهْزَأُ بِهَا فَلا تَقْعُدُوا مَعَهُمْ حَتَّى يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ إِنَّكُمْ إِذا مِّثْلُهُمْ إِنَّ اللهَ جَامِعُ المُنَافِقِينَ وَالكَافِرِينَ فِي جَهَنَّمَ جَمِيعًا "[٢].

---

[١] الجليبي: **المسؤولية الخلقية**. ص ٢٣٧.
[٢] محمد عبد القادر: **من قضايا الأخلاق في الفكر الإسلامي**. ص ٤٠.
[٣] النور، آية ٣٠.
[٤] الإسراء، آية ٣٦.
[٥] الممتحنة، آية ١٢.
[١] الجليبي: **المسؤولية الخلقية**. ص ٢٤٠.
[٢] النساء، آية ١٤٠.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

يقول الإمـا م القرطبـي فـي تفسير هذه الآيـة: " دل قولـه تعـالى: " إِنَّكُمْ إِذا مِّثْلُهُمْ " علـى وجوب اجتناب أصحاب المعاصي إذا ظهر فهم منكر، لأن من لم يجتنبهم فقد رضى فعلهم "[٣].

ويفهم من ذلك أن ومن رضـى فعل أصـحاب المعاصـي وأقرهم عليـه وجالسـهم ولـم ينـه عنه فهو معهم في الإثم لأن إقرار خلق فيه معصية يعني الرضـى بالمعصية.وقال تعـالى: " وَلا تَرْكَنُوا إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا فَتَمَسَّكُمُ النَّارُ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ اللهِ مِنْ أَوْلِيَاءَ ثُمَّ لا تُنصَرُونَ "[٤].

والركون إلـى الشـيء فـي هذه الآيـة هو الميل والسكون ظـاهرا وباطنـا،فالمسؤولية فـي إقـرار الأخـلاق السـيئة أن الفـرد بهـذا الإقـرار يشـجع الغيـر علـى فسـاده، ويعينـه علـى انحرافـه بسكوته.

---

[٣] أبو عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي: **الجامع لأحكام القرآن**. دار الكاتب العربي، ١٣٨٧ هـ، ١٩٦٧م، ط٣، ج٥، ص ٤١٨.

[٤] هود، آية ١١٣.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ثالثاً: شروط المسؤولية عن الأخلاق الفردية:

عند الحديث عن تشكل المسؤولية فلا بد من أن تتوفر لها شروط معلومة، منها ما يتعلق بالفرد المسؤول ومنها ما يتعلق بطبيعة الإلزام المسؤول عنه. وتتلخص هذه الشروط بما يلي:

١- أن يكون صاحب الخلق أهلاً للمسؤولية.وهي الشروط التي لا بد من توفرها في المكلف بشكل عام، كالبلوغ والعقل أما بالنسبة للبلوغ، فهو الحد الذي يؤخذ الإنسان عند بلوغه بأعماله واختياراته، وأما ما يسبقها من العمر فهي مرحلة تدريب على تحمل المسؤولية أما العقل فهو مناط التكليف وبدونه لا مسؤولية، وهذا الشرط متعلق بالشخص المسؤول[١].

٢- أن يكون العمل إرادياً، فالإكراه يدفع بالمسؤولية، وفي هذا يقول الله تعالى: " إلاّ مَنْ أكرِهَ وَقلبُهُ مُطمَئِنٌّ بالإيمَان "[٢] فنلاحظ هنا أن العفو لم يشمل قول ما فيه خروج عن الدين بسبب الإكراه فحسب بل شمل أيضاً المخالفة الخلقية المتمثلة بأن هذا المكره قد قال ما لا يعتقد[٣].

٣- أن تتوفر في العمل النية والقصد لما ينجم عنه من نتائج خير أو شر، فالمسؤولية الحقيقية عند الله تكون وفق نيته وغايته، " وليس عليكم جناح فيما أخطأتم به ولكن ما تعمدت قلوبكم "[٤] .ومما يجدر ملاحظته هنا أن رفع المسؤولية هنا قد يكون رفعاً كلياً أو جزئياً، فبعض الأفعال الخاطئة التي لم يسبقها تعمد نيه سيئة تدفع عنها المسؤولية كلها، ولكن بعضها الآخر تدفع عنه المسؤولية الجزئية كما ترى بالنسبة لفعل الخطأ، فإن رفع المسؤولية الأخروية لا يلغي المسؤولية الدنيوية[٥].

٤- العلم بالعمل وما يؤدي إليه العمل من خير وشر بحكم العمل الأخلاقي أو الشرعي، " وَمَا كُنَّا مُعَذبينَ حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولا "[٦]. فلا جزاء إلا بعد التبليغ وحيث لا جزاءفإنه لا مسؤولية[٧].

٥- عدم المسؤولية عن العمل مع العجز على القدره، فالجانب الخلقي هنا بحسب المنظومة القرآنية ليس فيه ما يعجز في الظرف الطبيعي للإنسان، " لا يُكلّفُ اللهُ نَفسًا إلاّ وُسْعَهَا "[٨].

---

[١] حبنكة: **الأخلاق الإسلامية**: ص١١٠.
[٢] النحل، آية ١٠٦.
[٣] عبد الله دراز: **دستور الأخلاق** : ص١٨٠.
[٤] آل عمران، آية ١٥٤.
[٥] دراز: **دستور الأخلاق** :ص ١١٢.
[٦] الإسراء، آية ١٥.
[٧] مقدار يلجن ، **علم الأخلاق الإسلامية** ، ص٢٥٢.
[٨] البقرة، آية ٢٨٦.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

نخلص من ذلك إلى أن قضية المسؤولية تشغل أساساً محورياً في الأخلاق، سواء المسؤولية بمعنى التكليف أو المسؤولية بمعنى الجزاء، فيتكامل المعنيان، فهي عمل يكلف به الإنسان ليكون واعياً لما يقوم به ويعرف أن عليه رسالة يجب أداؤها على أكمل وجه حتى تتحقق إنسانيته، ويعلم أنه محاسب على هذه الأعمال الخلقية فيحدد طريقة ويوجهه، والإنسان قادر إذا صدق النية مع الله على أن يغير ما بنفسه حتى يغير الله ما به.ثم إن المسؤولية في القرآن تقع على حدّين: حد الإلزام الذي يدفع الفرد لمراعاته لقوى الإلزامية أن يلزم نفسه بمنظومة الأخلاق القرآنية. وحدّ الجزاء الذي يدفع الفرد إلى الإحسان والإتقان في حمل نفسه بشكل مستمر على مراعاة هذه الأخلاق في سلوكه الظاهر، ومقصده الباطن.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

المبحث الثاني: مظاهر الأخلاق الفردية وصورها في القرآن الكريم

- المطلب الأول: مظاهر الأخلاق الفردية الباطنة وصورها

- المطلب الثاني: مظاهر الأخلاق الفردية الظاهرة وصورها

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

المبحث الثاني: مظاهر الأخلاق الفردية وصورها في القرآن الكريم.

إن الأخلاق أمر لا غنى عنه، لأنه شرط في تحقيق السعادة للإنسان، وهذا أمر واضح وبيّن في الإسلام، لأن الأخلاق ضرورة باعتبارها علماً من العلوم، وجب على كل إنسان أن يعلمه.

والأخلاق الإسلامية تحاول إخضاع كل سلوك فردي – ما ظهر منه وما بطن – لصالح الإنسان وسعادته:وما دام الأمر كذلك فإن مجال الأخلاق الفردية هو هذه الحياة كلها من حيث: هي موضوع الأخلاق وغايتها معاً ،لأن من الأعمال الظاهرة إما أن تكون خيرة، أو تكون شريرة. والأعمال الظاهرة إما أن تكون حسنة أو قبيحة، نافعة أو ضارة.

ومن هنا فلا بد لنا أن نبيّن مظاهر الأخلاق الفردية وصورها – سواء الحسنة منها أو السيئة – وقد قسمنا هذه المظاهر والصور إلى قسمين:

المطلب الأول : مظاهر الأخلاق الفردية الباطنة وصورها .

المطلب الثاني : مظاهر الأخلاق الفردية الظاهرة وصورها .

المطلب الأول: مظاهر الأخلاق الفردية الباطنة وصورها :

ويقصد بمظاهر الأخلاق الفردية الباطنة بالأخلاق التي تحدث في نفس الإنسان وقلبه بإرادة منه أو بغير إرادة .وقد عرّفها الإمام الغزالي " عبارة عن الخواطر التي تهمس في النفس، ولا يتبعها عزم على الفعل"[١] . وهي تشمل أيضاً الرغبات والميول الناتجة عن الأفكار والخواطر القلبية:" فالقلب خزانة كل جوهر ثمين نفيس، وكل معنى خطير"[٢].

ولقد وردت عدة صفات خلقية للنفس الإنسانية في القرآن الكريم،منها كما يذكر الشيخ عبد الرحمن حبنكه، إنها:" تهوى فلها أهواء، وتشتهي فلها شهوات، وتصبر أو تضج وتخاف وتخشى وتجود وتبخل وتحسد، وتهدي أو تضل، وتتزكى أو تتدنس"[٣].

ومن مظاهر الأخلاق الفردية الباطنة في القرآن الكريم وصورها :الهوى، الشهوة، و إخلاص النية،وطهارة النفس والاستقامة، والنفاق والرياء، والحسد، والطمع، والضيق، والحرج، والعجب والغرور.

أ - **الشهوة**: اتفق العلماء والحكماء على أن لا طريق إلى سعادة الآخرة إلا بنهي النفس عن الهوى ومخالفة الشهوات[٤].

---

[١] الغزالي:(٥٠٥)هـ **إحياء علوم الدين**. ص٤٠، ج٣دار المعرفة،بيروت لبنان،دط.

[٢] عمر يوسف حمزة: **أصول الأخلاق في القرآن الكريم**. ط١، دار الخليج للنشر والتوزيع ، ٢٠٠٦م، ص٦٢.

[٣] عبد الرحمن حبنكة: **الأخلاق الإسلامية** ، ص٢١٦.

[٤] الغزالي: **إحياء علوم الدين**. ج٤ص،٦٧.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وقد أثبت القرآن أن للنفس شهوات تستمع بها وقد تكون طريقا للمفسدة الأخلاقية، يقول تعالى في وصف الجنة والنعيم:

" وَهُمْ فِي مَا اشْتَهَتْ أَنفُسُهُمْ خَالِدُونَ"[١]. ويقول:" وَفِيهَا مَا تَشْتَهِيهِ الأَنفُسُ وَتَلَذُّ الأَعْيُنُ"[٢].

ففي هاتين الآيتين إشارة إلى وجود الشهوة، وأقر القرآن بها، يقول تعالى في ذم الشهوات التي تقود إلى الهلاك: " وَيُرِيْدُ الَّذِيْنَ يَتَّبِعُوْنَ الشَّهَوَاتِ أَنْ تَمِيْلُوا مَيْلاً عَظِيْماً "[٣]. ويقول - سبحانه وتعالى-:" فَخَلَفَ مِن بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا الصَّلاَةَ وَاتَّبَعُوا الشَّهَوَاتِ"[٤].

وفي النهي عن إتباع شهوات البصر والفرج يقول – تعالى -:" ثُمَّ أَتِمُّوْا الصِّيَامَ إِلَى اللَّيْلِ وَلا تُبَاشِرُوْهُنَّ وَأَنْتُمْ عَاكِفُونَ فِي المَسَاجِدِ تِلْكَ حُدُوْدُ اللهِ فَلا تَقْرَبُوهَا "[٥]. يقول في هذا سيد قطب: "وهذه كلها عناصر لازمة في إعداد النفوس لاحتمال مشقات الطريق المفروش بالصعوبات والأشواك، والذي تتناثر عن جوانبه الرغبات والشهوات[٦].

ثم إننا نجد الإمام القرطبي يقول في الشهوة: "إن الصوم يمنع من ملاذ النفس وشهوتها ما لا يمنع سائر العبادات. فإنه كلما قل الأكل ضعفت الشهوة، وكلما ضعفت الشهوة قلت المعاصي، والصيام يقلل الشهوات"[٧].

إذا فالشهوات من الأسباب والوسائل الإغوائية المثيرة للنفس الإنسانية، فتنحرف بسلوكه وأخلاقه عن الطريق القويم إلى طريق الضلال والكفر.

ب- إخلاص النية:

وهي الإرادة في التوجه نحو الفعل المختار، أو هي " قصد فعل الشيء"[٨]. والنية في الأخلاق الفردية الباطنة أمر ضروري ومهم، وذلك لما تقتضيه من صلاح العمل وفساده بحسب نية الفرد. يقول تعالى:" وَمَا أُمِرُوا إِلا لِيَعْبُدُوا اللهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاء وَيُقِيمُوا الصَّلاَةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ وَذَلِكَ دِينُ القَيِّمَةِ "[٩].

فالفرد المكلف خلق لعبادة الله فلا يجوز أن ينوي خلاف أمر الله تعالى.فالنية هي التي تجعل الخلق خالصاً لوجه الله وطاعة له، وهي التي تجعله معصية إذا كان هدفه رضا الناس،

---

[١] الأنبياء، ١٠٢.
[٢] الزخرف، ٧١.
[٣] النساء، ٢٧.
[٤] مريم، ٥٩.
[٥] البقرة، ١٨٧.
[٦] سيد قطب: **في ظلال القرآن**. ج١، ص٢٣٨.
[٧] **الجامع لأحكام القرآن**، القرطبي، ج٢، ص٢٧٤-٢٧٦.
[٨] أبو عبد الله محمد بن قيم الجوزية: **إغاثة اللهفان من مصائد الشيطان**. تحقيق محمد سيد كيلاني، مطبعة مصطفى الباني، ج١، ص١٥٦.
[٩] البينة، ٥.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

فمن أطعم الفقير ليقال عنه أنه أطعم وأعطى، فأن خلق الإطعام والإعطاء هنا هو خلق فيه معصية ورياء فيما نواه لغير الله تعالى.ويقول تعالى:" لا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِنْ نَجْوَاهُمْ إلا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلاح بَيْنَ النَّاسِ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ ابْتِغَاءَ مَرْضَاةِ اللهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا"[١]. ويوضح هذا قول سيد قطب حين يقول" ذلك أن يجتمع الرجل الخير بالرجل الخير، فيقول هلم فتصدق على فلان فقد علمت حاجته في خفية عن الأعين. على شرط أن يكون الباعث هو ابتغاء مرضاة الله " ومن يفعل ذلك ابتغاء مرضاة الله فسوف نؤتيه أجراً عظيماً" فلا يكون لهوى في الصدقة عن فلان، أو الإصلاح بين فلان، ولا ليكون ليشتهر الرجل"[٢].

ج- طهارة النفس والاستقامة:

ولا تقل طهارة النفس واستقامتها عما سبق من مظاهر وصور فلذلك يقول تعالى: "وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا ۞ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا۞ قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّاهَا۞ وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّاهَا"[٣]. ثم يقول سبحانه" وَأُزْلِفَتِ الْجَنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ غَيْرَ بَعِيدٍ ۞ هَذَا مَا تُوعَدُونَ لِكُلِّ أَوَّابٍ حَفِيظٍ ۞ مَنْ خَشِيَ الرَّحْمَنَ بِالْغَيْبِ وَجَاء بِقَلْبٍ مُّنِيبٍ "[٤]. ونراه يقول:" قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَى إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ فَاسْتَقِيمُوا إِلَيْهِ وَاسْتَغْفِرُوهُ وَوَيْلٌ لِّلْمُشْرِكِينَ "[٥]. ونسمع من الحق:" فَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ وَمَن تَابَ مَعَكَ وَلا تَطْغَوْا إِنَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ "[٦].

وبهذا نرى أن الاستقامة درجة بها كمال الأمور، وتماسكها، وبوجودها حصول الثمرات وقطافها، ومن"لم يكن مستقيماً ضاع سعيه وخاب جده"[٧]. يقول ابن عاشور:" الحض على الدوام على التمسك بالإسلام على وجه قويم، وعبر عن ذلك بالإستقامه لإفادة الدوام عن العمل بتعاليم الإسلام، ووافق جماعة الاستقامة عليه، والحذر من تغييره، ولما كان الاختلاف في كتاب موسى -عليه السلام- إنما جاء من أهل الكتاب عطف على أمر النبي - ﷺ - بالاستقامة عن كتابه أمر المؤمنين بتلك الاستقامة – أيضا - لأن الاعوجاج من دواعي الاختلاف في الكتاب لنهوض فرق من الأمة إلى تبديله لمجارات أهوائهم"[١].

---

[١] النساء، ١١٤.

[٢] سيد قطب: **ظلال القرآن**. ج٢، ص٥٢٣.

[٣] الشمس، ٩-١٠.

[٤] ق، ٣١-٣٣.

[٥] فصلت، ٦.

[٦] هود، ١١٢.

[٧] عمر حمزة: **أصول الأخلاق** . ص١٩٢.

[١] محمد الطاهر ابن عاشور: **التحرير والتنوير**. مؤسسة التاريخ، بيروت، ط١٩٩٣،١، ج١١، ص٣٣٩.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

د - النفاق والرياء:

وهو إظهار ما ليس في الباطن وقد ذم الله تعالى أصحاب هذه الأخلاق بقوله:" وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَقُولُ آمَنَّا بِاللَّهِ وَبِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَمَا هُمْ بِمُؤْمِنِينَ ۞ يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَمَا يَخْدَعُونَ إِلَّا أَنْفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ ۞ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ فَزَادَهُمُ اللَّهُ مَرَضًا وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ"[٢]. ويقول – تعالى -:" وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يُعْجِبُكَ قَوْلُهُ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيُشْهِدُ اللَّهَ عَلَى مَا فِي قَلْبِهِ وَهُوَ أَلَدُّ الْخِصَامِ ۞ وَإِذَا تَوَلَّى سَعَى فِي الْأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ الْحَرْثَ وَالنَّسْلَ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْفَسَادَ ۞ وَإِذَا قِيلَ لَهُ اتَّقِ اللَّهَ أَخَذَتْهُ الْعِزَّةُ بِالْإِثْمِ فَحَسْبُهُ جَهَنَّمُ وَلَبِئْسَ الْمِهَادُ "[٣].

وفي الرياء قوله تعالى:" إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ مَنْ كَانَ مُخْتَالًا فَخُورًا ۞ الَّذِينَ يَبْخَلُونَ وَيَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبُخْلِ وَيَكْتُمُونَ مَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا مُهِينًا ۞ وَالَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ رِئَاءَ النَّاسِ "[٤]. ويقول سبحانه وتعالى:" فَوَيْلٌ لِلْمُصَلِّينَ ۞ الَّذِينَ هُمْ عَنْ صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ ۞ الَّذِينَ هُمْ يُرَاؤُونَ ۞ وَيَمْنَعُونَ الْمَاعُونَ "[٥].

وفي تأكيد خطر هذا الخلق يقول القرطبي[٦]:"اذ أمر الله جلّ وتعالى المؤمنين أولاً وبدأ بهم لشرفهم وفضلهم ذكر الكافرين في مقابلتهم لنفي،إن الكفر والإيمان طرفان، ثم ذكر المنافقين بعدهم وألحقهم بالكافرين قبلهم، انتفى الإيمان عنهم بقوله تعالى:" وما هم بمؤمنين "[٧]. ويقول ابن عطية: وإذما كان النفاق موجباً لازدياد ما يقارنه من سيء الأخلاق لأن النفاق يستر الأخلاق الذميمة، فتكون محجوبة عن الناصحين والمربين، والمرشدين. وبذلك تتأصل وتتوالد إلى غير حد، والنفاق في كتمه مساوئ الأخلاق بمنزلة كتم المريض دائه عن الطبيب[٨].

---

[٢] البقرة، ٨-١٠.
[٣] البقرة، ٢٠٤-٢٠٦.
[٤] النساء، ٣٦ – ٣٨.
[٥] الماعون، ٤-٧.
[٦] القرطبي: **أحكام القرآن**. ج١، ص١٩٢
[٧] البقرة، ٨.
[٨] أبو محمد عبد الحق غالب بن عطية الأندلسي: **المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز**. تحقيق عبد السلام عبد الشافي محمد، ط١، ١٩٩٣، دار الكتب العلمية،ج٢،ص٢٧٤.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

هـ- الحسد والطمع:

نبه القرآن إلى هاتين الخصلتين وحذر منهما، يقول تعالى:" أَم يَحْسُدُونَ النَّاسَ عَلَى مَا آتَاهُمُ اللهُ مِنْ فَضْلِه "[١]. ويقول:" وَلَا تَتَمَنَّوْا مَا فَضَّلَ اللهُ بِهِ بَعْضَكُمْ عَلَى بَعْضٍ لِلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِمَّا اكْتَسَبُوا وَلِلنِّسَاءِ نَصِيبٌ مِمَّا اكْتَسَبْنَ وَاسْأَلُوا اللهَ مِنْ فَضْلِه "[٢].

إن الحسد مرض من أمراض القلوب وهو تمني زوال النعمة عن المحسود، أما آثاره فهي آثار نفسية واجتماعية ودينية، تترك بصماتها على السلوك الاجتماعي، والعلاقات الاجتماعية على مستوى الفرد والجماعة. والحسد خلق فردي مذموم، وقف عنده القرآن الكريم حيث قال تعالى:" وَدَّ كَثِيرٌ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يَرُدُّونَكُمْ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِهِمْ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْحَقُّ "[٣].وهنا نفهم بأنه "الحسد الانفعال الأسود الخسيس الذي فاضت به نفوس اليهود تجاه الإسلام والمسلمين، وتتكشف فيها النية السيئة والحسد اللئيم هنا يدعو القرآن الكريم المؤمنين إلى الارتفاع عن مقابلة الحسد بالحقد والشر بالشر، ويدعوهم إلى الصفح والعفو"[٤] من خلال إنكارها لهذه الصفات الموجودة عند اليهود.

و- الصبر:

أثبت القرآن أن الصبر من الأخلاق الفردية الباطنة وهو من صفات النفس، مع أنه قد يكون من الأفعال الظاهرة أيضاً بما يظهره الإنسان من تحمل ورضا، لأن الصبر منبعه القلب والنفس، فإذا صبرت النفس ظهر على الجوارح، يقول تعالى:" وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ "[٥]. ويقول تعالى:" وَلِرَبِّكَ فَاصْبِرْ "[٦]. ويقول: " وَاصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلاَّ بِاللهِ "[٧].

فلقد اهتم القرآن بالصبر لأنه ضرورة لازمة للإنسان ليرتقي مادياً ومعنوياً، ويسعد فردياً واجتماعياً. فالصبر ضرورة دنيوية كما هو ضرورة دينية[٨].والتسلح بالصبر دليل على

---

(١) النساء، ٥٤.
(٢) النساء، ٣٢.
(٣) البقرة، ١٠٩.
(٤) سيد قطب: **في ظلال القرآن**. ج١، ص١٣٨.
(٥) الكهف، ٢٨
(٦) المدثر، ٧.
(٧) النحل، ١٢٧.
(٨) عمر حمزة: **أصول الأخلاق**.ص١٢٩.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

قوة الإيمان والإرادة وصلابة العقيدة وتماسك الشخصية، وسبب واقع لا مفر منه، لذلك لا بد من الرضا بالواقع، والقضاء والقدر، والصبر [١] .

ويعلق ابن عاشور على معاني الصبر بأن:" المراد بالذين صبروا المؤمنين بالله، لأن الصبر من مقارنات الإيمان، لكن الذين صبروا على المؤمنين، فإن الإيمان يروض صاحبه على مفارقة الهوى ونبذ مضار الضلالة"[٢].

ز- العُجب والغرور والكبر:

وهي من الأخلاق التي تتصف بها النفس، وهي أخلاق مذمومة وعادة قبيحة يستنكرها الناس جميعاً ، وتستوجب غضب الله تعالى لأن الكبرياء هي من صفات الله القادر وحده[٣]. يقول تعالى في ذم هذه الأخلاق:" وَقَالَ الَّذِينَ لا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا لَوْلا أُنزِلَ عَلَيْنَا الْمَلائِكَةُ أَوْ نَرَى رَبَّنَا لَقَدِ اسْتَكْبَرُوا فِي أَنفُسِهِمْ وَعَتَوْ عُتُوًّا كَبِيرًا "[٤]. وقال:" وَلا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلا تَمْشِ فِي الأَرْضِ مَرَحًا إِنَّ اللهَ لا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ "[٥]. وذكر تعالى:" إِنَّهُ لا يُحِبُّ الْمُسْتَكْبِرِينَ "[٦]. وقال الحق:" أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يُزَكُّونَ أَنفُسَهُمْ بَلِ اللهُ يُزَكِّي مَنْ يَشَاءُ "[٧].

يقول سيد قطب في قوله تعالى:" ولا تصعر خدك للناس"،بأن "الصعر داء يصيب الإبل فيلوي أعناقها، فهذا أسلوب القرآن، يختار هذا التعبير للتنفير من الحركة المشابهة للصعر، حركة الكبر و الازدراء، وإمالة الخد للناس في تعال واستكبارا والمشي في الأرض مرحاً هو المشي في تخايل ونفخة وقلة مبالاة في الناس، وهي حركة يمقتها الله ويمقتها الخلق وهي تعبير عن شعور مريض بالذات "[٨].

المطلب الثاني: مظاهر وصور الأخلاق الفردية، الظاهرة:

ونقصد بصور الأخلاق الفردية الظاهرة تلك الأخلاق التي تظهر على أفعال الإنسان وأقواله وإقراراته فمنها:

أ- الأخلاق الفردية الظاهرة القولية:

وهي الأخلاق التي تصدر عن اللسان من: كلمة، أو جملة حسنة، أو قبيحة، يتلفظ بها الإنسان، سواء أكانت مقصودة أم غير مقصودة. ومن هذه الأخلاق:

---

(١) وهبه الزحيلي: **أخلاق المسلم علاقته بالخالق**. ط١، دار الفكر المعاصر، بيروت، ٢٠٠٣، ص٧٣.
(٢) ابن عاشور: **التحرير والتنوير**. ج١١، ص٢١٥.
(٣) الزحيلي: **أخلاق المسلم**. ص٢١١.
(٤) الفرقان، ٢١.
(٥) لقمان، ١٨.
(٦) النحل، ٢٣.
(٧) النساء، ٤١.
(٨) سيد قطب: **الظلال**، ج٦، ص ٤٦٧.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الصدق والكذب، والسخرية، والاستهزاء، والغيبة والنميمة، وشهادة الزور، والجهر بالسوء، والقذف بالباطل.

١. الصدق والكذب:

و يعرّف الصدق: أن يتكلم الإنسان بكلام لا يخالف الواقع والحقيقة فيسمى صادقاً.

و يعرّف الكذب: بأن يتكلم الإنسان بكلام يخالف الواقع والحقيقة فيسمى حينها كاذباً.

والصدق والكذب نقيضان فالصدق خلق محمود محبوب صاحبه والكذب خلق مذموم مكروه صاحبه، وقد وردت أدلة كثيرة في القرآن الكريم على مدح الصادق وذم الكاذب، يقول تعالى:" إِنَّمَا يَفْتَرِي الْكَذِبَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْكَاذِبُونَ "[١].

" وَيَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ "[٢].ويقول –سبحانه وتعالى-" وَإِنَّ مِنْهُمْ لَفَرِيقًا يَلْوُونَ أَلْسِنَتَهُمْ بِالْكِتَابِ لِتَحْسَبُوهُ مِنَ الْكِتَابِ وَمَا هُوَ مِنَ الْكِتَابِ وَيَقُولُونَ هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَمَا هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَيَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ "[٣].

ومن أعظم الكذب الكذب على الله تعالى ورسوله لأنه افتراء في الدين وتلاعب بشرائع الله لعباده. وأما الصدق فيقول سبحانه وتعالى:" يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ "[٤]. ففي هذه الآية حث للمؤمنين أن يصدقوا ليكونوا مع الصادقين.ويقول تعالى " وَالَّذِي جَاءَ بِالصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِ أُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ "[٥]. فالصدق صفة للمتقين والمؤمنين.

وللمجتمع الصالح مقومات أساسية، أهمها الصدق يقول الدكتور حبنكة:" تبدوا لنا حاجة المجتمع الإنساني إلى خلق الصدق حينما نلاحظ أن شطراً كبيراً من العلاقات الاجتماعية والمعاملات الإنسانية تعتمد على شرف الكلمة، فإذا لم تكن الكلمة معبرة تعبيراً صادقاً عما في نفس قائلها، لم نجد وسيلة أخرى كافية تعرف فيها إرادات الناس، وتصرف فيها حاجاتهم، وتعرف فيها حقيقة أخبارهم"[٦].

٢. شهادة الزور:إن التخلق بشهادة الزور من أقبح الأخلاق التي يتصف بها الإنسان، لما له من أثر سلبي على الفرد والمجتمع، فالأصل أن تكون هذه الشهادة هي فاصلا بين الحق

---

(١) النحل، ١٠٥.
(٢) آل عمران، ٧٥.
(٣) آل عمران، ٧٨.
(٤) التوبة، ١١٩.
(٥) الزمر، ٣٣.
(6) حبنكة، **الأخلاق الإسلامية**، ص٤٨٥.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

والباطل، والصدق والكذب وينتج عنها الظلم وأكل الحق. يقول تعالى:" فَاجْتَنِبُوا الرِّجْسَ مِنَ الْأَوْثَانِ وَاجْتَنِبُوا قَوْلَ الزُّورِ "[١].

ويقول تعالى:" وَالَّذِينَ لَا يَشْهَدُونَ الزُّورَ وَإِذَا مَرُّوا بِاللَّغْوِ مَرُّوا كِرَامًا "[٢].وهذه الآية تؤسس لصفات المؤمنين الذين لا يشهدون الزور ولا يقيمون في مداخلة الباطل.يقول سيد قطب:" وعدم شهادة الزور قد تكون على ظاهر اللفظ، ومعناه القريب، أنهم لا يؤدون شهادة الزور لما في ذلك من تضييع الحقوق والإعانة على الظلم، وقد يكون معناها الفرار من مجرد الوجود في مجالين أو مجال يقع فيه الزور بكل أصنافه"[٣].

٣. القذف بالباطل: يُعد خلق القذف بالباطل من أخطر الأخلاق التي تهدد الأمن الاجتماعي،وتصيب التعاضد والتواصل بين أفراده،فلهذا نبّه القرآن إليه. يقول تعالى: " وَالَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَأْتُوا بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ فَاجْلِدُوهُمْ ثَمَانِينَ جَلْدَةً وَلَا تَقْبَلُوا لَهُمْ شَهَادَةً أَبَدًا وَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ "[٤]. ويقول تعالى:" وَمَنْ يَكْسِبْ خَطِيئَةً أَوْ إِثْمًا ثُمَّ يَرْمِ بِهِ بَرِيئًا فَقَدِ احْتَمَلَ بُهْتَانًا وَإِثْمًا مُبِينًا "[٥] .

وهذا الخلق مذموم قبيح لما يجلبه للفرد والمجتمع من آثام، وظلم وعدوان وإشاعة للفاحشة. لذلك جعل القرآن فيه عقوبة رادعة مادية ومعنوية لمن يقوم بمثل هذا الفعل، وهي الجلد ثمانين جلدة لمن لم يثبت كلامه بأربعة شهداء ورفض شهادتهم واللعنة عليهم.

٤. الاستهزاء والسخرية: ويلحق بها كثير من الأخلاق المذمومة مثل الهمز واللمز والتنابز بالألقاب. والإسلام ذم هذه الأخلاق وقبحها ونهى عنها بقوله تعالى:" يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِنْ قَوْمٍ عَسَى أَنْ يَكُونُوا خَيْرًا مِنْهُمْ وَلَا نِسَاءٌ مِنْ نِسَاءٍ عَسَى أَنْ يَكُنَّ خَيْرًا مِنْهُنَّ وَلَا تَلْمِزُوا أَنْفُسَكُمْ وَلَا تَنَابَزُوا بِالْأَلْقَابِ بِئْسَ الِاسْمُ الْفُسُوقُ بَعْدَ الْإِيمَانِ وَمَنْ لَمْ يَتُبْ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ "[٦].

---

(1) الحج، ٣٠.
(2) الفرقان، ٧٢.
(3) سيد قطب، **ظلال القرآن**، مرجع سابق، ج٦، ص١٨٦.
(4) النور، ٤.
(5) النساء، ١١٢.
(6) الحجرات، ١١.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وتبرز حكمة الإسلام في التنبيه إلى أثر هذا الخلق وأهميته يقول سيد قطب في هذه الآيات :"إن المجتمع الفاضل الذي يقيمه الإسلام يهدي القرآن مجتمع له أدب رفيع ولكل فرد فيه كرامته التي لا تمس، وهي من كرامة المجموع ولمز أي فرد هو لمز لذات النفس لان في التعبير إيحاء خفي بأن القيم الظاهرة التي يراها الرجال في أنفسهم وتراها النساء في أنفسهن، ليست هي القيم الحقيقية التي يوزن بها الناس، فهناك قيم أخرى قد تكون خافية عليهم يعلمها الله ويزن بها العباد"[١]

٥. الغيبة والنميمة :

ينهى القرآن عن الغيبة والنميمة لتطهير القلوب والنفوس من الكره والحسد والغيرة لأنها سبب الغيبة والنميمة.يقول تعالى:" يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ وَلَا تَجَسَّسُوا وَلَا يَغْتَبْ بَعْضُكُمْ بَعْضًا أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَنْ يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ رَحِيمٌ "[٢].ويقول:" يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا إِذَا تَنَاجَيْتُمْ فَلَا تَتَنَاجَوْا بِالْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَمَعْصِيَتِ الرَّسُولِ وَتَنَاجَوْا بِالْبِرِّ وَالتَّقْوَى وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ "[٣] .

فالقرآن يعرض مشهداً مقززاً للذي يغتب أخاه مشهد الأخ يأكل لحم أخيه وهو ميت!

ويحذر الإسلام من هذا الخلق خشية سريانه في المحتمع الإسلامي حتى لا يشكل خطراً على أفراده وأخلاقه.

٦. الجهر بالسوء:

وقف القرآن الكريم في آخر هذه الأخلاق عند خلق خاص لا يأبه صاحبه بكلماته، ولا يراقب ألفاظه فيه، وهو خلق الجهر بالسوء.يقول تعالى:" لَا يُحِبُّ اللَّهُ الْجَهْرَ بِالسُّوءِ مِنَ الْقَوْلِ إِلَّا مَنْ ظُلِمَ "[٤] . يقول القرطبي في تفسير هذه الآية :" لا يحب الله أن يجهر أحد بالسوء إلا من ظلم فلا يكره له الجهر به، والمدافعة"[٥] .

ويقول قطب :" والجهر بالسوء من القول – في أية صورة من صوره- سهل على اللسان ما لم يكن هناك تحرج في الضمير وتقوى الله، فهو يدمر الثقة المتبادلة في المجتمع

---

(1)) سيد قطب، ج٧، ص٥٣٢

(2) الحجرات، ١٢.

(3) المجادلة، ٩.

(4) النساء، ١٤٨.

(5) القرطبي، **الجامع لأحكام القرآن**، ج٦، ص ١.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

والجهر بالسوء يبدأ في أول الأمر اتهامات فردية – سباً وقذفاً- وينتهي انحلالاً اجتماعياً وفوضى أخلاقية لذلك اقتصر حق الجهر به على من وقع عليه الظلم"[١] .

ب- الأخلاق الظاهرة الفردية الإقرارية:

وهي تتمثل بالسكوت عن جميع الأخلاق وعدم اتخاذ أي إجراء تجاه من يفارق الأخلاق المذمومة قولاً وفعلاً. وسأورد بعض الأمثلة عليها بقوله تعالى:" وقَدْ نزَّلَ عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ أَنْ إِذَا سَمِعْتُمْ آيَاتِ اللَّهِ يُكْفَرُ بِهَا وَيُسْتَهْزَأُ بِهَا فَلَا تَقْعُدُوا مَعَهُمْ حَتَّى يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ إِنَّكُمْ إِذًا مِثْلُهُمْ إِنَّ اللَّهَ جَامِعُ الْمُنَافِقِينَ وَالْكَافِرِينَ فِي جَهَنَّمَ جَمِيعًا "[٢] .

ويقول تعالى :" وإِذَا رَأَيْتَ الَّذِينَ يَخُوضُونَ فِي آيَاتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ حَتَّى يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ "[٣].

فالسكوت عن هذا الكلام يعني الإقرار به بحجة حرية الرأي وهي طريق إلى الاتفاق فالسكوت وعدم المحبة لله يأتي بعدها الخوف الركون والاستجابة لأقوالهم.وقوله تعالى:" ولَا تَرْكَنُوا إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا فَتَمَسَّكُمُ النَّارُ وَمَا لَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ أَوْلِيَاءَ ثُمَّ لَا تُنْصَرُونَ "[٤]

يقول ابن عاشور:" الركون: الميل والموافقة، وفعله ، وهو هنا للموافقة، فبعد أن نهاهم عن الطغيان نهاهم عن التقارب من المشركين لئلا يبطلوهم ويزلوهم عن الإسلام"[٥]

ج- الأخلاق الظاهرية الفردية الفعلية:

وهي الأخلاق التي تظهر على سلوك الفرد وجوارحه، وهي العفة والاحتشام، كظم الغيظ، التواضع، اجتناب سوء الضن، الاعتدال، تناقض الأفعال مع الأقوال، البخل، الإسراف، الزنا، تعاطي الخبائث والمحرمات، رد الدين، السرقة، الغش، خيانة الأمانة والعهد، الغدر والخداع،الرحمة، الإحسان، العفو، الحياء، وسنقوم بدراسة هذه الأخلاق بتقسيمها إلى قسمين:

أ- الأخلاق الحسنة

ب- الأخلاق السيئة

---

[١] سيد قطب، **ظلال القرآن**، مرجع سابق، ج٢، ص٥٧٨.

[٢] النساء، ١٤٠.

[٣] الأنعام : ٦٨.

[٤] هود، ١١٣.

[٥] ابن عاشور، **التحرير والتنوير**، ج١، ص٣٤١

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

أ- الأخلاق الحسنة: وهي الأخلاق المأمور بإتباعها لما فيه من خير للإنسان والمجتمع ومنها:

١. العدل: وهو المساواة بين التصرف وبين ما يقضيه الحق دون زيادة أو نقصان[١]، يقول تعالى في مشروعية العدل:" اللهُ الذي أَنْزَلَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ وَالْمِيزَانَ وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ السَّاعَةَ قَرِيبٌ [٢]. والميزان بمعنى العدل. والعدل هو الغاية التي أرسل بها الرسل وأنزلت الكتب وهو أساس الوجود كله، وهو نظام كل شيء، فإذا قامت أمور الإنسان عليه كانت صحيحة وثابتة[٣]. يقول تعالى:" يَا أَيُّهَا الذين آَمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ شُهَدَاءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَى أَنْفُسِكُمْ أَوِ الْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ إِنْ يَكُنْ غَنِيًّا أَوْ فَقِيرًا فَاللَّهُ أَوْلَى بِهِمَا فَلَا تَتَّبِعُوا الْهَوَى أَنْ تَعْدِلُوا وَإِنْ تَلْوُوا أَوْ تُعْرِضُوا فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا [٤]. فهذه الآية صريحة بالأمر بالعدل والله يعلم ما تعملون.

٢. العفة والاحتشام، غض البصر: يقول الله تعالى صراحة في هذا الخلق" قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ذَلِكَ أَزْكَى لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ ۞ وَقُلْ لِلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا [٥]. وفي هذه الآية يظهر جلياً موقف القرآن من العفة والحشمة، فهو من الأخلاق المأمور بها على مستوى الفرد وذلك أنه إذا التزم بها الفرد سرى على المجتمع بالخير وإذا تركه جاء بالويلات عليه.

٣. كظم الغيظ والعفو عند المقدرة والصفح: وجه النص القرآني النظر إلى خلق كظم الغيظ والعفو فقال:" وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ [٦].ويقول: " فَاصْفَحِ الصَّفْحَ

---

(1) حبنكة، **الأخلاق الإسلامية**، مرجع سابق، ص٥٦٩
(2) الشورى، ١٧.
(3) محمد عفيفي، **العنصرية الخلقية**،ص٤٥٨.
(4) النساء، ١٣٥
(5) النور، ٣٠-٣١
(6) آل عمران، ١٣٤.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الْجَمِيلَ ۞ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ الْخَلاقُ الْعَلِيمُ [٧].ولفت سيد قطب النظر في قوله تعالى: " والكاظمين الغيظ"فيقول: وكظم الغيظ هو المرحلة الأولى، وهي وحدها لا تكفي، فقد يكظم الإنسان غيظه بحقد، ويتحول الغضب الظاهر إلى حقد دفين، وإن الغيظ والغضب لأنظف وأطهر من الحقد والضغن، لذلك يستمر النص ليقرر النهاية المطلقة لذلك الغيظ والكظم في نفوس المتقين، إنها العفو والمسامحة والانطلاق"[١]

٤. التواضع وغض الصوت:أشار القرآن إلى أهمية خلق التواضع، وغض الصوت حيث قال: " واقْصِدْ فِي مَشْيِكَ وَاغْضُضْ مِنْ صَوْتِكَ إِنَّ أَنْكَرَ الْأَصْوَاتِ لَصَوْتُ الْحَمِيرِ "[٢]. والمقصود التواضع في المشية وخفض الصوت.

" وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا "[٣]. يقول القرطبي:" يمشون على الأرض حلماء متواضعين يمشون في اقتصاد، والقصد التؤده وحسن الأخلاق اتسمت به أخلاق النبوة"[٤].

٥. اجتناب سوء الظن: دعا القرآن الكريم الإنسان صراحة إلى اجتناب سوء الظن فقال:" وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا "[٥].

وقال:" يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ "[٦]. يقول سيد قطب: " تأمرهم الآية باجتناب كثير من الظن فلا يتركوا نفوسهم لكل هاجس فيها حول الآخرين من ظنون وشبهات وشكوك،" إن بعض الظن إثم" وما دام النهي منصبا على أكثر الظن، والقاعدة أن بعض الظن إثم، فإن إيحاء هذا التعبير للضمير هو اجتناب الظن السوء أصلا، لأنه لا يدري أي ظنونه تكون إثما"[٧].

٦. الإحسان والإنفاق والجود والكرم والاعتدال والعطاء: يقول الله تعالى في هذا الخلق العظيم:" والَّذِينَ إِذَا أَنْفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ

---

[7] الحجر،٨٥ ـ ٨٦.
[١] سيد قطب، **ظلال القرآن**، ج٢، ص٧٧
[٢]) لقمان، ١٩.
[٣] الفرقان، ٦٣.
[٤] القرطبي، **الجامع لأحكام القرآن**، ج١٣، ص٦٨.
[٥] الإسراء، ٣٦.
[٦] الحجرات، ١٢.
[٧] سيد قطب، **الظلال**، ج٧، ص٥٣٣.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

بَيْنَ ذَلِكَ قَوَاماً "[٨]. وهذه الآية تدعو إلى الاعتدال بالإنفاق حيث لا يقتصر على ذلك فحسب، بل أن الاعتدال في كل أمور حياة الفرد لتنظمها وترتبها. أما العطاء فيقول فيه الله تعالى:" فَآتِ ذَا الْقُرْبَى حَقَّهُ "[١].ويقول:" لِيُنْفِقْ ذُو سَعَةٍ مِنْ سَعَتِهِ وَمَنْ قُدِرَ عَلَيْهِ رِزْقُهُ فَلْيُنْفِقْ مِمَّا آتَاهُ اللَّهُ "[٢].

وأما الإحسان والإنفاق فيقول فيه: " وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَى حُبِّهِ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا ۞ إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنْكُمْ جَزَاءً وَلَا شُكُورًا ۝"[٣].ويقول:" وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ خَيْرٍ فَلِأَنْفُسِكُمْ وَمَا تُنْفِقُونَ إِلَّا ابْتِغَاءَ وَجْهِ اللَّهِ "[٤].

أما في خلق الجود والكرم فيقول:" مَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنْبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِي كُلِّ سُنْبُلَةٍ مِئَةُ حَبَّةٍ وَاللَّهُ يُضَاعِفُ لِمَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ "[٥].

٧. بر الوالدين يعد خلق بر الوالدين من أعظم ثمرات الإيمان للأسرة الواحدة وللمجتمع الكبير فحث القرآن على هذا الخلق وعظمه، يقول تعالى:" وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَبِذِي الْقُرْبَى "[٦].

" وَقَضَى رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِنْدَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُلْ لَهُمَا أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُلْ لَهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا "[٧].ويقول:" وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهْنًا عَلَى وَهْنٍ "[٨]. وهذه الأخلاق من أعظم الأخلاق الفردية الممدوحة وذلك أن الله خاطب بها الفرد بقوله :" ووصينا الإنسان" وبقوله:" عندك" فهي على سبيل الإقرار برعاية الأبويين وطاعتهما التي يكلف بها كل إنسان على حده، وليس أحد من الأبناء ينوب عن غيره في

---

[٨] الفرقان، ٦٧.
[١] الروم، ٣٨.
[٢] الطلاق، ٧.
[٣] الإنسان، ٨-٩.
[٤] البقرة، ٢٧٢.
[٥] البقرة، ٢٦١.
[٦] النساء، ٣٦.
[٧] الإسراء، ٢٣.
[٨] لقمان، ١٤.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

رعايتهما، وبهذا الخلق الذي يسري من الفرد إلى المجتمع نرى بوضوح أنه سبيل لإبقائه متماسكاً وقوياً.

٨. الرحمة:وهي رقة تقتضي الإحسان إلى المرحوم، وقد تشتمل تارة في الرقة المجردة وتارة في الإحسان المجرد من الرقة، والرحمة فضيلة خلقية قرآنية تدل على قوة صاحبها ونبله، وهي من صفات الله بقوله تعالى:" ثُمَّ كَانَ مِنَ الَّذِينَ آَمَنُوا وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ وَتَوَاصَوْا بِالْمَرْحَمَةِ "[١].

ب- الأخلاق السيئة، ومنها:

١. تناقض الأفعال مع الأقوال: يقول تعالى:" أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنْسَوْنَ أَنْفُسَكُمْ وَأَنْتُمْ تَتْلُونَ الْكِتَابَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ "[٢].ويقول:" يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ ۞ كَبُرَ مَقْتًا عِنْدَ اللَّهِ أَنْ تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ "[٣]. والتناقض هو قول شيء وفعل شيء آخر وهو خلق مذموم إذ أن صاحبه يناقض نفسه وأقواله وهي من صفات المنافقين.

٢. البخل:يقول الحق تبارك وتعالى" وَمَنْ يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ "[٤].

ويقول:" إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ مَنْ كَانَ مُخْتَالًا فَخُورًا ۞ الَّذِينَ يَبْخَلُونَ وَيَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبُخْلِ "[٥].

ثم إن حقيقة البخل: منع ما في اليد. والشح هو البخل الذي تقترن به الرغبة فيما في أيدي الناس"[٦].

٣. الإسراف: يقول تعالى محذراً من هذا الخلق:" وَلَا تُبَذِّرْ تَبْذِيرًا ۞ إِنَّ الْمُبَذِّرِينَ كَانُوا إِخْوَانَ الشَّيَاطِينِ وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِرَبِّهِ كَفُورًا "[٧].ويقول:" يَا بَنِي آَدَمَ خُذُوا زِينَتَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ "[٨]. فالله تعالى يحب أن يرى أثر نعمته على عبده من غير إسراف وتبذير لأنها من صفات الشياطين وأتباعهم.

---

[١] البلد، ١٧-١٨.
[٢] البقرة، ٤٤.
[٣] الصف، ٢-٣.
[٤] الحشر، ٩.
[٥] النساء، ٣٧.
[٦] ابن عطية، **المحرر الوجيز**، مرجع سابق، ج٢، ص٥٢.
[٧] الإسراء، ٢٦ – ٢٧
[٨] الأعراف، ٣١

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

٤. الزنا: ويقول الله تعالى محذراً من هذا الخلق الفاحش:" ولَا تَقْرَبُوا الزِّنَا إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَسَاءَ سَبِيلًا "[١].ويقول:" الزَّانِيَةُ والزَّانِي فَاجْلِدُوا كُلَّ واحِدٍ مِنْهُمَا مِئَةَ جَلْدَةٍ "[٢] فالزنا آفة المجتمعات المنحلة والمدمرة، الضاربة بالفضيلة والحياء والنقاء.

٥. تعاطي المحرمات والخبائث:يقول سبحانه وتعالى:" يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنْصَابُ وَالْأَزْلَامُ رِجْسٌ مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ "[٣].ويقول:" إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةَ والدَّمَ ولَحْمَ الْخِنْزِيرِ وَمَا أُهِلَّ بِهِ لِغَيْرِ اللَّهِ "[٤]. وما حرم الله هذه المحرمات إلا لحكم كثيرة كشفها العلم وأنشئتها الحقائق.

٦. السرقة:يقول الحق:" والسَّارِقُ والسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا "[٥]. والسرقة هي أخذ مال الغير المحرز خفية، والإسلام إذا يربي ضمائر الناس وأخلاقهم فقد جعل اتجاههم في العمل والكسب المشروع، لا بإتباع السرقة والنهب، وقد وضع الإسلام عقوبة تقديرية وهي قطع اليدين من الرسغ لمن يسرق. فأسس عقوبة القطع "هو دراسة نفسية الإنسان وعقليته، فهي إذا عقوبة ملائمة للأفراد، وهي في الوقت ذاته صالحة لجماعة لأنها تؤدي إلى تقليل الجرائم وتأديب المجتمع"[٦].

٧. خيانة الأمانة والوعد والغدر: يقول تعالى محذراً من خلق الخيانة والغدر:" ولَا تَنْقُضُوا الْأَيْمَانَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا وَقَدْ جَعَلْتُمُ اللَّهَ عَلَيْكُمْ كَفِيلًا "[٧]." يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا لَا تَخُونُوا اللَّهَ والرَّسُولَ وتَخُونُوا أَمَانَاتِكُمْ "[٨] وأعظم الخيانات

---

[١] الإسراء، ٣٢
[٢] النور:٢.
[٣] المائدة، ٩٠ .
[٤] البقرة، ١٧٣
[٥] المائدة، ٣٨.
[٦] سيد قطب، **الظلال**،ج٢، ص٧٢
[٧] النحل، ٩١
[٨] الأنفال، ٢٧

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

هي خيانة الله ورسوله بما شرع للعباد." إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ مَنْ كَانَ خَوَّانًا أَثِيمًا ۞ يَسْتَخْفُونَ مِنَ النَّاسِ وَلَا يَسْتَخْفُونَ مِنَ اللَّهِ "[٩].

نخلص إلى القول أن هذه الأخلاق إلى أننا قد ذكرنا جزء من الأخلاق الواردة في القرآن الكريم على سبيل الذكر لا الحصر، فالقرآن محشود بالآيات الدالة على الأخلاق إلا أن مجال البحث لا يتسع إلا للذكر والإشارة إلى مظاهرها ووجودها فحسب، ونعود إلى القول أن مظاهر الأخلاق الفردية ليست محصورة على الفرد فحسب، بل إنها إذا سرت واتسعت صارت ذات صفة جماعية يتصف بها المجتمع ويتخلق بها.

[٩] النساء، ١٠٧ – ١٠٨

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

المبحث الثالث: الثواب والعقاب في الأخلاق الفردية

- المطلب الأول: الجزاء الدنيوي

- المطلب الثاني: الجزاء الأخروي

-

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

المبحث الثالث: الثواب والعقاب في الأخلاق الفردية:

يأتي الجزاء في المنظومة الأخلاقية القرآنية، نتيجة حتمية للإلزام والمسؤولية، ويمكن لنا إدراك أن الالتزام الذي يتبع الإلزام والمسؤولية لا يكون ذا قيمة إذا لم يفضي إلى الجزاء، بشقيه الثواب والعقاب. ويمكننا أن نخرج بهذه الملاحظة من قوله تعالى: " أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لا تُرْجَعُونَ "[١] ، فهو تقرير لأهمية الجزاء كنتيجة للعمل، ذلك أن الجزاء لا يشكل مرحلة من مراحل هذه المنظومة فحسب، بل إنه يشكل للفرد غاية نهائية، حيث يسعى الفرد بفطرته إلى قطف ثمار نجاحه والتزامه، وتحمله لمسؤولية ما، وقد أثبت القرآن هذه الغائية في الجزاء كما نرى في كثير من الآيات التي تشكل الغاية للفرد من التزامه بالأوامر والأخلاق الفردية أساساً فيها، ننظر مثلاً في قوله تعالى: " يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَالأَبْصَارُ "[٢]. تشير الآية بوضوح إلى قصد الإنسان إلى غاية من وراء التزامه وهي تتمثل هنا في تجنب العقاب المترتب على عدم الإلتزام، وتنوع أنماط الجزاء بحسب ما تقتضيه هذه المنظومة،وتهدف إلى تحقيقه في حياة الأفراد.

أما الجزاء فيعرفه الدكتور دراز بأنه: " رد فعل القانون على موقف الأشخاص الخاضعين لهذا القانون "[٣]. وهو يقصد بالقانون القانون الأخلاقي المتضمن لعناصر الإلزام والمسؤولية والجزاء في الأخلاق القرآنية ومن تعريفاته أيضا أنه: " نتيجة مترتبة على المسؤولية وعلى نوع القيام بها "[٤]. ولعل في تعبير " رد فعل " الوارد في التعريف الأول ما يشير إلى الإرتجالية التلقائية في الجزاء، وهو ما لا تتصف به المنظومة الأخلاقية القرآنية به.

وأما التعريفات التي تربط الجزاء بالقانون الأخلاقي - باعتباره قانوناً دينياً من الله - فمنها " ما حدده الشارع من ثواب وعقاب لقاء عمل كلف به المسلم فعلاً أو تركاً "[٥]. فهذا التعريف وإن كان الأقرب إلى التعبير عن العمق الديني بهذه المنظومة الأخلاقية إلا أنه أتى فضفاضاً يتسع لجميع الأعمال باتساع التشريع ذاته، فهو يساوي هنا بين مفهومي التشريع والأخلاق. وبالاستفادة ممّا اتصف به هذا التعريف من ربط بين الجزاء ومصدره. وممّا اتصف به التعريفان الأولان من تخصيص للبعد الأخلاقي يمكن لنا أن نعرف الجزاء بأنه: عنصر من عناصر المنظومة الأخلاقية يترتب فيها الثواب والعقاب على الأشخاص الخاضعين لهذه المنظومة الأخلاقية بحسب تحملهم للمسؤولية المترتبة عليهم.

أنواع الجزاء:

---

(1) المؤمنون، آية ١١٥.
(2) النور، آية ٣٧.
(3) درّاز، **دستور الأخلاق**، مرجع سابق، ص ٢٤٥.
(4) محمد عبد القادر: **من قضايا الأخلاق**. ص ٤١٦.
(5) المرجع السابق. ص ٤١٦.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

يميل كثير من الباحثين إلى الفصل بين الجزاء الديني والجزاء الاجتماعي، وقد قسم بعضهم الجزاء الاجتماعي أيضاً إلى جزاء اجتماعي وقانوني[١]، وبما أننا نتحدث عن الجزاء الأخلاقي ونحن ندرس المنظومة الأخلاقية القرآنية، فإن الفصل بين هذه الأنواع بجعل الجزاء الأخلاقي جزءاً من أنواع أخرى، يفرض إشكالية هيكلية في تقسيمنا لهذه الأنواع، فكأننا نقول أن الجزاء الأخلاقي جزء من الجزاء الأخلاقي، وهذا إشكال ظاهرٌ في التقسيم، والواجب أن نعتبر الجزاء في المنظومة الأخلاقية جزءاً أخلاقياً، وهذا الجزاء الأخلاقي يتنوع بتنوع زمانه وطبيعته.

كما أنه لا يمكننا النظر إلى هذه الأنواع بتقسيمها إلى جزء ديني وآخر اجتماعي، لأننا ننظر إلى الدين هنا كمصدر للجزاء الأخلاقي، وليس شرطاً أن نحاكي التقسيمات الواردة في المنظومات الأخلاقية البشرية لأنها تصنع تقسيماتها وفق نظرتها العامة، ومبادئها ومراتب منظومتها. وعندما ندرس الأخلاق في المنظور الأخلاقي فإن علينا أن ننظر إلى أنواع الجزاء من خلال المنظور القرآني ومنظومته القرآنية.

وبهذا يمكن القول إن أنواع الجزاء الأخلاقي التي يحددها القرآن الكريم في منظومته الأخلاقية هي: أولاً: الجزاء الدنيوي. وثانياً: الجزاء الأخروي.

المطلب الأول: الجزاء الدنيوي:

بما ان القرآن منهج حياة فإن ما ورد فيه من بنية أخلاقية جاء للحياة أيضاً، والفرد مكلف بهذه الأخلاق في مساحة حياته على الأرض، وقد رأينا أن القرآن أعطى الجماعة صلاحية الإلزام باعتبار المجتمع رقيباً على سلوك الفرد الأخلاقي الذي حدده الدين بما يتفق مع قناعة العقل الصحيح. وكذلك فالقرآن يكلف المجتمع بأن يوقع جزءاً من الجزاء الإلهي على الفرد وصيانة المجتمع من تأثير الأفراد المنحرفين عن هذه الأخلاق.

وهذا الجزاء يمكن تقسيمه إلى جزئين: القسم الأول: جزاء مادي. والقسم الثاني: جزاء معنوي.

القسم الأول: الجزاء المادي:

وأقصد به العقوبة التي يقدرها الشارع أو يعطي المجتمع – مثلاً بالسلطة الحاكمة أو القاضي – صلاحية تقديرها على الفرد الذي ينحرف بأخلاقه عن المنظومة الأخلاقية المبينة في القرآن وهذا الجزاء المادي الحسي ينقسم إلى قسمين:

---

[1] محمد عبد الله درّاز، **دستور الأخلاق**، ٢٦١.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

أ) جزاء مادي مقدر محدّد بالنص: وذلك كالحدود، والقصاص. حيث حدّد النص القرآني ما يجب إيقاعه من جزاء على خلق العدوانية كالقتل، وكذلك قرّر النص الحدود الشرعية التي يجب تطبيقها على الأفراد المقارفين لأخلاق ذميمة ترقى إلى مستوى الجريمة الأخلاقية. ومن الأمثلة عليها:

- أولا: ا لقصاص (قتل النفس) يقول تعالى: " ولا تقتلوا النفسَ التي حَرَّمَ الله إلا بالحَقّ ذالِكُمْ وَصَّاكُمْ بهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلون "[١]. وفي عقوبة هذا الخلق المتمثل بالعدوانية يقول تعالى: " يا أيُّها الذيْنَ آمَنُوا كتِبَ عَلَيْكُمُ القِصَاصَ في القتلى الحُرُّ بالحُرِّ والعَبْدُ بالعَبْدِ والأنثى بالأنثى فَمَنْ عُفِيَ لَهُ مِنْ أخِيْهِ شَيْءٌ فإتبَاعٌ بالمَعْرُوْفِ وَأداءٍ إلَيْهِ بإحْسَانٍ ذلِكَ تَخْفِيفٌ مِنْ رَبِّكم وَرَحْمَةٌ فَمَنْ اعْتَدَى بَعْدَ ذلِكَ فلَهُ عَذابٌ أليْمٌ "[٢].

فالله عز وجل قد فرض علينا العدل في القصاص تحقيقاً للأمن الاجتماعي فالقاتل يقتل قصاصاً عقوبة بالمثل.

ثانياً: في الحدود ومنها: ١- الزنا: قال تعالى: " والزَّانِيَة وَالزَّانِي فاجْلِدُوا كلَّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا مِئَة جَلْدَةٍ وَلا تأخُذكم بهمَا رَأفَة فِي دِينِ اللهِ إن كنتُمْ تُؤمِنُونَ باللهِ وَاليَوْم الآخِرِ "[٣]. وحدّ الزنا هو من باب حماية المجتمع من انتشار مثل هذا الخلق المذموم.

٢- القذف: وهو الرمي بالزنا: وجاء تفصيل هذا العذاب:

قال تعالى: " وَالذِينَ يَرْمُونَ المُحْصَنَاتِ ثُمَّ لمْ يَأتُوا بأرْبَعَةِ شُهَدَاءَ فاجْلِدُوهُمْ ثمَانِينَ جَلْدَة وَلا تقبَلُوا لَهُمْ شَهَادَة أبَدًا "[٤]. قال تعالى: " إنَّ الذين يرمون الْمُحْصَنَاتِ الْغَافِلَاتِ الْمُؤْمِنَاتِ لُعِنُوا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ "[٥]. وهذا النص يبين عقوبة القاذف في الدنيا إذا لم يقم بينة على كلامه.

٤- السرقة: قال تعالى: " وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقة فاقطَعُوا أيْدِيَهُمَا جَزَاءً بمَا كسَبَا نكالاً مِّنَ اللهِ وَاللهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ " [١] شرع الله – عز وجل – هذه العقوبة لتكون رادعة زاجرة لكل من يتعدى على أموال الناس بالسرقة، ويسلبهم أملاكهم من غير حق.

٥- الحرابة: وهي قطع الطريق وإرهاب المارة: يقول تعالى: " إنَّمَا جَزَاءُ الذيْنَ يُحَارِبُونَ الله وَرَسُوْلَهُ وَيَسْعَوْنَ في الأرْضِ فَسَادا أنْ يُقتلوا أو يُصَلبُوا أو تُقطَّعَ أيْدِيَهُمْ وَأرْجُلُهُم

---

(1) المائدة، آية ٣٢.
(2) البقرة، آية ١٧٨.
(3) النور، آية ٢.
(٤) النور، آية ٤.
(٥) النور، ٢٣.
(1) المائدة، آية ٣٨

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

مِنْ خِلافٍ أو يُنفوا مِنَ الأرْضِ، ذلِكَ لهُم خِزْيٌ في الدُنيا وَلهُم في الآخِرَةِ عَذابٌ عَظِيْمٌ "[٢] فقاطع الطريق محارب لله ورسوله لأنه يحارب الناس ويرهبهم ويخلخل المجتمع الذي جاء الإسلام لضبطه.

ب) جزاء مادي تعزيري:

وهي عقوبة يترك تقديرها للمجتمع متمثلاً بالسلطة التي من واجبها ضمان سيادة الأخلاق والتزام الأفراد بها، ومن هنا كان للقاضي أن يقدر عقوبة ما على انحرافات أخلاقية يقع بها الأفراد هي أقل خطراً من الانحرافات الفردية التي نص عليها الشارع على العقوبة منها:

١- كخلق بذاءة اللسان، فيحق للقاضي أن يقدر العقوبة وإيقاعها به وقد جاءت هذه العقوبة التقديرية خصبة ومرنة تضمن للمجتمع ضبط أفراده في إطار المنظومة الأخلاقية منعاً لصاحب هذا الخلق الذميم من توسيع دائرة خلقه وتحويله إلى سمة اجتماعية[٣].

القسم الثاني: الجزاء المعنوي:

وهو ما يسميه بعض الباحثين أيضاً بالجزاء الأدبي[١] ،وهذا الجزاء يقع على شخصية الفرد المعنوية ويؤثر في اعتباره الاجتماعي، ومن شأنه أن يشعر الفرد قبل الإقدام على المخالفة الأخلاقية بما يتعرض له من رفض اجتماعي وهو الأمر الذي يحيد عنه الإنسان بفطرته. وقد رأينا اتفاق الباحثين الاجتماعيين والنفسيين على حاجة الإنسان لتقدير الآخرين، وهو اعتبار يهتم به القرآن الكريم في الجزاء ويوضحه سلفاً ليشكل رادعاً للفرد من الوقوع في المخالفات الأخلاقية، ويظهر هذا في مزاوجة القرآن بين عقوبتين الأولى مادية والثانية معنوية في كثير من أحكامه الجزائية.

ومن الأمثلة على ذلك عقوبة جلد الزاني غير المحصن، فهناك عقوبتان الأولى مادية وهي الجلد ثمانين جلدة " فاجْلِدُوا كلَّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا مِئَة جَلْدَةٍ "[٢] أما العقوبة الثانية فهي معنوية تتمثل في كون هذا الجلد على مرآى ومسمع من المجتمع " وَلْيَشْهَدْ عَذابَهُما طَائِفَة مِنَ المُؤْمِنِيْنَ ".

أما في عقوبة القذف لأعراض المؤمنات فإن الجانب المادي فيها: الجلد ثمانين جلدة ، وأما الجانب المعنوي: عدم قبول شهادته أبداً :" وَلا تَقْبَلوا لهُمْ شَهَادَة أبَدًا وَأوْلئِكَ هُمُ

---

(2) الآية ١١٢.
(3) مقداد يلجن، **علم الأخلاق الإسلامية**، ٢٨٤.
(1) مقداد يلجن، **التربية الأخلاقية الإسلامية**، مرجع سابق، ص ٣٧٤.
(2) النور، آية ٢.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الفاسِقُونَ "[٣]. والواقع أن التلازم بين هذين البعدين في العقوبة مطرد في سائر الجزاءات في المنظومة الأخلاقية القرآنية.

وكذلك فإن الثواب - ماديا ومعنويا- له حضور واضح في حياة الشخص الذي يلتزم الخلق الحسن، ومن مظاهر هذا الثواب الدنيوي:

١- الطمأنينة القلبية والراحة النفسية التي تنشأ في النفس بعد عمل الخير، وتكون التقوى ثمرة هذا الخلق وأثرا له، لقوله تعالى :" خُذ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَة تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِيهم بِهَا "[٤].

٢- الهداية والتوفيق الذي يفيضه – عز وجل – على صاحب الخلق الحسن، حيث يحفظه ويجعله يسير في الطريق الصحيح قال تعالى: " وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ "[٥].

٣- النور والضياء الذي يخرج من وجه صاحب الخلق الحسن، حيث تعكس أخلاقهم على وجوههم، يقول تعالى: " لِّلَّذِيْنَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَى وَزِيَادَة وَلا يَرْهَق وُجُوهَهُمْ قَتَرٌ وَلا ذِلَّة أولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّة هُم فِيهَا خَالِدُوْن "[١].

٤- الحياة الطيبة، والرغيدة والهانئة، يقول تعالى: " مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّن ذكرٍ أَوْ أُنثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاة طَيِّبَة وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ"[٢].

٥- النصرة والتأييد من الله، يقول – عز وجل – " إِنَّ اللهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقوا وَّالَّذِينَ هُم مُّحْسِنُونَ"[٣].

٦- تيسير الرزق والخيرات، قال تعالى " وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقرَى آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِّنَ السَّمَاء وَالأَرْضِ وَلَكِن كَذَّبُوا فَأَخَذْنَاهُم بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ"[٤].

خصائص الجزاء الدنيوي:

وفي ذلك نلاحظ أن للجزاء الدنيوي سمات رئيسية ثلاثة تتناسب مع بشرية المجتمع الذي سيوقع هذا الجزاء، وهي أنه:

١- جزاءٌ ظاهري:فهو يوقع الجزاء على جانب من السلوكيات الأخلاقية الظاهرة فلا نرى جزاءً دنيويا يتعلق بالأخلاق الباطنة كالرياء والحسد، بل أن الجزاء الدنيوي لم يطل أعظم

---

(3) النور، آية ٤.
(4) التوبة، آية ١٠٣.
(5) العنكبوت، آية ٦٩.
(1) الرعد، آية ٢٨.
(2) النحل، آية ٩٧.
(3) النحل، آية ١٢٨.
(4) الأعراف، آية ٩٦.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

انحراف أخلاقي باطني فردي وهو النفاق فمع وجود هذه الظاهرة وإثبات القرآن لها وعلم النبي-صلى الله عليه وسلم- بواسطة الوحي بالأفراد المنافقين في المجتمع ومع الخطورة الواضحة لهذه الفئة على الدولة الإسلامية في مهدها إلا أن القرآن وقف عند حدود ذم هذا الخلق ودعوة المنافقين إلى الارتداد عنه والتهديد بالجزاء الأخروي دون تقرير عقوبة مباشرة وذلك للتأكيد على أن البشر عليهم أن يقفوا عند حدود الظاهر أما ما خفي من خلق في النفس فمرد الجزاء فيه إلى الله. ولم يقع هؤلاء المنافقون تحت طائلة الجزاء الدنيوي إلا حين حركهم هذا الخلق الباطني لمقارفة أخلاق ظاهرة، فكان الجزاء على الأخلاق الظاهرة وإن كانت نتيجة لهذا الخلق الباطني الخطير وذلك في حادثة الإفك. حيث نال الذين خاضوا في عرض السيدة عائشة – رضي الله عنها – العقوبة التي يستحقونها.

بل إن العقاب الدنيوي لا ينال الفرد المستتر بانحرافه الخلقي لأن بحثنا في هذه الأخلاق المستورة قد تكون من باب ارتكاب مخالفات أخلاقية كالتجسس وتتبع العورات وقد نهى الله تعالى عن ذلك صراحة بقوله : " ولا تجسسوا " يقول ابن تيميه: " ما دام الذنب مستوراً فمعيته على صاحبه خاصة، فإذا ظهر ولم ينكر كان ضرره عاماً، فيكف إذا كان في ظهوره تحريك غيره إليه ولهذا أنكر الإمام أحمد وغيره أشكال الشعر الغزلي الدقيق، لئلا تتحرك النفوس إلى الفواحش "[١].

٢- جزاءٌ عقابي: وهي سمة غالبة على طبيعة الجزاء الدنيوي، لا سيما في الجانب المادي، لأن الهدف من هذا الجزاء منع انتشار الخلق الفردي من أن يأخذ طريقه إلى البعد الجماعي، فكانت العقوبة على الأفراد رادعة للمجموع.

ومع أن المجتمع بطبيعة حسه الإيماني والأخلاقي ينظر بعين التقدير إلى الفرد المتخلق بالأخلاق الحميدة، وهو نوع من الثواب المعنوي، إلا أننا لا نرى أثراً مباشراً للجزاء المادي للفرد بعينه، ذلك أن إيقاع الجزاء في الدنيا يكون في الحالة الخارجة عن الأصل، ولا يكون على الأصل الذي يجب أن يسود جميع أفراد المجتمع، فالمفترض يجمع أفراد المجتمع أن يتصفوا بصفات أخلاقية حميدة، وينتهوا عن الرذائل بقول الدكتور درّاز: " والمجتمع الإسلامي، كسائر الأمم المتحضرة، لم يحرص على أن يمنح جوائز مادية لأولئك الذين يؤدون واجباتهم أداء كاملاً، فهؤلاء سوف يقنعون أولاً بنوع من الجزاء السلبي، الذي يتمثل في استظلالهم بحماية القانون ليأمنوا على حياتهم، وأبدانهم وأموالهم وأعراضهم، من أي مساس بها، ثم هم بعد ذلك يقنعون بجزاء شامل من الرأي العام، الذي سوف يعاملهم بما يستحقون من الرعاية والتقدير

[1] أحمد الحلبي: **المسؤولية الخلقية**. ص ٤٤٣.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

والإطراء، وأخيراً فهم سوف يتمتعون بتلك المقدرة الممتازة التي تجلب وحدها الحياة الصحية، الشريفة، اللائقة، بالإنسان "[٢].

٣- جزاءٌ تقويمي: حيث تهدف هذه العقوبة إلى تقويم سلوك الفرد بمعنى حفزه على مراجعة موقفه وإصلاح الخلل، وإعطائه فرصة لتعديل سلوكه، وإذا لم ينجُ من الجزاء الدنيوي فإن أمامه فرصة من خلال عودته إلى الخلق القويم ليحسن موقفه عند الجزاء الأخروي، ننظر مثلاً في قوله تعالى: " وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا جَزَاءً بِمَا كَسَبَا نَكَالاً مِّنَ اللهِ وَاللهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ۞ فَمَن تَابَ مِن بَعْدِ ظُلْمِهِ وَأَصْلَحَ فَإِنَّ اللهَ يَتُوبُ عَلَيْهِ إِنَّ اللهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ "[٣] فالجزاء الدنيوي لا يعني نهاية المطاف، بل أن أمام الفرد فرصة للتوبة والإصلاح، بل إن وضع الجزاءات الرادعة المتمثلة بالحدود والقصاص يحمل هذه السمة التقويمية، وإن عظم العقوبة دافع للفرد أن يصلح من خلقه قبل أن يجد نفسه وجهاً لوجه أمام هذا الجزاء.

وأنني لا أرى من الجزاءات الدنيوية التي حددها القرآن شهوة للانتقام الشخصي – كما نجد بوضوح في كثير من النصوص الدينية الأخرى – بل أن ما يقف خلف هذا الجزاء هدف إصلاحي تقويمي علاجي، يعود بالنفع على الفرد والمجتمع. ولكي يتحقق هذا الهدف التقويمي فتح باب التوبة على مصرعية ليعبر الإنسان بالقول والفعل عمّا يعتلج في نفسه من ندم على ما بدر منه من أخلاق ذميمة. إن الله في القرآن يقبل التوبة من الجميع ولا يحصرها على قبيل بعينه ويسده أمام قبيل آخر، فهو ليس كتاباً عنصرياً بل هو كتاب سماوي تنزيل إله رحيم لا يفرق بين عباده إلا بالتقوى.

المطلب الثاني: الجزاء الأخروي:

إنّ الآخرة هي دار المقرّ والجزاء، فهي النتيجة النهائية التي لا مجال بعدها للتغير ولا للرجوع فهي جزاء محض لا عمل فيه. وقد عرض القرآن هذا الجزاء مبنياً على معياري الخير والشر أو الحسن والقبح وهما المعياران اللذان يبّني عليهما المسؤولية والإلزام أيضاً.

ومرادنا هنا بيان أقسام الجزاء الأخروي بحسب ما تعرضه لنا النصوص القرآنية، وملاحظة انسجام الجزاء بأنماطه المختلفة مع ما تطمح إليه النظرة الإسلامية، ويختاره العقل السليم، وتجنح إليه الأشواق الروحية لدى الإنسان، وفي حالتي الثواب والعقاب نرى الجزاء يتعلق بأمرين هي: أولاً: النار، ثانياً: الجنة.

---

[2] درّاز: **دستور الأخلاق**. ص ٢٦١.
[3] المائدة: ٣٨ – ٣٩.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

أولاً: الجزاء الخلقي المتمثل بعذاب النار:

إن الخوف من العذاب أمر متحقق في شخصية كل فرد، فلا أحد يريد لنفسه السوء، وقد اختار الله تعالى بعدله وحكمته المطلقة النار لتكون عنوان عقوبة للكافر، ولمن ينحرف عن أوامر الله. وقد جاءت نصوص كثيرة تبين العقوبة الأخروية المتمثلة بعذاب جهنم لمن لا يتحمل مسؤولية الأخلاق، وإذا كنا نقرّ سلفاً بما يراه الدكتور محمد عبد القادر " من أن فكرنا الإسلامي – قرآني المرجع – يرتبط فيه ما هو أخلاقي مع ما هو ديني منذ بداية النسق الأخلاقي "[١]، إلا أننا سنحاول التركيز على النصوص التي تتحدث عن الجزاء الأخلاقي بشكل خاص،(مرتبة جزاء فاعل خلق معين متعارف عليه.) ففي جانب العقاب ننظر في قوله تعالى " أليس في جهنم مثوى للمتكبرين ". إن الجزاء الإلهي يطال هذا الخلق الباطني ويوقع عليه الجزاء بصورة واضحة " جهنم " وزمانه واضح أيضاً فعذاب جهنم أخروي وليس دنيوياً.

وفي جانب العقاب أيضاً ننظر في قوله تعالى: " وَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ "[١]، ويقول تعالى " فَإِنَّا أَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ سَعِيرًا "[٢]، وقوله " النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا "[٣]، وقوله" إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلظَّالِمِينَ نَارًا أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا "[٤]، وقوله " وَعَدَ اللهُ الْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَاتِ وَالْكُفَّارَ نَارَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا هِيَ حَسْبُهُمْ وَلَعَنَهُمُ اللهُ وَلَهُمْ عَذَابٌ مُقِيمٌ"[٥]

ففي هذه الآيات بيان لعقوبة المنافق في الآخرة وهي نار جهنم وعذاب مقيم.

وأخبر سبحانه وتعالى أنه لا يخفف عنهم العذاب بقوله " إِنَّ الْمُجْرِمِيْنَ فِي عَذَابِ جَهَنَّمَ خَالِدُونَ لا يُفْتَرُ عَنْهُم وهُم فِيْهِ مُبْلِسُونَ "[٦] . ويقول تعالى: " وليْسَتِ التَّوْبَةُ لِلَّذِيْنَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ حَتَّى إِذا حَضَرَ أَحَدَهُمُ المَوْتُ قالَ إِنِّيْ تُبْتُ ۞ وَلا الَّذِيْنَ يَمُوتُونَ وَهُم كُفَّارٌ ۞ أولئِكَ أَعْتَدْنَا لَهُم عَذَاباً أَلِيْماً "[٧]. فعاقبة عمل السوء لمن لم يتب العذاب الأليم يوم القيامة. وفي قوله تعالى: " وَإِذا قِيْلَ لَهُ اتَّقِ اللهَ أَخَذَتْهُ العِزَّةُ بِالإِثْمِ ۞ فَحَسْبُهُ جَهَنَّمُ وَلَبِئْسَ المِهَادُ "[٨]. عقاب رادع لخلق مذموم واضح وهو التكبر على الحق.

---

(1) محمد عبد القادر: **من قضايا الأخلاق**. ص ٤١٥.
(1) آل عمران، آية ١٣١.
(2) الفتح، ١٣.
(3) غافر، ٤٦.
(4) الكهف، ٢٩.
(5) التوبة، ٦٨.
(6) التوبة، ٦٨.
(7) النساء، ١٨.
(8) البقرة، ٢٠٦.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وأما في مجال الثواب أي صرف عذاب النار عمّن سلك سلوكاً حسناً فيقول سبحانه وتعالى:" فَمَن زُحْزِحَ عَنِ النَّارِ وَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلاَّ مَتَاعُ الْغُرُورِ "[٩]. فالذي لم يعذب بالنار وزحزح عنها فقد فاز، وهو من دلائل رحمة الله سبحانه وتعالى ورضاه، ويقول تعالى: " قُلْ إِنِّي أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ۞ مَّن يُصْرَفْ عَنْهُ يَوْمَئِذٍ فَقَدْ رَحِمَهُ وَذَلِكَ الْفَوْزُ الْمُبِينُ"[١٠].

والجزاء المتعلق بالعذاب – هنا - يحمل شقين عقابي وثوابي، فالعقاب يقع على من يخالف المنظومة، الأخلاقية ويتمثل بإيقاع العذاب عليه والثواب لمن يتحمل المسؤولية الأخلاقية يقوم بنجاته من النار " لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَهُمْ فِيهَا لا يَسْمَعُونَ ۞ إِنَّ الَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُم مِّنَّا الْحُسْنَى أُوْلَئِكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ "[١]. ويقول تعالى: " وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ تَرَى الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَى اللهِ وُجُوهُهُم مُّسْوَدَّةٌ أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْمُتَكَبِّرِينَ ۞ وَيُنَجِّي اللهُ الَّذِينَ اتَّقَوا بِمَفَازَتِهِمْ لا يَمَسُّهُمُ السُّوءُ وَلا هُمْ يَحْزَنُونَ "[٢].

ثانيا:- الجزاء الأخروي المتمثل بالفوز بالجنة:- وأن الجنة ثواب وعقاب، فالجنة مطمع الإنسان بما فيها من نعيم وسعادة وهناء. والله سبحانه وتعالى – وعد عبادة المؤمنين الأبرار بالجنة ينعمون بجمالها ويبتهجون بحسنها ثوابا وفضلا لما عملوه من خير وحسنى ومراعاة لما قاموا به من المسؤوليات الأخلاقية التي أنيطت بهم.

وقد ذكرت الجنة في القران الكريم بما يقرب على مائة وتسع وثلاثين مرة، وللجنة أسماء جميلة، ومنها: دار السلام، ودار الخلود، وجنات عدن، والفردوس، ومقعد صدق وغيرها من الأسماء التي تثير البهجة في نفس الإنسان، وقد وردة الآيات القرآنية التي تذكر أن الجنة جزاء وثواب من الله بقوله. " تِلْكَ الْجَنَّةُ الَّتِي نُورِثُ مِنْ عِبَادِنَا مَن كَانَ تَقِيًّا"[٣] ، وقوله تعالى: " وَتِلْكَ الْجَنَّةُ الَّتِي أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ "[٤]. وقوله تعالى: " إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَانَتْ لَهُمْ جَنَّاتُ الْفِرْدَوْسِ نُزُلاً"[٥]. وقوله تعالى: " وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ "[٦]. ويقول سبحانه وتعالى " وَالَّذِينَ فِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ مَّعْلُومٌ ۞ لِّلسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ ۞ وَالَّذِينَ يُصَدِّقُونَ بِيَوْمِ الدِّينِ ۞ وَالَّذِينَ هُم مِّنْ عَذَابِ رَبِّهِم

---

(9) آل عمران، ١٨٥.

(10) الأنعام، ١٦.

(1) الأنبياء، ١٠٠ – ١٠١.
(2) الزمر، آية ٦٠ – ٦١.
(3) مريم، آية ٦٣.
(4) الزخرف، آية ٧٢.
(5) الكهف، آية ٥٨.
(6) البقرة، آية ٨٢.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

مُّشْفِقُونَ ۞ إِنَّ عَذَابَ رَبِّهِمْ غَيْرُ مَأْمُونٍ ۞ وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ ۞ إِلا عَلَى أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ ۞ فَمَنِ ابْتَغَى وَرَاء ذَلِكَ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْعَادُونَ ۞ وَالَّذِينَ هُمْ لأَمَانَاتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ ۞ وَالَّذِينَ هُم بِشَهَادَاتِهِمْ قَائِمُونَ ۞ وَالَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلاتِهِمْ يُحَافِظُونَ ۞ أُوْلَئِكَ فِي جَنَّاتٍ مُّكْرَمُونَ "[٧].

أما عن كون الجنة عقوبة يحرم منها الكافر ويبعد عنها ليعاقب بالنار فيقول تعالى. " لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ وَقَالَ الْمَسِيحُ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اعْبُدُوا اللهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ إِنَّهُ مَن يُشْرِكْ بِاللهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللهُ عَلَيهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ "[٨] يقول: " إِنَّ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَاسْتَكْبَرُوا عَنْهَا لا تُفَتَّحُ لَهُمْ أَبْوَابُ السَّمَاءِ وَلا يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ حَتَّى يَلِجَ الْجَمَلُ فِي سَمِّ الْخِيَاطِ وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُجْرِمِينَ "[١]. ويقول تعالى " إِنَّ هَؤُلاء لَشِرْذِمَةٌ قَلِيلُونَ ۞ وَإِنَّهُمْ لَنَا لَغَائِظُونَ ۞ وَإِنَّا لَجَمِيعٌ حَاذِرُونَ۞ فَأَخْرَجْنَاهُم مِّن جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ ۞ وَكُنُوزٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ "[٢].

ففي تلك الآيات ما يدل على حرمان هؤلاء الكافرين والذين ينحرفون بسلوكهم وأخلاقهم – عن المنظومة الأخلاقية- من الجنة ونعيمها وخلودها.

خصائص الجزاء الأخروي:

يمكن لنا أن نلاحظ عدة سمات رئيسية يتميز بها الجزاء الأخروي عن الأخلاق الفردية في القرآن الكريم، وهي أنه:أولاً: جزاء فردي،وثانياً جزاء شامل وثالثاً: جزاء واضح ورابعاً: أنه جزاء متناسب مع العمل.

أولاً:جزاءٌ فردي " ومعنى هذا أن الناس يحاسبون بشكل فردي ".

وهذا الجزاء بهذا الاعتبار يحمّل الفرد مسؤوليته الفردية عن أخلاقه وينافي إخضاع الفرد ألياً للتقاليد الاجتماعية السائدة. وبهذا فإن الضرر لا يتحمل أوزار غيره وهي قاعدة عدلية كما في قوله تعالى:" وَلا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى"[٣].

والواقع –ونحن في معرض بحث مقارن - أن هاتين الصفتين التابعتين للجزاء الفردي، ينفرد بهما الجزاء في القرآن الكريم عن الجزاء في غيره من الكتب ، وهذا ما سيرد في معرض المقارنة.

---

[٧] المعارج، آية ٢٤ – ٣٥.
[٨] المائدة، آية ٧٢.
[١] الأعراف، آية ٤٠.
[٢] الشعراء، آية ٥٤ – ٥٨.
[٣] الأنعام، آية ١٦٤.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ولهذا الجزاء الفردي دلالة أخرى في تساوي جميع البشر بين يدي الله، ومسؤوليتهم المتساوية عن اختياراتهم الخلقية وهذا يعكس على الأفراد هذا الشعور بالمساواة بحيث لا يظن الفرد صاحب المكان الرفيع أنه يمكن أن يتوسع في هذه الاختيارات أكثر من غيره يقول تعالى: " وَأَن لَّيْسَ لِلإِنسَانِ إِلا مَا سَعَى ۞ وَأَنَّ سَعْيَهُ سَوْفَ يُرَى "[٤] ويقول تعالى: " وَمَن يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ مِن ذكرٍ أَوْ أُنثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُوْلَئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ وَلا يُظْلَمُونَ نَقِيرًا "[٥].

ويقول تعالى:" وَلِتُجْزَى كُلُّ نَفسٍ بِمَا كَسَبَتْ وَهُمْ لا يُظْلَمُونَ "[١].

ثانياً: جزاء شامل:

إن الذي يوقع هذا الجزاء هو الله الذي يستوي في علمه الظاهر والباطن ولذلك فأن الجزاء سيشمل الخلق الظاهر وكذلك الخلق الباطن والذي منه الإخلاص والرياء والنية الحسنة والحسد وغيرها على اختلاف هذه النماذج بين الحسن و القبح تنظر مثلاً في قوله تعالى: " وَإِنْ تُبْدُوا مَا فِي أَنْفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ يُحَاسِبْكُمْ بِهِ اللهُ "[٢]. فلا غرابة من وقوع الجزاء عن ما استحسن في النفس لأن الذي سيتولى الجزاء هو خالق هذه النفس والعالم ببواطنها ومن شأن هذا الجزاء أن يصلح في الفرد شطراً كاملاً من الأخلاق الفردية ولعله الشطر الأهم إذ أن كثيراً ما يبني عليه الشطر الثاني، ولا سبيل لأي منظومة أخلاقية بشرية أن تصل إلى هذا الجزاء فتعلمه من بوابة الجزاء لاقتصار حدود علم البشر على ظواهر الأشياء[٣]. وفي هذا يقول تعالى:" سَوَاء مِّنكم مَّنْ أَسَرَّ الْقَوْلَ وَمَن جَهَرَ بِهِ وَمَنْ هُوَ مُسْتَخْفٍ بِاللَّيْلِ وَسَارِبٌ بِالنَّهَارِ ۞ لَهُ مُعَقِّبَاتٌ مِّن بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ يَحْفَظُونَهُ مِنْ أَمْرِ اللهِ "[٤]. ويقول: " وَجَزَاهُم بِمَا صَبَرُوا جَنَّة وَحَرِيرًا "[٥].

ثالثاً: جزاء واضح:

لقد رأينا وضوح هذا الجزاء المتمثل بالجنة والنار، تبعاً للموقف الأخلاقي الذي يتخذه الفرد وذلك راجع إلى الوضوح التام الذي يعرض فيه القرآن حقائق الغيب المتعلقة باليوم الآخر، وهذا يتبع قيام الحجة الكاملة عن الفرد فلا يعتذر بعدم وضوح النص القانوني المتعلق بالجزاء ولا بغموض طبيعة الظروف الزمانية والمكانية المحدثة بالجزاء.

---

[٤] النجم، آية ٣٩ – ٤٠.

[٥] النساء، آية ١٢٤.

[1] الجاثية، آية ٢٢.

[2] البقرة، ٢٨٤.

[3] أحمد الحلبي، **المسؤولية الخلقية والجزاء عليها**، ص ٣٥٩.

[4] الرعد، آية ١٠ – ١٢.

[5] الإنسان، آية ١٢.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وإن وضوح اليوم الآخر في العرض القرآني كظرف مكاني وزماني للجزاء الأخروي يشعر الفرد بأنه يكاد ينظر بعينه فيرى هذه المشاهد، وهو أمرٌ تفتقر إليه النصوص المتعلقة بالجزاء الأخلاقي في الكتب المقدسة الأخرى، تغيب فيها فكرة الآخرة أو تظهر بشكل منقطع مملوء بالغموض ننظر مثلاً في قول الله تعالى:" يَوْمَ تجدُ كلُّ نَفسٍ مَّا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُّحْضَرًا وَمَا عَمِلَتْ مِن سُوءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُ أَمَدًا بَعِيدًا وَيُحَذِّرُكُمُ اللهُ نَفسَهُ وَاللهُ رَؤُوفٌ بالعِبَادِ"[٦].

رابعاً: جزاء متناسب مع العمل:

وهذا يبدو في المظهر العام بتوجيه العقاب للمسيء والثواب للمحسن، ثم بشكل أكثر تفصيلاً نرى النصوص القرآنية تؤكد على أن الجزاء من جنس العمل، فالذين أحسنوا جزائهم الإحسان يقول تعالى:" هل جزاء الإحسان إلا الإحسان". وكذلك فإن الذين أساؤا جزائهم الإساءة ويقول تعالى:" وكان عاقبة الذين اساؤا السوء بما كذبوا بآيات الله"

وهذا التناسب يظهر في السمات العامة في تصنيف الجزاء، ولكنه لا يكشف عن حقيقة هذا الجزاء وتفصيلاته لقصور العقل البشري عن تصورها وتصور الوجدان عن تذوقها.

والتناسب غير التكافؤ والى هذا المعنى يشير الدكتور عبد الله دراز بقوله:" ومن الطبيعي أن هذا الاستنباط لكي يكون ضرورياً يجب أ ن يقتصر على الفكرة العامة للمجازاة وإلا يزعم أنه يحدد أشكالها، أمن الممكن مثلاً وضع علاقة عقلية بين العمل الوقتي للإرادة الإنسانية أو حتى الجهد الدائم في هذه الحياة الفانية وبين مكافأة باقية في الحياة الدائمة"[١].

وقد تنبه علماء العقيدة الإسلامية إلى هذا البعد في الجزاء الإلهي وأثبتوه كقاعدة من قواعد العقيدة، عبر عنها صاحب جوهرة التوحيد بقوله:

" فإن يثبنا فبمحض الفضل

وإن يعاقب فبمحض العدل"

فعلماء العقيدة يشتقون هذه القاعدة من عدد من النصوص القرآنية منها: قوله تعالى: " فلَوْلا فَضْلُ اللهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ لكنتم مِّنَ الخَاسِرِينَ"[٢]. وقوله تعالى: " وَإِنَّ رَبَّكَ لذو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لا يَشْكُرُونَ "[٣].وفي هذا فإننا لا نشتمُ في الجزاء الأخروي رائحة الرغبة في الثأر الشخصي بل إننا أمام قواعد عدلية في الجزاء تثبت مسبقا في النص القرآني كمرحلة نهائية من مراحل هذه المنظومة الأخلاقية وتترتب بوضوح وبجدية عن

---

[٦] آل عمران، آية ٣٠.
[1] نوح علي سلمان الفضاة: **المختصر المفيد في شرح جوهرة التوحيد**، ص ١٠٠ –١٠٢.
[2] البقرة، آية ٦٤.
[3] النمل، آية ٧٣.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

المسؤولية الأخلاقية التي تترتب بدورها على الإلزام ثم اتسمت بالوضوح الكامل باعتباره الجزاء الأخروي جزءاً من الحقيقة الغيبية الأخروية التي هي جزء من العقيدة فالأيمان باليوم الأخر ركن من أركان الإيمان، وهي أركان بالغة الوضوح والتوافق مع العقل ولا يقع شيء منها في دائرة المستحيل العقلي.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الفصـــل الثالـــث:

مواطن الاتفاق والاختلاف في الأخلاق الفردية بين العهد القديم والقرآن الكريم.

المبحث الأول: مواطن الاتفاق على الأخلاق الفردية.

المبحث الثاني: مواطن الاختلاف على الأخلاق الفردية.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

المبحث الأول: مواطن الاتفاق في الأخلاق الفردية

- المطلب الأول: نقاط الاتفاق في الإلزام والمسؤولية والجزاء في الأخلاق الفردية

- المطلب الثاني: نقاط الاتفاق في كثير من مفردات الأخلاق الفردية

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

المبحث الأول:

مواطن الاتفاق في الأخلاق الفردية:

بعد دراستنا لموضوع الأخلاق الفردية بين العهد القديم والقرآن الكريم، لا بد لنا من مقارنة سريعة بين المنهج الأخلاقي في كل من الكتابين، ونبدأ بنقاط الاتفاق بين العهد القديم والقرآن الكريم حيث سندرسه ضمن مطلبين.

الأول: نقاط الاتفاق في الإلزام والمسؤولية والجزاء في الأخلاق الفردية.

الثاني: نقاط الاتفاق في كثير من مفردات الأخلاق الفردية.

المطلب الأول: نقاط الأتفاق في الإلزام، والمسؤولية، والجزاء: توصلنا في عرضنا للإلزام والمسؤولية في العهد القديم والقرآن الكريم إلى ثبوت هذه الحلقات بشكل عام في القرآن الكريم والعهد القديم، ومن حيث الإلزام فإن العهد القديم يتفق مع القرآن الكريم بآن أهم مصادر الإلزام هو الإلزام من حيث الجهة الآمرة وهو الله تعالى. كما نرى في نصوص القرآن الكريم يقول تعالى: " إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ يُغْشِي اللَّيْلَ النَّهَارَ يَطْلُبُهُ حَثِيثًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومَ مُسَخَّرَاتٍ بِأَمْرِهِ أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ "[١] ويقول تعالى: " بَشِّرِ الْمُنَافِقِينَ بِأَنَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ۞ الَّذِينَ يَتَّخِذُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ أَيَبْتَغُونَ عِنْدَهُمُ الْعِزَّةَ فَإِنَّ الْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا "[٢] ويقول تعالى في النهي عن أكل مال اليتيم :" وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّى يَبْلُغَ أَشُدَّهُ وَأَوْفُوا الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ لَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدِلُوا وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَى وَبِعَهْدِ اللَّهِ أَوْفُوا ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ "[٣]. كما يوجد في العهد القديم نصوص تشير إلى الإلزام من حيث الجهة الآمرة،بحيث يبدو هذا المصدر أهم هذه المصادر أيضاً يقول العهد القديم " الرب إلهك تتقي ، إياه تعبد ، وبه تلتحق باسمه تحلف "[٤] ويقول " كل إنسان سب أباه أو أمه فإنه يقتل ، من سب أباه أو أمه دمه عليه"[٥] . ويقول العهد القديم أيضاً " أنا الرب إلهك الذي أخرجك من أرض مصر من بيت العبودية لا يكون لك ألهة أخرى"[١] ويقول " الرب إلهكم إله واحد لا تسير

---

[١] الأعراف أية ٥٤
[٢] النساء ١٣٨-١٣٩
[٣] الأنعام ١٥٢
[٤] تثنية ٦:٢٠
[٥] لاويين ١٨:٩
[١] خروج، ٢:٢٠

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ولاء ألهة أخرى، من ألهة الأمم التي حولكم لأن الرب ألهكم إله غيور في وسطكم، لئلا يحمي غضب الرب عليكم ، فيبيدكم عن وجه الأرض"[٢] وقال " هذا ما يقوله الرب: من أجل معاصي إسرائيل الثلاث، والأربع لن أرد عنهم سخطي لأنهم باعوا الصديق لقاء الفضة والبائس مقابل نعلين، الذين يسحقون رأس المسكين في التراب ويجورون على البائسيين، ويعاشر الرجل وابنه امرأة واحدة، فيدنس لذلك اسمي المقدس"[٣].

كما نلاحظ الاتفاق العام في وجود إلزام للمجتمع،فالمجتمع في القرآن الكريم يراقب ويربي ويصون ويعالج، بشقيّه السلطة الرسمية، وعموم المجتمع، وبالنسبة للعهد القديم فإن المجتمع يمارس مثل هذا الإلزام من خلال العقوبات التي أنيط تنفيذها بالسلطة الحاكمة في المجتمع.يقول تعالى:" والذين يرمون المحصنات ثُمَّ لَمْ يأْتُوا بِأَربعة شُهداء فَاجْلِدُوهُمْ ثَمانين جَلْدَةً ولا تَقْبلُوا لَهُمْ شَهادَةً أَبداً وأُولَئك هُمُ الْفَاسقُون "[٣].وقال تعالى:" الزَّانيةُ والزَّاني فَاجْلِدُوا كُلَّ واحد منْهما مئَةَ جَلْدَةٍ ولا تَأْخُذْكُم بِهِما رأْفَةٌ "[٤].

وقال تعالى:" يا أَيُّها الذين آَمنُوا إِنْ جاءكُمْ فَاسقٌ بِنَبأٍ فَتَبيَّنُوا "[٥].

كما جاء القرآن الكريم أمر الجماعة بمقاطعة الذين تخلوا عن القتال مع رسول الله " وعلَى الثَّلاثَة الذين خُلِّفُوا حتَّى إِذَا ضاقَتْ علَيْهِمُ الْأَرْضُ بِما رحبَتْ وضاقَتْ علَيْهِمْ أَنْفُسهم وظَنُّوا أَنْ لا مَلْجأَ منَ اللَّه إِلا إِلَيْه ثُمَّ تَاب علَيْهِمْ لِيتُوبُوا إِنَّ اللَّه هُوَ التَّوَّابُ الرَّحيمُ "[٦] فمقاطعة المجتمع أدت إلى نتيجة وهي تعديل سلوك هؤلاء الأفراد.

وأما حسب العهد القديم فقد جاء فيه نصوص تدل على أن الفرد خاضع في سلوكه إلى رقابة المجتمع ،فيقول:" إذا كان إنسان مبغضاً لصاحبه فيكمن له وقام عليه وضربه ضربة قاتلة فمات ثم هرب إلى إحدى تلك المدن يرسل شيوخ مدينته ويأخذونه من هناك ويدفعونه إلى يد ولي الدم فيموت لا تشفق عينك عليه تنزع دم بريء من إسرائيل فيكون لك خيراً"[١].

---

[٢] تثنية ٦(١٤-١٥)
[٣] عاموس ٢:(٦:٧)،(٣:١١).
[٣] النور، ٤.
[٤] النور ١
[٥] الحجرات
[٦] التوبة ١١٨.
[١] تثنية ١٩:(١١:١٣)

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وفي محاربة الزنا": وإذا اتخذ رجل امرأة وحين دخل عليها ولم يجد عذره وثبت يقينياً أنه لا عذرة لها ترجم بالمجارة حتى تموت"[٢] وأما في عقوق الوالدين " من ضرب أباه أمه يقتل قتلاً "[٣] وفي نطاق المسؤولية فالفرد في القرآن الكريم والعهد القديم مسؤولية أمام الله وهذه المسؤولية تأخذ الأهمية القصوى بين أقسام المسؤوليات الأخرى فيقول تعالى: " ثُمَّ جعلْنَاكُم خَلَائِفَ فِي الْأَرْضِ مِن بَعْدِهِمْ لِنَنْظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ "[٤]

ويقول تعالى: " يَا أَيُّهَا الْإِنْسَانُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ ۞ الَّذِي خَلَقَكَ فَسَوَّاكَ فَعَدَلَكَ " [٥] " لَا يُحِبُّ اللَّهُ الْجَهْرَ بِالسُّوءِ مِنَ الْقَوْلِ إِلَّا مَن ظُلِمَ وَكَانَ اللَّهُ سَمِيعًا عَلِيمًا "[٦] " وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ لِيَجْزِيَ الَّذِينَ أَسَاءُوا بِمَا عَمِلُوا وَيَجْزِيَ الَّذِينَ أَحْسَنُوا بِالْحُسْنَى "[٧].

وأما العهد القديم فيقول في قصة الطوفان الذي أغرق العالم لعدم امتثالهم لأوامر الرب ويتحمل مسؤولية أفعالهم " فإن هلاكي يسير أمامك وجيء بك الأموريين والحثيين والفرزيين والكنعانيين والحوسيين واليبوسيين فأبعدهم"[٨] " ليس لأجل يدك وعدالة قلبك تدخل لنمتلك أرضهم بل لأجل إثم أولئك الشعوب بذمهم الرب إلهك من أمامك"[٩] ويقول:" وكان عير بكد يهوذا شريراً في عيني الرب فأماته الرب"[١٠].

وكذلك الحال فإن المسؤولية أمام المجتمع بوجه عام محل اتفاق بين القرآن الكريم والعهد القديم، فالمجتمع في القرآن الكريم يسأل الفرد عن سلوكه ويجري له علاجاً نفسياً وتربوياً وقد بسطنا عرضاً لدور المجتمع في هذه الناحية، وللسلطة الحاكمة صلاحية تتمثل باختيار العقوبة المناسبة في التجاوزات التي لا تصل إلى القصاص والحدود وهي ما يدخل تحت مسمى التعزير يقول تعالى:" وَاتَّقُوا فِتْنَةً لَا تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنكُمْ خَاصَّةً "[١] " قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ذَلِكَ أَزْكَى لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ ".[٢]

---

[٢] للاويين ٧:(٩:٢٠)
[٣] خروج ٢١ (١٥:١٧)
[٤] يونس ١٤
[٥] الأنفطار ٧
[٦] النساء ١٤٨.
[٧] النجم ٣١.
[٨] تثنية ٧:(٣:٢)
[٩] تكوين ١٧:(٨:٧)
[١٠] تكوين (٧:٣٨)
[١] الأنفال ٢٥.
[٢] النور ٣٠.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وفي العهد القديم تمارس السلطة في المجتمع دورها في إيقاع العقوبات على الفرد الذي يأتي بسلوك أخلاقي نهى عنه العهد القديم ورتب عليه عقوبة فيقول:" من ضرب إنسان فمات يقتل قتلاً ولكن الذي لم يتعمد بل أوقع الله في يده فأنا أجعل لك مكاناً يهرب إليه"[٣]. " إذا اتخذ رجل امرأة وأمها فذلك رذيلة، بالنار يحرقونه وإياهما"[٤]. ويمكن القول بوجه عام أن بين القرآن الكريم والعهد القديم اتفاق في ثبوت مسؤولية الفرد عن أفعاله أمام مجتمعه.

أما بالنسبة للجزاء الأخلاقي فإنه ثابت في العهد القديم وفي القرآن الكريم. وبوجه عام هناك اتفاق على ترتيب الجزاء على اختيارات الأفعال الخلقية للفرد.

يقول تعالى:" أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ "[٥] ويقول:" يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَالْأَبْصَارُ "[٦]. ويقول تعالى:" يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِصَاصُ فِي الْقَتْلَى الْحُرُّ بِالْحُرِّ وَالْعَبْدُ بِالْعَبْدِ وَالْأُنْثَى بِالْأُنْثَى فَمَنْ عُفِيَ لَهُ مِنْ أَخِيهِ شَيْءٌ فَاتِّبَاعٌ بِالْمَعْرُوفِ"[٧] " وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا جَزَاءً بِمَا كَسَبَا نَكَالًا مِنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ "[٨] وقال تعالى في من عمل عملاً صالحاً:" لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَى وَزِيَادَةٌ وَلَا يَرْهَقُ وُجُوهَهُمْ قَتَرٌ وَلَا ذِلَّةٌ أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ "[٩] ويقول تعالى: " خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا "[١٠].

وأما الجزاء في العهد القديم يقول م.ريجيسكي:" نجد الإشارة خصوصاً إلى استخدام عاموس لتعبير يوم يهوه أو ذلك اليوم للدلالة على الحساب والعقاب الذي سينزله الرب بإسرائيل"[١] فيقول العهد القديم في الجزاء على ارتكاب الأفعال الخلقية :" من أجل أنكم تسمعون هذه الأحكام وتحفظون وتعلمونها يحفظ لك الرب إلهك العهد والإحسان الذين أقسم لآبائك يحبك ويباركك ويبارك ثمرة بطنك وثمرة أرضك وقمحك وخمرك وزيتك ونتاج بقرك وإناث غنمك عن الأرض"[٢]. ويقول:" لا تكشفوا رؤوسكم ولا تشقوا ثيابكم لئلا تموتوا ... وكلم الرب هارون قائلاً: خمراً مسكراً لا تشرب أنت وبنوك معك عند دخولكم إلى خيمة الاجتماع

---

[٣] خروج ٢١:(٤:١٢).
[٤] لاويين ٢٠: ١٤.
[٥] المؤمنون ١١٥.
[٦] النور ٣٧.
[٧] البقرة ١٧٨.
[٨] المائدة ٣٨.
[٩] يونس، ٢٦..
[١٠] التوبة، ١٠٣.
[١] م. ريجيسكي، **أنباء التوراة وتنبؤات التوراتين**،ترجمة أحو يوسف،ط١، دار الشبابية للنشر والتوزيع ، حسن و١٩٩٣، ط٩٤.
[٢] **تثنية** ٧: ٢.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

لكي لا تموتوا"[٣]. وقال:" من أجل ذنوب يهوذا .... لا أرجع عنه لأنهم رفضوا ناموس الله... فأرسل ناراً على يهوذا فتأكل قصور أورشليم"[٤].

ترى مجموع النصوص أن الفرد ملزم بالأخلاق ويتحمل مسؤولية عنها ويتعرض للجزاء بشقيه الثواب والعقاب بحسب اختياراته الخلقية.

---

[٣] **تكوين** ٣٨: ١٠.
[٤] **عاموس** ٢:(٤: ٥).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

المطلب الثاني: نقاط الاتفاق في كثير من المفردات الأخلاقية.

وسندرس هذا المطلب بتقسيمه إلى قسمين:

أ- جانب الأوامر بالأخلاق الفردية الحسنة.

ب- جانب النواهي عن الأخلاق الفردية السيئة.

وسندرسها على سبيل التمثل لا الحصر:

أ- الأخلاق الفردية المأمور بها:

١. خلق إخلاص النية والاتصاف بالتقوى:

يقول تعالى:" وَمَا أُمِرُوا إِلا لِيَعْبُدُوا اللهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاء وَيُقِيمُوا الصَّلاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ وَذَلِكَ دِينُ الْقَيِّمَةِ "[١]. ويقول العهد القديم:" فلتسمع ختام الأمر اتق الله، واحفظ وصاياه، لأن هذا هو الإنسان كله"[٢].

٢. طهارة النفس والاستقامة:

يقول الله تعالى:" :" قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَى إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ فَاسْتَقِيمُوا إِلَيْهِ وَاسْتَغْفِرُوهُ وَوَيْلٌ لِّلْمُشْرِكِينَ "[٣].

" فَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ وَمَن تَابَ مَعَكَ وَلا تَطْغَوْا إِنَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ "[٤]. ويقول العهد القديم :" منهج المستقيمين تفاديهم سبيل الشر، ومن يصون ملكه يصون نفسه"[٥].

٣. التواضع : يقول تعالى:" وَاقْصِدْ فِي مَشْيِكَ وَاغْضُضْ مِن صَوْتِكَ إِنَّ أَنكَرَ الأَصْوَاتِ لَصَوْتُ الْحَمِيرِ"[٦]. " وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلامًا "[٧].

يقول العهد القديم :" تواضع الروح مع الرديء خير من قسمة الغنيمة مع المتكبرين"[٨]. وقال:" مخافة الرب أدب الحكمة، وقبل الكرامة التواضع"[٩].

---

[١] البينة ٥.
[٢] **جامعه**، ١٣: ١٢.
[٣] فصلت ٦.
[٤] هود ١١٢.
[٥] أمثال (١٦: ١٨)
[٦] لقمان ١٩.
[٧] الفرقان ٦٣.
[٨] أمثال ١٩: ١٦.
[٩] أمثال ١٥: ٣٣.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

٤.الأمر بالصدق والوفاء:

" والذي جاء بالصِّدْقِ وصدَّقَ به أُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ "[١] وقال تعالى:" يا أَيُّها الذين آمَنُوا اتَّقُوا اللَّه وكُونُوا مع الصَّادقين "[٢]. ويقول العهد القديم :" ولا تكذبوا ولا تغدروا أحدكم بصاحبه"[٣].

٥.الرحمة: يقول تعالى:" ثُمَّ كَانَ من الذين آمَنُوا وتَواصَوْا بالصَّبْرِ وتَواصَوْا بالْمَرْحَمَة "[٤].

يقول العهد القديم :" ومن أمام الأشيب تقوم وتحترم الشيخ وتخشى إلهك"[٥].

٦. الأمر بالعدل والمساواة: يقول تعالى:" يا أَيُّها الذين آمَنُوا كُونُوا قَوَّامين بالْقسْطِ شُهَدَاءَ لله ولَوْ علَى أَنْفُسكُمْ أَوِ الْوَالدَيْنِ والْأَقْربين "[٦] . يقول العهد القديم:" لا ترتكبوا جورا في القضاء لا تأخذوا بوجه معين ولا تحترم وجه كبير"[٧].

٧. الأمر ببر الوالدين: يقول تعالى:" وقَضَى ربُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاه وبالْوَالدَيْنِ إِحْسَانًا إِمَّا يبْلُغَنَّ عنْدَكَ الْكبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كلَاهُمَا فَلَا تَقُلْ لَهُمَا أُفٍّ ولَا تَنْهَرْهُمَا وقُلْ لَهُما قَوْلًا كَرِيما "[٨].

يقول العهد القديم:" أكرم أباك وأمك لكي تطول أيامك على الأرض التي يعطيك الرب إلهك"[٩].

ب- ثانياً: الأخلاق الفردية المنهي عنها:

١. التحذير والنهي عن النميمة والغيبة فبقول تعالى:" يا أَيُّها الذين آمَنُوا إِذَا تَنَاجَيْتُمْ فَلَا تَتَنَاجَوْا بالْإِثْمِ والْعُدْوَانِ ومَعْصيَة الرَّسُولِ وتَنَاجَوْا بالْبرِّ والتَّقْوَى واتَّقُوا اللَّه الذي إِلَيْه

---

[١] الزمر ٣٣.
[٢] التوبة ١٨.
[٣] اللاويين ٩: ١١.
[٤] البلد ١٧.
[٥] اللاويين ١٩: ٣٢.
[٦] الشورى ١٣٥.
[٧] اللاويين ١٩: ١٥.
[٨] الاسراء ٢٣.
[٩] خروج ٢٠(٣: ١٨)

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

تَحْشَرون "[١]. ويقول تعالى:" وَلَا يَغْتَب بَعْضُكُم بَعْضًا أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ رَحِيمٌ "[٢].

ويقول العهد القديم :" الرجل المغتاب، الرجل الأثيم هو من يسعى بنميمة الفم الكاذبة ويضمره بعينيه ويشير برجليه، ويثير الخصومات دائماً لذلك تغشاه البلايا فجأة"[٣].

٢. النهي عن التكبر والغرور:

يقول تعالى:" وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ "[٤]. ويقول العهد القديم :" ستة أمور يمقتها الرب وسبعة مكروهة لديه عينان متعجرفتان"[٥].

٣.النهي عن خيانة الأمانة:

يقول تعالى:" يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَخُونُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ وَتَخُونُوا أَمَانَاتِكُمْ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ "[٦].

يقول العهد القديم:" يعرف الأشرار بخيانتهم"[٧].

٤. النهي عن النفاق: يقول تعالى:" :" فَوَيْلٌ لِّلْمُصَلِّينَ ۞ الَّذِينَ هُمْ عَن صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ ۞ الَّذِينَ هُمْ يُرَاؤُونَ ۞ وَيَمْنَعُونَ الْمَاعُونَ "[٨]. يقول العهد القديم:" لا تختر أهل الشر ولا تشته معاشرتهم، لأن قلوبهم تتآمر على ارتكاب الظلم وألسنتهم تنطق بالإساءة"[٩].

٥. النهي عن الزنا: يقول تعالى:" وَلَا تَقْرَبُوا الزِّنَا إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَسَاءَ سَبِيلًا " [١٠]. يقول العهد القديم كما ورد في الوصايا العشر:" لا تزني"[١١].

٦. النهي عن السخرية والاستهزاء: يقول تعالى" يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا يَسْخَرْ قَومٌ مِّن قَومٍ عَسَى أَن يَكُونُوا خَيْرًا مِّنْهُمْ وَلَا نِسَاءٌ مِّن نِّسَاءٍ عَسَى أَن يَكُنَّ خَيْرًا

---

[١] المجادلة ٩.
[٢] الحجرات ١٢.
[٣] أمثال ٦:(١٢- ١٥).
[٤] لقمان ١٨
[٥] أمثال٦:(١٦- ١٩)
[٦] الأنفال ٢٧.
[٧] أمثال (١١- ٣١).
[٨] الماعون ٤-٧.
[٩] أمثال ٢٤: ٢.
[١٠] الاسراء ٣٢.
[١١] خروج ٢٠: ١٤.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

مِنْهُنَّ وَلا تَلْمِزُوا أَنْفُسَكُمْ وَلا تَنَابَزُوا بِالأَلْقَابِ بِئْسَ الاِسْمُ الْفُسُوقُ بَعْدَ الإِيمَانِ وَمَنْ لَمْ يَتُبْ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ "[١]. ويقول العهد القديم في ما حدث لشبان اللذين سخروا من النبي اليشع وقالوا له:" يا أقرع فعاقبهم الرب بإرسال دبتان من الغابة وأكلن اثنين وأربعين فتى منهم"[٢].

٧. النهي عن السرقة:

قال تعالى:" وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا"[٣]. يقول العهد القديم :" لا تسرق"[٤].

٨.النهي عن شهادة الزور:

يقول تعالى:" فَاجْتَنِبُوا الرِّجْسَ مِنَ الْأَوْثَانِ وَاجْتَنِبُوا قَوْلَ الزُّورِ "[٥]. يقول العهد القديم:" لا تحرف شهادتك في دعوى انجرافاً مع الأكثرية"[٦].

وهذه المقارنة السريعة هي كما قلنا على سبيل التمثيل للتشابه والاتفاق لا على سبيل حصر كل الأخلاق. فمن خلالها نلاحظ نقاط الاتفاق في الأفعال الأخلاقية الفردية التي دعا إليها القرآن الكريم والعهد القديم.

---

[١] الحجرات ١١.
[٢] ملوك ٢ ٢: ٣٤.
[٣] النساء ٣٨.
[٤] خروج ٢٠: ١٥.
[٥] الحج ٣٠.
[٦] خروج ٢٣: ٣.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

المبحث الثاني: مواطن الاختلاف في الاخلاق الفردية بين العهد القديم والقرآن الكريم

- المطلب الأول: الاختلاف في شمولية الاخلاق الفردية
- المطلب الثاني: الاختلاف في الجانب التطبيقي للأخلاق الفردية
- المطلب الثالث: الاختلاف في الغاية الأخلاقية الفردية.
- المطلب الرابع: الاختلاف في حضور الأخلاق الفردية في الجانب التشريعي.
- المطلب الخامس: الاختلاف في الإلزام والمسؤولية في الأخلاق الفردية.
- المطلب السادس: الاختلاف في الإجراءات الوقائية والعلاجية للحد من انتشار القيم الفردية السلبية.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

المبحث الثاني: مواطن الاختلاف في الأخلاق الفردية، بين العهد القديم والقرآن الكريم .

وصلنا في التجوال السابق إلى أن ثمة جوانب اتفاق بين العهد القديم والقرآن الكريم، والذي أرجح فيه أننا لسنا أمام حالة اتفاق تؤدي معنى التطابق، ولكننا أمام حالة من التقاطع بين الأخلاق الفردية في العهد القديم والأخلاق الفردية في القرآن الكريم.

وهذا التقاطع الظاهري لا ينفي جوهرية الفرق بين كلا الموقفين من الأخلاق، ولا أريد القول هنا أن هذا التقاطع الإنساني هامشيون أو ليس له ثمرة يمكن تحقيقها في الواقع الإنساني، بل أن هذا التقاطع قد يكون كافياً لتشكيل حالة من الالتقاء على قيم أخلاقية مشتركة يتبناها دعاة الالتزام بالأخلاق لمحاربة الانفلات الخلقي الذي يحتاج العالم بأسره.

ولكن البحث العلمي يبحث في طبيعة كلا النظرتين إلى الأخلاق ويحاول أن يحدد موقع الأخلاق الفردية في المنظومة الأخلاقية ذاتها أولا، ثم في المنهج الذي يطرحه كل كتاب بصفته الهدي الذي يقبله الله ويرضاه لعباده وعندما تظهر لنا مواطن الاختلاف والتي حصرتها- وفق ما أدى إليه علمي- في المطالب التالية:

المطلب الأول: الاختلاف في شمولية الأخلاق الفردية.

المطلب الثاني: الاختلاف في الجانب التطبيقي للأخلاق الفردية.

المطلب الثالث: الاختلاف في الغاية الأخلاقية الفردية.

المطلب الرابع: الاختلاف في حضور الأخلاق الفردية في الجانب التشريعي.

المطلب الخامس: الاختلاف في الإلزام والمسؤولية في الأخلاق الفردية.

المطلب السادس: الاختلاف في الإجراءات الوقائية والعلاجية للحد من انتشار القيم الفردية السلبية.

المطلب الأول: الاختلاف في شمولية الأخلاق الفردية.

الأخلاق الفردية في القرآن الكريم هي أخلاق شاملة بمعنى أنها تشتمل على قيم أخلاقية متعددة ومتنوعة وتطال كل ما ينعكس على السلوك الفردي للإنسان ولأن الخلق الفردي يظهر في شخصية الإنسان من خلال مواقف غير محددة فقد حرص القرآن الكريم على تزويد هذه الشخصية بالقيم الأخلاقية المتنوعة ويرسخها بالنفس المؤمنة بطرق متنوعة أيضاً بحيث يواجه هذه المواقف الغير محددة والتي تتطلب منه استجابات أخلاقية فورية، بثقة وهدى، فيأتي خلقه الفردي هنا مناسباً لما يتطلبه تكوينه الأخلاقي والفكري في تلك الجزئية.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ومن مظاهر هذا الشمول يقول الدكتور عبد الله دراز:" ماذا يجب أن أعمل ذلكم أعم الأسئلة وأشدها إلحاحاً إنه الغذاء اليومي للنفس الإنسانية"[١].

إن شمولية الأخلاق و تعدد جوانب الأخلاق التي يتعرض لها النص القرآني تودع في شخصية الإنسان إجابة سريعة وسديدة حول ماذا يجب أن بعمل أمام أي موقف في حياته يتطلب هذه الإجابة عملياً، فيقول الدكتور عبد الرحمن حنبكة :" فمن فضائل أخلاق الفكر تحري الحقيقة بإنصاف وتجرد وحياد، والصبر على التفكر والتدبر، والبحث عن كل نافع مفيد من الأفكار والمعارف والعلوم والبعد عن سفاسف الأفكار وتوافهها"[٢].

والواقع أنه يمكننا – انسجاماً مع اعتبارنا السابق أن الفردية مستوى من مستويات الأخلاق. أن نتلمس جوانب هذه الشمولية والاتساع في المفردات الأخلاقية في جميع الأخلاق المعروفة في القرآن الكريم بعد تحديد المستوى الفردي لها.

ولذلك فقد اتسعت المفردات الأخلاقية الفردية الحسنة في القرآن لتشكل قائمة كبيرة محشودة بهذه المفردات كطهارة النفس والاستقامة، والعفة، وغض البصر، وضبط النفس وكظم الغيظ والصدق والتواضع والصبر والاعتدال يقول تعالى:" ونَفْسٍ وما سوَّاها ❁فأَلْهمها فُجورها وتَقْواها ❁ قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكاها ❁ وقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاها "[٣].

ويقول سبحانه وتعالى في خلق الاستقامة:" فَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ وَمَنْ تَابَ مَعَكَ "[٤].

وفي خلق الصفة وغض البصر :" قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ذَلِكَ أَزْكَى لَهُمْ "[٥].وفي خلق الصدق:" يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ "[٦].وفي خلق التواضع :" وَاقْصِدْ فِي مَشْيِكَ وَاغْضُضْ مِنْ صَوْتِكَ إِنَّ أَنْكَرَ الْأَصْوَاتِ لَصَوْتُ الْحَمِيرِ "[٧]. وفي اجتناب سوء الظن:" وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا "[٨].

---

[١] عبد الله دراز، **دستور الأخلاق**، ص٧٠٧.
[2] عبد الرحمن حنبكة، **الأخلاق الإسلامية**، ٥٠.
[3] الشمس ٦-١٠.
[4] هود ١١٢.
[5] النور ٣٠.
[6] التوبة ١١٩.
[7] لقمان ١٩.
[8] الإسراء ٣٦.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وكذلك فالآيات القرآنية محشودة بالمفردات الأخلاقية السيئة المنهي عنها كسوء الظن والكذب والنفاق والتناقض بين الفعل والقول والإسراف والبخل والرياء والحسد والطمع والعجب والتي سبق ذكرها في مظاهر وصور الأخلاق الفردية في القرآن الكريم.

يقول تعالى:

" واجْتَنِبوا قَولَ الزُّورِ "[١]. ويقول " ومَن يُوقَ شُحَّ نفسه فأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ "[٢].

" إِنَّ اللهَ لَا يُحِبُّ مَن كَانَ مُخْتَالًا فَخُورًا ۞الذين يَبْخَلُونَ ويَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبُخْلِ "[٣].

" ولَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا إِنَّ اللهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ "[٤]. " أَم يَحْسُدُونَ النَّاسَ عَلَى مَا آتَاهُمُ اللهُ مِن فَضْلِهِ "[٦]. " ولَا تَتَمَنَّوْا مَا فَضَّلَ اللهُ بِهِ بَعْضَكُمْ عَلَى بَعْضٍ "[٥].

وقال:" ولَا تَقْرَبُوا الزِّنَا إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وسَاءَ سَبِيلًا "[٧]. " والزَّانِيَةُ وَالزَّانِي فَاجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا مِئَةَ جَلْدَةٍ "[٩].

وإذا انتقلنا إلى لعهد القديم وجدنا المفردات أقل شمولا سواء من حيث عدد المفردات الأخلاقية ومن حيث المساحة التي تغطيها هذه المفردات من شخصية الفرد وما يواجهه الفرد من مواقف حياتيه تتطلب استجابات أخلاقية.

إن طرق العهد القديم لموضوع الأخلاق الفردية كانت طرقاً موجزة فهناك كثير من الأخلاق الفردية لم يتطرق العهد القديم إلى ذكرها مثل الغيبة، والجهر بالسوء، وكظم الغيظ، وتناقض الأفعال مع الأقوال وغيرها.وهذه الأخلاق غير ما ورد من تناقض الأخلاق بين الأمر بها والنهي عنها. مثل تعاطي الخبائث فمرة يأمرهم بالامتناع عن الخمر ومرة يأمرهم بتقديمها كقربانٍ للرب. فالأخلاق الفردية في العهد القديم تقع ضمن تعارض وتضارب بين الأمر والنهي عنها. يقول الدكتور محمد خليفة:" ولكن مع تطور الديانة الإسرائيلية من بعد العصر الموسوي بدأت عملية تقليص هذا الاهتمام – أي بالأخلاق- للديانة الموسوية لعدة

---

(1) الحج ٣٠.
(2) الحشر ٩.
(3) النساء ٣٧.
(4) لقمان١٨.
(6) النساء ٥٤.
(5) النساء ٣٢.
(7) الإسراء ٣٢.
(9) النور ٢.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

أسباب نذكر منها الاستغراق في مسائل الطقوس والشعائر الخاصة، ووجهت المواد الأخلاقية وجهة تخدم الخصوصية الإسرائيلية. فأصبحت ذات مضمون أخلاقي عام"[١].

وهذه الأسباب جعلت مظاهر الأخلاق في العهد القديم موجزة وذات بعد عام يقول الدكتور اسبينوزا:" وعلى الرغم من أن الأسفار الخمسة تحتوي بالإضافة إلى هذه الشعائر المفروضة على كثير من الوصايا الخلقية، فإن هذه الأخيرة لا توجد فيها بوصفها تعاليم خلقية مشتركة بين الناس، بل بوصفها أوامر تكيف بوجه خاص طبقاً لفهم أمة العبرانيين وحدها" [٢] وهذا هو سبب في عدم شمولية الأخلاق في العهد القديم.

المطلب الثاني: الاختلاف في الجانب التطبيقي للأخلاق الفردية:

وأعني بالجانب التطبيقي الخروج من حالة الأمر بالأخلاق الفردية الإيجابية والنهي عن الأخلاق الفردية السلبية، أو مدح هذه، وذم تلك، إلى حيز آخر عملي يجعل من الأخلاق أمراً واقعياً يمكن للإنسان أن يتصف بما هو حسن منها وأن يتجنب ما هو قبيح منها، وأن يلمس بنفسه من خلال الخلق التطبيقي آثر اختياره لكل من هذه الأخلاق.

إن القرآن الكريم، لا يكتفي بالأمر بالصدق، والحياء، والشجاعة، والحق، والصبر على الأذى، كما لا يكتفي بالنهي عن أخلاق فردية سلبية كالغش، الحسد، مقارفة الفواحش، بل أنه يضع كل ذلك في سياقات تطبيقية أذكر منها:

١- غرس الأخلاق الفردية باستعراض المواقف وهذا أسلوب قرآني في غرس الأخلاق الفردية الحسنة، ولمحاربة الأخلاق الفردية السيئة، فهو يضع هذا الخلق في إطار حدث كما يرى المتلقي بنفسه طبيعة هذا الخلق وأثره فيزداد يقينه بالأمر القرآني الخاص بهذا الحكم وقناعته به، ومن الأمثلة على ذلك: حدث جرى في المجتمع الإسلامي فينزل النص القرآني معلقاً، ومبيناً للحكم، ومؤكداً على الجانب الأخلاقي في ذلك الحدث، ومن ذلك الحث على التحفظ في الأحكام من خلال قوله تعالى: " يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا إِنْ جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَأٍ فَتَبَيَّنُوا "[٣] فقد نزلت هذه الآية في الوليد بن عقبة حيث بعثه النبي – صلى الله عليه وسلم – إلى بني المصطلق يتصدقهم فتلقوه بالصدقة فرجع فقال: إن بني المصطلق قد جمعت لك لتقاتلك، فبعث رسول الله – صلى الله عليه وسلم- خالد بن الوليد إليهم ليتثبت الأمر، فوجد أنهم ثابتون مع النبي – صلى الله عليه وسلم – فرجع إلى النبي فأخبره فأنزل الله تعالى هذه الآية[١].

---

[١] محمد خليفة حسن أحمد، **تاريخ الديانة اليهودية**، دار قباء للطباعة والنشر ط١،١٩٩٨، ص ١٦٦و١٦٧.
[٢] اسبينوزا، **في السياسة واللاهوت**، ص ١٩٨.
[3] الحجرات، ٦.
[١] سيد قطب، **في ظلال القرآن**، ٥٢٧ – ٧، وانظر، أحمد مصطفى المراغي، **تفسير المراغي**، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط٢، ١٩٨٥، ج٢٦، ص ١٢٧.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

إن من شأن التأكيد القرآني على التحفظ والتثبت بالتعليق على حادث جرى في المجتمع أن يثبت في نفس كل مسلم، وفي شخصيته، هذا الخلق العظيم في مستواه الفردي، لقد رسخت هذه الآية مبدأ أخلاقياً يستفيد منه الإنسان على المستوى الفردي كثيراً بأن يكون موضوعياً يصف الحقائق كما يصل إليها بدليله، ولا يجعل الحق تبعاً لأهوائه وكذلك الأمر في كثير من الأخلاق الفردية التي يضيق المقام عن تتبعها فنحن هنا في مقام التمثيل لا الحصر.

٢- التطبيق عن طريق القدوة: إن القدوة من أهم الطرق لإحداث التعلم عند المتلقي وهي عاملٌ كبيرٌ في إصلاحه أو فساده يقول عبد الله ناصح علوان في ذلك " ولقد علم الله سبحانه – وهو صنع لعباده المنهج السماوي المعجز – أن الرسول المبعوث من قبله بأداء الرسالة السماوية لأمة من الأمم ينبغي أن يكون متصفاً بأعلى الكمالات النفسية والخلقية والعقلية .... حتى يأخذ الناس عنه ويقتدوا به، ويتعلموا منه .. ويستجيبوا إليه ... وينهجوا نهجه في المكارم والفضائل والخلق العظيم "[٢]. فيقول تعالى: " لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ "[٣] والقرآن الكريم يضرب لنا أمثالاً في أخلاق الأنبياء – عليهم السلام – ليكونوا قدوة لنا فيقول: " ذُرِّيَّةَ مَنْ حَمَلْنَا مع نوحٍ "[٤] وآدم – عليه السلام -: " وعَصَى آَدَمُ رَبَّهُ فَغَوَى ۞ ثُمَّ اجْتَبَاهُ رَبُّهُ فَتَابَ عَلَيْهِ وهدى "[٥].وإبراهيم – عليه السلام -: " ولَقَدْ آَتَيْنَا إِبْرَاهِيمَ رُشْدَهُ "[٦].وإسحاق – عليه السلام -: " وبشرناه بإسحاق نبياً من الصالحين".ويعقوب – عليه السلام _: " وَإِنَّهُ لَذُو عِلْمٍ لِمَا عَلَّمْنَاهُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ "[٧] .

٣- تمجيد القرآن للأخلاق الحسنة والحث عليها: وذلك من خلال الإعادة والتكرار للأخلاق الحسنة والأمر بها، والثناء على فاعلها وربطها بالثواب والجنة والفوز والنعيم[٨].

٤- ربط الفعل الأخلاقي بالجزاء الدنيوي والأخروي بحيث يشعر فاعل الخلق برقابة الله والمجتمع له في كل تصرفاته.

---

[٢] عبد الله ناصح علوان، **تربية الأولاد في الإسلام**، دار السلام، حلب، ج٢، ص ٦٣٤.
[٣] الأحزاب، ٢١٠.
[٤] الإسراء،٣.
[٥] طه، ١٢٠- ١٢١.
[٦] تحريم، ٥١.
[٧] يوسف، ٦٨.
[٨] عبد الرحمن حبنكة، **الأخلاق الإسلامية**، ص ٣٧٠.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

أما عن الجانب التطبيقي للأخلاق الفردية في العهد القديم:

١- فإن العهد القديم يكتفي بذكر الجانب النظري للأخلاق الفردية من حيث الأمر والنهي ولا يتطرق إلى أساليب غرس هذه الأخلاق في قلوبهم وعقولهم. فالعهد القديم عندما يأمر مثلاً بخلق العفة بقوله " لا تزني "[١] فإنه لا يطرح الأمثلة والأساليب التي تجعل الفرد يشعر بسوء هذا الخلق وأخطاره، وإنما يطرحه بشكل جامد من غير طرح أمثلة أو أحداث، بل وعلى العكس من ذلك نجد أن العهد القديم ينهى عن هذا الخلق في موضع، ولا يرفضه في موضع آخر، كما حدث مع رحاب الزانية التي أخفت الجاسوسين فأخرجها الرب وكل ما تملك وحرق المدينة[٢]. فالرب كما تصوره الحكاية ينتصر للزانية ويحرق مدينة بأسرها ولنا أن نتساءل هنا عن الوزن النسبي للأثر الإيجابي للنهي الجازم " لا تزني" في مقابل الوزن النسبي لهذه الصورة التي تمجد الزنا بتدخل إلهي إلى جانب امرأة يعني في مواجهة مدينة بأسرها.

٢- أما عن القدوة في الجانب التطبيقي فإنه غائب عن العهد القديم وذلك من خلال عرضه لبعض صور الأخلاق للأنبياء بل على العكس فإن الرب – عندهم – يحزن ويندم وهو يشرب الخمر ويطلب أن تقدم له كقرابين ليحب الأشخاص " وتقدمه عشرين من دقيق ملفوف بزيت وقوداً للبر، رائحة سرور وسكينة ربع الهين من الخمر "[٣] وأما الأنبياء فهم يزنون ويشربون الخمر ويظلمون ويقتلون – معاذ الله – وغير ذلك من الأخلاق السلبية المذمومة.

سليمان: فقال الرب لسليمان: " من أجل ذلك عندك ولم تحفظ عهدي وفرائضي التي أوصيتك " [٤] نوح عليه السلام الذي سكر وتعارى في خبائه فيقول العهد القديم: " ابتدأ نوح يكون فلاحاً وغرس كرماً وشرب من الخمر فسكر وتعرى داخل خبائه "[٥].لوط عليه السلام: الذي اتهم بالزنا ومع من ! مع ابنتيه " فصعد لوط وسكن الجبل وابنتاه فقالت الكبرى للصغرى: إن أبانا قد شاخ وليس رجل على الأرض يستطيع أن يدخل علينا فهلمي نسقيه خمراً ونضطجع معه ونقيم من أبينا خلفاً "[٦].

والواقع أن مثل هذا التناقض بين الأمر والنهي المحال بالنسبة لخلق فردي ما وبين سلوك الأنبياء على المستوى الفردي بحسب ما يصوره العهد القديم، شكل عبئاً بل حرجاً شديداً أمام التفسير الكنسي الذي هو – بتقديري – أقرب إلى المعنى الأخلاقي وأشد حرصاً على تعميق هذا

---

(1) خروج: ٢٠ : ١٤.
(2) يشوع، ٦ : ٢٣.
(3) **اللاويين**، ٢٣: ١٣.
(4) **ملوك أول**، ١١ : ٢ : ٣.
(5) **تكوين**، ٩ : (٢٠ : ٢٦).
(6) **تكوين**، ٢٠.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

التمثل الفردي للأخلاق، حيث تطلع هذه الكنائس والقيادات الروحية لدى المسيحيين بدور لا يستهان به في تعميق هذه الرسالة الأخلاقية في شخصية الفرد.

أما الحرج الذي قصدته فيظهر حيث يحاول هؤلاء الكنسيون البحث عن مدخل إلى توجيه يبدو مقبولاً في عين المتلقي، إلا أن ما رأيته من جهود في هذا المضمار لم يصل من الشجاعة إلى حد رفض النصوص التي تسيء إلى الأنبياء، بل جنح إلى تأكيد اتهام الأنبياء مع تبريرات لا تسمن ولا تغني، ومنها ما ذهب إليه أصحاب التفسير التطبيقي من افتراض حالة من الفصام في شخصية النبي وذلك بإقرارهم بأن كل شخصية من هذه الشخصيات نقاط قوة ونقاط ضعف وأخطاء، وهذا ينسحب على جميع الرجال المقدسين الذين وردوا في العهد القديم كلوط، ونوح وإبراهيم، إسحاق، يعقوب، وغيرهم وبهذا يكون غاية ما فعلوه أنهم نزعوا عن الأنبياء ما يميزهم عن سائر البشر حتى العصاة منهم، ومن الأمثلة الفردية التي لا بد من سوقها هنا: قولهم في بيان نقاط الضعف عند إبراهيم " نقاط الضعف والأخطاء حرف الحق تحت ضغط الظروف [١] وهذا يجعلنا نقول بصراحة ووضوح أن فاعلية الأمر الأخلاقي الفردي في العهد القديم تصبح محل نظر أمام غياب القدوة، أو بكلمة أخرى لا أخلاقية القدوة على الصعيد الفردي، بحسب ما تصورها نصوصه.

٣- وأما عن ربط الأخلاق بالجزاء فإن الجزاء والعقاب عندهم دنيوي وهو جزاء وعقاب غير شامل وغير واضح ولا يتناسب مع العمل في أغلبه يقول اسبينوزا في هذا الجانب التطبيقي "[٢] لا يعلم موسى اليهود تحريم القتل وتحريم السرقة كما يعلمها الفقيه أو النبي، بل يأمرهم بذلك كما يأمر المشرع والحاكم، ولا يثبت تعاليمه بالدليل بل يقرن أوامره بالتهديد بعقاب قد يمكن " فهم قد أغفلوا الجانب الروحي والتحبيب للأخلاق الفردية.

المطلب الثالث: الاختلاف في الغاية الأخلاقية الفردية:

لا شك أن لكل الأوامر والنواهي الواردة في القرآن الكريم والعهد القديم غايات تحققها في واقع الناس، ولكن هذه الغايات تختلف في مداخلها ومستوياتها، وإذا كانت الغاية الفردية التي يدرك حضورها الفوري عند تلقي الأوامر والنواهي في الكتابين في الجانب الأخلاقي: هي التزام المتلقي بحدود هذه الأوامر والنواهي من حيث الفعل وعدم الفعل فإن هذه الغاية ليست أكثر من غاية قريبة تشكل مرحلة أولى يبنى عليها ترقي المتلقي في مراحل أرقى من الغايات.

وفي القرآن الكريم نجد أن الخلق ليس مجرد فعل، أو كف عن الفعل، ولا يقف عند حدود الاستجابة لأمر علوي، بل إن الإتيان بهذه الأوامر يجب أن يصبح سجية وطبعاً في السلوك

---

[١] **التفسير التطبيقي**، دم، ص ١٥.
[٢] اسبنوازا، ص ١٩٩.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الإنساني وفي هذا الإطار يقول الدكتور عبد المنعم حنفي: " الخلق في القرآن هو أوامره تعالى ونواهيه، وأدب القرآن هو السلوكيات التي دعت الناس أن يأتوها والتي بإتيانها يتشكل طبع المسلم ويصبح ما كان خلق مدعواً إليه طبعاً متأصلاً فيه "[١] وإذا انتقلنا إلى ما هو أرحب من ذلك نجد غاية الأخلاق أن يصل المسلم إلى السعادة الأخروية في مستقر رحمة الله حيث يجزي الله الصادقين والمحسنين والذين يغضون أبصارهم فيقول تعالى: " والَّذِينَ آَمَنُوا وعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ "[٢].

" والَّذِينَ هُمْ لِأَمَانَاتِهِمْ وعَهْدِهِمْ رَاعُونَ ۞ والَّذِينَ هُمْ بِشَهَادَاتِهِمْ قَائِمُونَ "[٣].

إن هذه الأهداف والغايات في القرآن الكريم تختلف بين أهداف قريبة المدى وأهداف بعيدة المدى، ولكنها كأهداف مرحلية تبنى على بعضها البعض ولكل هدف منها إجراءاته التي تؤدي إليه.

وإذا انتقلت بإشارة سريعة إلى اتجاه آخر من الأهداف، فإن من غايات الأخلاق القرآنية الانتقال من المستوى الفردي إلى المستوى الاجتماعي العام، نحو مجتمع تسوده قيمة أخلاقية تنبع من صميم الفرد فتلتقي لتشكل السمات الأخلاقية العامة للمجتمع.

يقول الدكتور حبنكة " ضمن مجموعة الوسائل التي اعتمد عليها الإسلام في تقويم الأفراد وإصلاحهم والتزامهم كمجال السلوك وفضائل الأخلاق اعتمد على المجتمع الإسلامي السويّ، وذلك لما للمجتمع من سلطة معنوية فعالة ومؤثرة على نفوس الأفراد وترجع هذه السلطة المعنوية إلى أن الفرد جزء من المجتمع الذي بعث فيه، وله من مجتمعه مصالح كثيرة مادّية ونفسية "[٤].

وبالمقارنة مع العهد القديم فإننا لا نحتاج إلى إثبات حضور الغاية القريبة، وهي التزام المتلقي بما يسمع من أوامر ونواهي أخلاقية فردية، فنحن لسنا إزاء نصوص عبثية أو غير موجهة بل هي أوامر ونواهي تستدعي بالضرورة الالتزام في الاستجابة من جهة المتلقي فيقول العهد القديم " الرب إلهك تتقي، إياه تعبد، وبه تلتحق، باسمه تحلف "[١].

ولكن في المدى الأرحب لهذه الغايات فإن ثمة منغصات تحول دون رؤيتنا لأهداف أكثر اتساعاً للمنظومة الأخلاقية في العهد القديم، وهذا له صلة بما سبق من غياب الجانب التطبيقي الذي

---

[١] عبد المنعم حنفي، **موسوعة القرآن العظيم**، ص ١٨٣٣.
[٢] البقرة، ٨٢.
[٣] المعارج، ٣٢ – ٣٥.
[4] حبنكة، ٢٠٥.
[١] **تثنية**، (٦ : ٢٠).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

يشعر المتلقي بجدية الأمر ويرسخ لديه المفهوم الأخلاقي ليصل إلى المرحلة الثانية من الأهداف وهي أن تصبح الأخلاق سجية في الفرد وجزءاً من طبعه وسلوكه.

وكذلك الحال في الغاية الأبعد والأعظم وهي الوصول إلى مرضاة الله والنجاة من عقابه في الآخرة، وهذا راجع بشكل أساسي إلى غياب وضبابية اليوم الآخر في العهد القديم بحيث يمكن القول أن الإيمان باليوم الآخر ليس من لوازم العقيدة اليهودية بحسب ما يعرضها العهد القديم ويمكننا هنا أن نؤكد مع الدكتور عبد الوهاب المسيري " أن اليهودية الأولى أي عبادة إسرائيل الحلولية لم تعرف الحياة الآخرة أو اليوم الأخر أو البعث وإن اليهودية الحديثة وبعد محاولات لحل الإشكاليات والتناقض في هذه المسألة قد تخلت عن هذه الفكرة وهي لم تكن في أي وقت أحد العقائد الأساسية "[٢].

كما أننا نجد أن القرآن الكريم يشير إلى اضطراب الفكر اليهودي في مسألة البعث والحشر في اليوم الآخر.يقول تعالى: " وقَالُوا لَنْ يَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلا مَنْ كَانَ هُودًا أَوْ نَصَارَى تِلْكَ أَمَانِيُّهُمْ قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِنْ كُنتُمْ صَادِقِينَ "[٣] " ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا لَنْ تَمَسَّنَا النَّارُ إِلا أَيَّامًا مَعْدُودَاتٍ وَغَرَّهُمْ فِي دِينِهِمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ "[٤].يقول الإمام القشيري في تفسير هذه الآيات: " عاقبناهم في الدنيا بالاستدراج حتى حكموا لأنفسهم بالنجاة وتخفيف العقاب وسوف يعلمون تضاعف البلاء عليهم ويحسبون أنهم على شيء إلا أنهم هم الكاذبون "[٥].

ويقول الرازي " فقد روي أنهم كانوا يقولون : مدة عذابنا سبعة أيام ومنهم من قال: بل أربعون ليلة على قدر مدة عبادة العجل "[٦].

فقد اضطروا للاعتراف باليوم الآخر وحددوا مدة العذاب من دون برهان إن غياب حقيقة الآخرة وعدم وضوحها في العهد القديم بحيث أصبحت قضية غير اعتقادية، عطلت الغاية الأخروية تماماً في جميع المجالات التي يعرفها العهد القديم، والجانب الأخلاقي جزء منها يقول الدكتور محمد الخطيب نقلاً عن د. حسن ظاظا: " أن اليهودية تهتم بالأعمال في عقائدها ولا تعني بالإيمان وهي في جوهرها أسلوب حياة لا عقيدة تعتقد "[١].

---

[٢] عبد الوهاب المسيري، **موسوعة اليهود واليهودية**، ج٢، ص ١٠٢.
[٣] البقرة، ١١١.
[٤] آل عمران، ٢٤.
[٥] الإمام القشيري، **لطائف الإشارات**، قدم له الدكتور إبراهيم بسيوني، مركز تحقيق التراث، ط٢، ١٩٨١، ص ٤٢٥.
[٦] محمد الرازي فخر الدين، **تفسير الفخر الرازي**، دار الفكر، ط١، ١٤٠١، ١٩٨١، ج٧، ص ٢٣٦
[١] محمد الخطيب، **مقارنة الأديان**، ١٧٨.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

المطلب الرابع: الاختلاف في حضور الأخلاق في الجانب التشريعي:

وأقصد بالجانب التشريعي: ما شرعه الله – سبحانه وتعالى – لعباده من العقائد والأحكام.

والأفراد بحاجة إلى تشريع ينظمون به أمور حياتهم وتصان أنفسهم وأعراضهم وأموالهم ويعرفون الحلال من الحرام، والأخلاق الفردية ذات حضور واضح في الأحكام والتشريعات القرآنية ولتكون المقارنة هنا علمية سأطرق بابها من زاويتين:

الأولى: مدى سلامة الحكم التشريعي ذاته من العيب الأخلاقي

الثاني: مدى تعميق الحكم الشرعي لخلق الفرد.

الزاوية الأولى: مدى سلامة الحكم التشريعي ذاته من العيب الأخلاقي:

سيج القرآن تشريعه الواسع الذي يتناول كل مناحي الحياة بسياج من الأخلاق، وتظهر هذه الصورة جلية في تعبير النبي – صلى الله عليه وسلم – عن حقيقة رسالته بقوله " بعثت لأتمم حسن الأخلاق " [٢] ولا يخفى ما يؤديه التعليل في هذه الجملة من حصر للغاية التشريعية بالأخلاق وهذا – وإن كان لا يعني أن التشريع مقتصر على الجانب الأخلاقي دون غيره من معاملات وعبادات وغيرها – إلا أنه يدل بوضوح على أن لكل أمرٍ تشريعي بعداً أخلاقياً فهو إما يقرّ عدلاً، ويحقق مصلحة، وإما يرفع ظلماً، وينصف مظلوماً، أو يؤدي غرضاً أخلاقياً ليتجلى بوضوح من كل حكم تشريعي.

ومن المظاهر الباهرة على حضور الأخلاق في الجانب التشريعي حضورها القوي في جانب العبادات، حيث يتعلم الإنسان من العبادة ذاتها معاني الصبر، والتضحية، والبذل، وسلامة المقصد، وضبط النفس، والعطف على الآخرين، والترفع عن المحرمات، يقول الإمام الغزالي في أسرار الصلاة " وكم من معانٍ لطيفة يفهمها المصلي في أثناء الصلاة ولم يكن قد خطر بقلبه ذلك قبله؟ ومن هذه الوجوه كانت الصلاة ناهية عن الفحشاء والمنكر "[٣].

وفي الزكاة يقول: " الإسرار فإن ذلك أبعد عن الرياء والسمعة "[٤].

وفي الصيام يقول " وعدّ منهم أن وسيلة الشيطان إلى قلوبهم الشهوات المسكنة أو أن يقمعها تصبح النفس المطمئنة ظاهرة الشوكة في قصم خصمها قوية المنة "[١].

وفي الجانب التشريعي ملمح أخلاقي شديد الأهمية وهو تساوي الناس أمام التشريع فليس هناك من هو أكبر من القانون وليس هناك استثناء لاعتبارات تفضيلية وأشخاص دون أشخاص – ولأعني هنا الاستثناءات العامة على بعض الأحكام الشرعية – ومن مظاهر هذا التساوي

---

[٢] سبق تخريجه في ص ٧٨.

[٣] الغزالي، **إحياء علوم الدين**، ج١، ص ١٦١.

[٤] الغزالي، **إحياء علوم الدين**، ج١، ص ٢١٥.

[١] الغزالي، **إحياء علوم الدين**، ج١، ص ٢٣٠.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

والعدل، نرى التشريع الإسلامي يساوي بين دم الحر ودم العبد، في قوله تعالى: " وكَتَبْنَا عَلَيْهِمْ فِيهَا أَنَّ النَّفْسَ بِالنَّفْسِ "[٢].

ومظهر أخلاقي آخر اراه سائداً في النصوص التشريعية هو حفظ حق الفقير، والضعيف، واليتيم، لما في قوله تعالى: " وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ "[٣] وقوله تعالى: " إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَى ظُلْمًا "[٤].

وفي النهي عن الربا حفظ لمال الفقير وكرامته، وتنأى به عن أن تستغل حاجته لإشباع نهم الأغنياء " الَّذِينَ يَأْكُلُونَ الرِّبَا لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ الَّذِي يَتَخَبَّطُهُ الشَّيْطَانُ مِنَ الْمَسِّ "[٥].

وبهذه الروح المضمخة بالعدالة، والرحمة بالفقير، واستقذار للاستغلال ما فيه يأتي النص القرآني ليعلن الحرب على آكل الربا.

يقول محمد قطب: " لا يوجد في الإسلام عمل واحد يمكن أن يخرج من أثرة الأخلاق فالصلاة لها أخلاق هي الخشوع، والكلام له أخلاق وهو الإعراض عن اللغو والجنس له أخلاق هي الالتزام بحدود الله وحرماته والتعامل مع الآخرين له أخلاق هي الوفاء بالأمانة ورعاية العهد ... إن الأخلاق في المفهوم القرآني هي لله وليست لبشر "[٦].

وتظهر تلك المراعاة الدقيقة لما يسمى بالفروق الفردية، بين الناس والتي تستدعي إدراكاً عميقاً لقدراتهم ثم ترتيباً متناسباً للواجبات بناء على تلك القدرات، ثم تقسيماً عادلاً للحقوق، وإننا واجدون ذلك في كل تشريعات القرآن الكريم، فالرجل كفرد، له قدرات تختلف عن قدرات المرأة، وإذا كانت هذه حقيقة لا شك فيها ترجع إلى اختلاف في التكوين البيولوجي والفسيولوجي كما يقدر ذلك أهل الاختصاص في هذا المجال[١].فإن من الطبيعي أن تختلف الواجبات بناء على اختلاف القدرات فيكلف الرجل بالنفقة وتكلف المرأة بالرضاع، والعناية بالطفل، ثم يصبح من الطبيعي بناء على الاختلاف في الواجبات أن يزاد في حصة الرجل في الميراث، لا لأفضلية للجنس بل لإعانته على مهمته في الانفاق، ومن هذه الأمثلة غير الحصرية – ننفذ إلى القول بأن الأخلاق تحتل في الجانب التشريعي مكان الميزان الذي يوزن به هذا الحكم، بحيث لا يرى العقل الصحيح والوجدان اليقض أثراً للعيب الأخلاقي في أحكامه التشريعية، فيكون الفرد

---

[٢] المائدة، ٤٥.
[٣] الأنعام، ١٥٢.
[٤] النساء،٩.
[٥] البقرة، ٢٧٥.
[٦] محمد قطب، **دراسات قرآنية**، دار الشروق، ط٤، ١٩٨٣، ص ١٣٧.
[١] انظر، عبد المنعم سيد حسن، **طبيعة المرأة في الكتاب والسنة**، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ط١، ١٩٨٥، ص ١٢ – ٢٤، وانظر: سهير كامل أحمد، **دراسات في سيكلوجيا المرأة**، مركز الاسكندرية للكتاب، مصر، ص ١٩٩٨، ص ١٢٩، ١٥.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

المتلقي منسجماً تمام الانسجام مع ذاته بين الأوامر الأخلاقية الصريحة والحضور الأخلاقي في الجانب التشريعي مما يعمق لدى الفرد الشعور بالخلق بحق واقعية الالتزام به.

وبالرجوع إلى العهد القديم فإن الفرد – وقد تلقى أوامر أخلاقية صارمة وإلزامية – يقف حائراً أمام ما يلمسه من تناف| واضح بين هذه الأخلاق الصارمة والجانب التشريعي من العهد القديم في مواضع ليست بالقليلة.

فالفرد مثلاً يتلقى أمراً صريحاً لتحريم الجور والظلم فيقول العهد القديم:

" لا تحرف حق فقيرك في دعواه "[٢] أي لا تظلم الفقير – ولكنه يبحث عن المنطق العدلي فلا يجده في هذا التفاوت بين الناس في القصاص، فالسيد إن قتل عبده لا يقتل يقول العهد القديم: " إذا ضرب إنسان عبده أو أمته بالعصا فمات تحت يده ينتقم منه لكن إن يغني يوماً أو يومين لا ينتقم منه لأنه ماله"[٣] وهنا يختلف الحكم على القاتل بين التشريعين القرآني والتوراتي فكما رأينا بالتوراة أنه إذا قتل سيد عبده لا يقتل.

كما يحار الفرد وهو يتلقى أمراً قاطعاً بألا يزني، ولا يغضب، ثم يرى كيف تكره فتاة عذراء اغتصبها رجل بغير إرادتها على أن تتزوج غاصبها ثم لا تستطيع الفكاك منه طوال حياتها " وإذا اغتصب رجل فتاة عذراء فإنه يتزوجها ويدفع مهرها ولا يستطيع أن يطلقها طول حياته "[٤].

لماذا لا توقع العقوبة بحق الغاصب؟ ولماذا تحمل فتاة شريفة على الحياة مع مغتصب أثيم؟ وكيف يمكن للفرد أن يشق طريقه بين الأخلاق الفاضلة التي تأمره بالإحسان إلى المسيء، أن يرد حمار عدوه الشارد إليه، يأمر الفرد إلا يضايق الغريب بقوله: " إذا صادفت ثور عدوك أو حماره شارداً ترده إله، إذا رأيت حمار فبغضك واقعاً تحت حمله وعدلت عن حله فلا بد أن تحل معه لا تحرق حق فغيرك في دعواه، البقر عن كلام الكذب ولا تقتل البريء والبار لأنني لا أبرر المذنب، ولا تأخذ رشوة لأن الرشوة تعمي المبصرين وتعوّج كلام الأبرار ولا تضايق الغريب فإنكم عارفون نفس الغريب "[١].كيف يقطف الفرد ثمار هذه التوجيهات وهو يرى في التشريع الملزم له وما يناقض هذه الروح الإنسانية وهو يرى الرب يأمر ويشرع على لسان أنبيائه القتل ليس للمسيء فقط بل لأهله وأولاده.

يقول العهد القديم " فأخذ يشوع عخان بن زارح والفضة والرداء ولسان الذهب وبنيه وبناته وبقره وحميره وغنمه وخيمته وكل ماله وجميع إسرائيل معه وصعدوا بهم إلى وادي حخور

---

[٢] **خروج**، ٢٣: (٤ - ٩).
[٣] **خروج**، ٢١: ١٨.
[٤] **تثنية**، ٢٢ : (٢٨ - ٢٩)
[١] **خروج**، ٢٣ : (٤ - ٩).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

فقال يشوع كيف كدرتنا يكدرك الرب في هذا اليوم فرجمه جميع إسرائيل بالحجارة وأحرقوهم بالنار ورموهم بالحجارة "[٢] فبسبب سرقة هذا الرجل عوقب أبناءه وبناته. ثم لا نجد مفسرو الكتاب المقدس يعيبون ذلك على يشوع في تصنيفهم لنقاط ضعفه ولكنهم يستدركون عليه أنه لم يستطع استكمال العمل في امتلاك كل الأرض[٣]. يقول الأستاذ عبد المجيد همو " إن الشرائع تستقي أحكامها عادة من أخلاق الناس وأنماط حياتهم والواقع أن التوراة التي استقى التلمود منها مادته الأصلية تنطوي على تفصيلات مدهشة لما قارفه الآباء والأنبياء والملوك من منكرات ورذائل نسبها كتبة التوراة إليهم "[٤].

الزاوية الثانية: مدى تعميق الحكم الشرعي للخلق الفردي: وأعني هنا أن الحكم قد يكون سليماً من العيب بذاته أي أنه لا ينطوي على مخالفة صريحة لمكارم الأخلاق ولا يأمر الفرد بعمل غير أخلاقي ولكن، هل الأخلاق هامشية إلى درجة يقال معها يكفي الحكم الشرعي أخلاقية أن لا ينطوي على عيب أخلاقي؟ ألا نريد للفرد أن يلمس البعد الأخلاقي في الحكم الشرعي بما يعزز فيه الدافعية إلى الخلق؟ وإذا كان الجواب على السؤال الأول لا، وعلى السؤال الثاني بلى. فإنه يمكننا بوضوح أن نرى مباشرة الحضور الأخلاقي في كل مفردة تشريعية قرآنية فمثلاً في آية القصص: " يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِصَاصُ فِي الْقَتْلَى الْحُرُّ بِالْحُرِّ وَالْعَبْدُ بِالْعَبْدِ وَالْأُنْثَى بِالْأُنْثَى فَمَنْ عُفِيَ لَهُ مِنْ أَخِيهِ شَيْءٌ فَاتِّبَاعٌ بِالْمَعْرُوفِ وَأَدَاءٌ إِلَيْهِ بِإِحْسَانٍ ذَلِكَ تَخْفِيفٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَرَحْمَةٌ فَمَنِ اعْتَدَى بَعْدَ ذَلِكَ فَلَهُ عَذَابٌ أَلِيمٌ ۞ وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ"[١]. يقول سيد قطب: " ومن ثم تدرك سعة آفاق الإسلام؛ ويعده بحوافز النفس البشرية عند التشريع لها، ومعرفته بما فطرت عليه من النوازع.... إن الغضب للدم فطرة وطبيعة فالإسلام يلبيها بتقرير شريعة القصاص. فالعدل الجازم هو الذي يكسر شره النفوس، ولكن الإسلام في الوقت ذاته يحبب في العفو ويفتح له الطريق، ويرسم له الحدود، فتكون الدعوة إليه بعد تقرير القصاص دعوة إلى التسامي في حدود التطوع، لا فرضاً يكبت فطرة الإنسان ويحملها ما لا تطيق "[٢]. وكذلك في آية النساء " وَآتُوا النِّسَاءَ صَدُقَاتِهِنَّ نِحْلَةً فَإِنْ طِبْنَ لَكُمْ عَنْ

---

[٢] **يشوع**، ٧ : (٢٤ - ٢٥).
[٣] **تفسير الكتاب المقدس**، ص ٤٢٥.
[٤] عبد المجيد همو، **مفاهيم تلمودية نظرة اليهود إلى العالم**، مراجعه إسماعيل الكردي، الأوائل للنشر، ط١، ٢٠٠٣م، ص ١٨٦.
[١] البقرة، ١٨٧ – ١٨٨.
[٢] سيد قطب، **في ظلال القرآن**، ص ٢٣٣، ج١.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

شَيءٍ مِنهُ نَفساً فَكُلُوهُ هَنِيئًا مَرِيئًا "[٣]. فيقول سيد قطب " العلاقات بين الزوجين ينبغي أن تقوم على الرضى الكامل، والاختيار المطلق، والسماحة النابعة من القلب، والود الذي لا ينفى معه حرج من هنا أو من هناك "[٤].

ففي هذين الحكمين نجد الحكم الشرعي قاطعاً في إثبات الحق لصاحبه ثم منبهاً لشعوره الأخلاقي بصفته مسلماً متشبعاً بالمنظومة الأخلاقية القرآنية حيث تحبب إليه العفو فيكون هذا الخلق الذي يبديه المسلم جزءاً من النية التشريعية في هذا الباب، حيث يحضه الله على العفو حقناً للدماء[٥].

بل أننا نرى الفرد مطالباً أن يتناول ويباشر الأمر الشرعي، بما يثبت له من حقوق بعيداً عن منطلق المقاصصة، بل عليه أن يثير بروح عالية وذاكرة نبيلة تعيده إلى ما كان بينه وبين خصمه من علاقة ودودة وفضل وألفة، فيقول تعالى بعد أن أثبت الحقوق لأصحابها: " وَلَا تَتَمَنَّوا مَا فَضَّلَ اللَّهُ بِهِ بَعْضَكُمْ"[٦] فنرى كيف يكسى موقف الشقاق رداء الأخلاق فنتذكر في الشقاق ما يرطب القلب ويخفف البغضاء.

والخلاصة هنا: أن التشريع القرآني يشتمل على معانٍ أخلاقية عظيمة ثم ينبه إلى هذه المعاني الأخلاقية يتمثلها الفرد عند تنفيذ الحكم الشرعي وينبه إلى هذا المعنى الأخلاقي بما يمكننا معه القول باطمئنان أن التشريع القرآني تشريع أخلاقي.

وفي العهد القديم نرى بعض الأحكام التي لا عيب فيها من الناحية الأخلاقية بل هي أحكام عدلية صحيحة في ذاتها، ولكنها لا تقدم ذاتها في سياق أخلاقي ولا تفسح لأخلاق الفرد – الذي لا تثق به – مكاناً للتفاعل والانتقال من العدل إلى الإحسان، بل أنها تأتي قاطعة ملزمة لصاحب الحق ولمن عليه الحق ففي حد القصاص ينبه الدكتور حسن الباش إلى هذا الفارق بين تشريع القصص في القرآن الكريم – الذي أوضحته سابقاً – وبين القصاص في العهد القديم حيث لا

---

[٣] النساء، ٤.
[٤] **في ظلال القرآن**، ج٢، ص ٢٥٣.
[٥] حسن الباش، **القرآن والتوراة**، ص ٤٠٣.
[٦] الطلاق، ٣٢.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

مجال للفرد بأن يتمثل بخلق العفو فيسامح بحقه ويعفوا عن المسيء " وفي شريعة التوراة يوجب القصص والحد فلا دية في التشريع اليهودي "[١].

وكذلك لا نحد النص التشريعي محتفياً بإبراز القيمة الأخلاقية والهدف الأخلاقي للحكم التشريعي كما رأينا في النصوص التشريعية ولا أنكر هنا أن العقل الصحيح يستطيع أن يستجلي الجانب الخلقي في حكم شرعي مثل رجم الزاني "[٢] فإن كانت العذراء مخطوبة وزنى بها غير خطيبها في المدينة فإنها ترجم بالحجارة حتى تموت ويرجم الزاني أيضاً " وقتل ساب الوالدين " من سب أباه أو أمه دمه عليه "[٣] إلا أن الأخلاق ليست أمراً هامشياً يقع على الأذكياء عبء استجلائه فيما يحرم منه من لم يوهب الفطانة وحسن الملاحظة.

يقول الاستاذ عبد الرزاق رحيم " ونظراً لتعلق اليهود وحبهم الشديد للمادة فقد اسبغوا على (يهوه) كل الصفات البشرية التي تحقق رغباتهم المادية، مبتعدين عما يسجل إلههم من صفات التكريم والإجلال والوجدانية المطلقة التي أدركوها متأخرين "[٤].

وبهذا يمكننا القول بشكل عام أن الجانب الأخلاقي غير حاضر حضوراً واضحاً بل ربما وقف على طرف النقيض من بعض الأحكام في الجانب التشريعي في العهد القديم.

المطلب الخامس: الاختلاف في الإلزام والمسؤولية والثواب والعقاب في الأخلاق الفردية:

لا شك أن الإلزام والمسؤولية لما قررنا سابقاً واضحة في كل من القرآن الكريم والعهد القديم إلا أنها قد تختلف في شمولها فمصادر الإلزام في الأخلاق الفردية متعددة فالإلزام باعتبار الجهة الآمرة هو خطاب ديني غير تسلطي يتكلم على الإنسان ككائن ملزم جدير بأن تحترم خصوصيته العقلية وتتمثل أيضاً بقوة الإلزام في الخطاب العقدي التشريعي، يقول تعالى: " إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ يُغْشِي اللَّيْلَ النَّهَارَ

---

[١] حسن الباش، **القرآن والتوراة**، ص ٣٠٣.
[٢] **لاويين**، ٩ : ٢٠.
[٣] **خروج**، ٢١: (١٥ : ١٧).
[٤] عبدالرزاق رحيم الموجي، **العبادات في الأديان السماوية**، الأوائل، ط١، ٢٠٠١ م، ص ٦٨.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

يَطْلُبُهُ حَثِيثًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومَ مُسَخَّرَاتٍ بِأَمْرِهِ أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ "[١] وهي قوة لا تنفي دور الفرد بإعمال عقله في استقبال هذا الخطاب بل وأن يعمل عقله في تنفيذ الالتزام بهذا الخلق يقول تعالى: " وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّى يَبْلُغَ أَشُدَّهُ وَأَوْفُوا الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ لَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدِلُوا وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَى وَبِعَهْدِ اللَّهِ أَوْفُوا ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ "[٢].

وأما معيار الحسن والقبح فهي في الخطاب الأخلاقي القرآني معيار هام في تقسيم الأخلاق إلى حسنة، مقبولة، وسيئة مرفوضة، منهي عنها، إلاّ أننا نلاحظ غياب هاتين الخاصيتين في العهد القديم، صحيح أن العهد القديم فيه إلزام أخلاقي باعتبار الجهة الآمرة، وقد أقررنا أنها قوة ملزمة جادة في إلزامها للفرد، إلاّ أنها في إلزامها لا تراعي خصوصية الفرد ومواهبه الذاتية ولا تدعوه أو تحمله على التفاعل معها بل على تنفيذها فقط.

وبالنسبة لمعيار الحسن والقبح ففيما عدا ما تلمسناه من نصوص قليلة جداً تشير إلى ما يتضمنه خلق ما من حسن أو قبح ذاتيين، فإننا غير واجدين هذا المعيار يشكل أساساً إلزامياً واضحاً يمكن للفرد أن يتشكل سلوكه من خلاله.

وبالمقارنة أيضاً بين الزامية الأخلاق في القرآن الكريم والعهد القديم نجد أن القرآن الكريم قد أعطى ضمير الفرد، المتلقي قوة الإلزام بما انغرس في فطرته من ذوقيات، ترشده إلى ما هو حسن وما هو قبيح.

حتى لقد قبل القرآن الكريم حكم ضمير الفرد الأخلاقي في اختياره العقدي إذا تجرد لله وطلب الحقيقة وتفكر بمعزل عن مقرراته الذهنية السابقة، وامتثاله الاجتماعي بالتقليد الأعمى، يقول تعالى: " قُلْ إِنَّمَا أَعِظُكُمْ بِوَاحِدَةٍ أَنْ تَقُومُوا لِلَّهِ مَثْنَى وَفُرَادَى " فالفرد صاحب الخلق إذا حكم خلق

---

[١] الأعراف، ٥٤.
[٢] الأنعام، ١٥٢.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

المتفكر الناشد للحقيقة سيصدر حكماً صحيحاً وهي مشقة كبيرة وغالية عن قدرها حق قدرها تنبئ عن ثقة الخالق بمخلوقه الإنسان وملكاته وأخلاقياته، بمعزل عن المؤثرات غير الأخلاقية وغير العلمية.

في حين لا ترى أثراً لهذه الثقة ولا لهذا الإنعاش لضمير الفرد ليأخذ دوره الفاعل في إلزام الفرد بمهامه الأخلاقية، ربما نرى خطاباً موجهاً بصيغة الفرد يأمره أو ينهاه بفضيلة خلقية، ولكننا لا نستطيع القول أن للأخلاق مصدر إلزامي باعتبار ضمير الفرد لا سيما مع ماقدرناه بالرجوع إلى نصوص التوراة من أن نصوص العهد القديم لا تثق بعقل المتلقي فرداً ومجتمعاً[١].

وقد رأينا تمثل القوة الإلزامية باعتبار المجتمع في مجال السلطة المنفذة للأحكام في القرآن الكريم وكذلك باعتبار المجتمع كمحضن وبيئة للتربية بما يشكل سبقاً قرآنياً في إقرار أهمية المجتمع والبيئة المحيطة قبل نشوء النظريات التربوية والتي نادى أقطابها بأن الإنسان ابن بيئة وأن البيئة المحيطة تشكل الفرد وأن التعليم ممكن للجميع بتوفر البيئة التعليمية المناسبة التي يوفرها المجتمع بشكل عام لكي تنقل قيام المجتمع إلى الفرد[٢].

ومن خلال النماذج التطبيقية التي عرضناها نبين دور المجتمع وقائياً وعلاجياً وإذا كان دور السلطة في المجتمع أشد ردعاً فإن دور المجتمع العام أعمق تربية وأدوم أثراً.

وفي العهد القديم نرى المجتمع يمارس الدور الرقابي ولكن من خلال السلطة التنفيذية فقط ضمن أحكام محددة توقع على من اقترف ذنباً أخلاقياً كالاعتداء على النفس وعقوق الوالدين وممارسة السحر.

---

(1) **علم النفس التربوي رؤية معاصرة**، عبد الرحمن عدس، دار المناهج عمان.
(2) البرتوا دانزو، **اليهودية والعبرية**، ص ٦٥.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ففي السحر " والنفس التي تلتفت إلى الجان وإلى التوابع تزني، واءهم اجعل وجهي متدنلك النفس أقطعها من سبغها "[١].

وفي عقوق الوالدين " إذا كان الابن عق يأتي به إلى شيوخ المدينة فيرجمونه حتى يموت "[٢].

وفي عقوبة القذف " يأتي بالقاذف إلى شيوخ المدينة فيؤدبونه ويغرمونه ويعطونه الفتاة فتكون زوجة ولا يقدر أن يطلقها "[٣].

في حين يغيب دور المجتمع كمحض تربوي وعامل وقائي وقد أرجعنا ذلك إلى عدم ثقة النصوص بالمجتمع والذي هو متألف من أفراد شريرون وتصورات قلوبهم شريرة " متى أغفر لهذه الجماعة الشريرة المتذمرة علي "[٤].

وفي نطاق المسؤولية فإن القرآن الكريم جعل ا لفرد مسؤولاً أمام الله اولاً وذلك من خلال خطاباً يضع الفرد أمام مسؤوليته بشكل واضح وهو يريده أن يتحملها أخلاقياً بما انه في معرض المنظومة الأخلاقية ولذلك فهو يذكره بمسؤوليته أمام الله بعد أن عرض له من الحقائق العقلية ما يؤكد يقينه بأن الله جدير بهذه المسألة، وكذلك فالفرد مسؤول أمام نفسه ومجتمعه.

أمام نفسه فلأنه ذو ضمير حي ولديه العقل والوجدان ما يكفيه لأن يتحمل مسؤوليته أمام نفسه ولذلك رأينا القرآن ينبه الوجدان الفردي إلى خطورة الفعل الأخلاقي أو ضرورته بما يؤكد وجود مسؤولية للفرد أمام ضميره " بَلِ الْإِنْسَانُ عَلَى نَفْسِهِ بَصِيرَةٌ ۞ وَلَوْ أَلْقَى مَعَاذِيرَهُ "[١].

وأما المجتمع فإنه يشكل ضغط يحسب له الفرد كل حساب فهو لا يريد أن يكون نقطة سوداء في الثوب الأبيض والمجتمع لن يسمح له أن يكون عنصراً مشوهاً لصورته وخصائصه وبنيته الأخلاقية.

---

(١) **لاويين**، ٢٠ : ٦.
(٢) **تثنية**، ٢١ : (١٨ - ٢١).
(٣) **تثنية**، ٢٢ : ١٣ : ١٩.
(٤) **عدد**، ١٤: ٢٧ : ٢٨.
(١) القيامة، ١٤ – ١٥.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

أما في العهد القديم فقد رأينا المساحة ضيقة بين الإلزام والجزاء بحيث لا تظهر المسؤولية كحلقة في منظومة أخلاقية متتابعة كما رأينا غياب مسؤولية الفرد أمام ضميره الفردي، حيث ليس هنالك خطاب وجداني بنية الفرد هذا الإحساس بالمسؤولية أمام ذاته، رأينا كذلك انحصار مسؤولية الفرد أمام مجتمعة في الخوف من العقوبة.

إلاّ أننا نلمح مسؤولية أخرى للفرد أمام مجتمعه إلا أنها هنا باعتبار المجتمع اليهودي ولا تتعداه إلى المجتمع الإنساني فالفرد مسؤول أمام مجتمعه في إساءته لمجتمع اليهود وليس مسؤولاً عن إساءته خارج هذا المجتمع وهو جانب عنصري في المسؤولية يجعلها بحد ذاتها أمراً غير أخلاقي.

والواقع أن طغيان هذا النوع من المسؤولية على عقلية الفرد المتبع للعهد القديم جعلت كثيراً من الباحثين الغربيين لا يتصورون خلو المنظومات الأخلاقية الدينية الأخرى من هذا البعد العنصري للمسؤولية كما نرى عند صاحب المذاهب الأخلاقية الكبرى حيث ادعى أن المسؤولية الأخلاقية في الإسلام محصورة تجاه مجتمع المؤمنين[٢].

وهو هنا بغض النظر عن القيم الإنسانية العامة في القرآن الكريم والتي تحمل الفرد المسلم مسؤولية تجاه الإنسانية جمعاء وتجعل السعي كحيز هذه الإنسانية وهدايتها واجباً على المسلمين وتمنع الفرد المسلم من ممارسة أي عمل غير أخلاقي من غير المسلمين بحيث لن نرى عالماً واحداً استنبط من القرآن الكريم حرمة السرقة وشهادة الزور والزنا في حق المسلم وإباحتها في حق غير المسلم.

والأمر يتكرر كذلك في الجزاء، فحين نرى الجزاء في القرآن الكريم يحمل شقين الثواب والعقاب ومرحلتين زمانيتين الدنيا والآخرة فإننا لا نلمس هذه السعة في الجزاء في العهد القديم خالية من

---

[٢] **المذاهب الأخلاقية**، حسن الإسلام، ص ٧٤.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الضبابية وعدم المباشرة فالعقاب يبرز في الجانب الجزائي بصورة أكبر من الثواب ولا نرى التوازن الذي يقيمه القرآن الكريم.

وأما الجزاء الأخروي فتلفه ضبابية الاعتقاد باليوم الآخر في العهد القديم ويتسم بما تتسم به هذه العقيدة من تردد بين الإثبات والنفي بحيث يصعب القطع بأن الإيمان باليوم الآخر جزء من عقيدة العهد القديم.

ويوضح فرويد ذلك بقوله :" من المدهش أن الديانة اليهودية لم تتحدث عن أي شيء بعد القبر ... إلا بعد الأسر البابلي ... حيث تحول الشيول إلى عالم خالد فمن أظهر هذه الفكرة هو النبي دانيال "[١].

وثمرة هذا النظر هي ان الجزأء يشكل بدوره جزءا حقيقياً متكاملاً واضح المعالم من منظومة أخلاقية وبالنظر إلى طبيعة الإلزام والمسؤولية والجزاء فإننا لسنا إزاء هذه المنظومة المتكاملة أصلاً.

المطلب السادس: الاختلاف في الإجراءات الوقائية والعلاجية للحد من انتشار القيم الأخلاقية الفردية السلبية:

ننظر إلى الاختلاف في هذه الزواية من جهات ثلاث:

الجهة الأولى: الوقاية، بعرض الآفاق الأخلاقية وذكر ما يترتب عليها من مضار على مستوى الفرد ومجتمعه.

الجهة الثانية: الاحتياط بأمر الفرد بالخلق الفاضل ونهيه عن الاقتراب من دواعي الخلق الذميم.

الجهة الثالثة: مراعاة الجانب التشريعي للبعد الأخلاقي بحيث لا تقوم ظروف ملجئه للفرد إلى مقارفة الفعل الذميم.

---

[1] موفق محادين، **دورة الدين اليهودي**، ط١، دار الكنوز الأدبية، بيروت، ١٩٩٧، ص ١٨٢، بتصرف.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الجهة الأولى: الوقاية يعرض الآفاق الأخلاقية وذم ما يترتب عليها من مضار على مستوى الفرد ومجتمعه.

يشتمل العهد القديم والقرآن الكريم على أوامر ونواهي أخلاقية واضحة في كثير من المفردات الأخلاقية، وبما ان القرآن الكريم يهدف إلى منع انتشار الأخلاق الذميمة من مستواها الفردي إلى المستوى الاجتماعي، فقد وجه الخطاب إلى الفرد مباشرة شارحاً له ضرورة الالتزام بالخلق الفاضل، واجتناب الرذائل في كثير من المفردات الأخلاقية، التي يذكرها ولهذا دلالة بالغة عميقة الأثر في نفس المتلقي، فالذي يبين له هذا البيان هو الله العالم بخفايا الأمور ونتائجها وقد تلطف به فأعلمه ببعضها، مما يغذي في الفرد تلك الواقعية إلى التمسك بتلك الأوامر التي تأمره ولا تلغيه ننظر مثلاً في قوله تعالى: " وَكَيْفَ تَأْخُذُونَهُ وَقَدْ أَفْضَى بَعْضُكُمْ إِلَى بَعْضٍ وَأَخَذْنَ مِنْكُمْ مِيثَاقًا غَلِيظًا "[1] يقول سيد قطب " كل هذا الحشد من التصورات والظلال والأنداء ... يرسمه ذلك التعبير الموحي العجيب " وقد أفضى بعضكم إلى بعض " فيتضاءل إلى جواره ذلك المعنى المادي الصغير، ويخجل الرجل أن يطلب بعض ما دفع وهو يستعرض في خياله وفي وجدانه ذلك الحس من صور الماضي "[1].

إنه تحريم لهضم حق المرأة المطلقة ولكنه بصيغة تحرك العقل وتثير في الرجل مكامن رجولته التي تأبى عليه استغلال ظروف الآخرين والاعتداء على الضعيف قبل أن تنبهه إلى أن هذا ليس من حقه وأنه بقوة التشريع ممنوع من فعل ذلك.

وننظر أيضاً في عرض مطلع سورة البقرة لأية النفاق " وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَقُولُ آمَنَّا بِاللَّهِ وَبِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَمَا هُمْ بِمُؤْمِنِينَ ۞ يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَمَا يَخْدَعُونَ إِلَّا أَنْفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ "[2].

---

[1] النساء، ٢١.

[1] سيد قطب، **الظلال**، ص ٢٨٨، ج ٢.

[2] البقرة، ٨ – ٩.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وهي وإن كانت تحذر المجتمع من هؤلاء الدخلاء فيه، إلا أنها تعرض قبح فعلهم، وسوء سريرتهم وما يعودون به على المجتمع من تهديد أمنه، وتفويض أركانه، ومما تنطوي عليه شخصية المنافق من تناقض ممجوج بين ظاهره وباطنه، ومن وقاحة تجعله يعتقد مخطئاً أنه قادر على خداع الله[٣]. ثم يعرض موقف القرآن منهم وأن الله يستهزئ بهم ويطلع على خفاياهم ويفضحهم كل هذه الصورة تحمل دلالة أخرى غير التحذير من المنافقين، وهي تحذير الفرد من النفاق كخلق لا يتماشى مع إنسانية الإنسان ومصداقيته وموضوعيته فالمطلع على هذا العرض المسهب في هذه الآيات الجامعة سيتخذ من موقعه كمسلم موقفاً مضاداً لهذا الخلق المنبوذ.

أما العهد القديم فكما رأيناه فإنه يكتفي بالأمر والنهي المباشرين ولا ينفذ ومثل هذا العرض بما فيه من ضمان وحصانة لوقاية الفرد المسلم من الوقوع في مثل هذه الآفات.

أما الجهة الثانية: الاحتياط بأمر الفرد بالخلق الفاضل ونهيه عن الاقتراب من دواعي الخلق الذميم.

الاحتياط مبدأ قرآني عام، وهو كذلك مبدأ علمي رصين، حيث لا يكتفي هنا بالنهي عن ذات الفعل القبيح أو الأمر بذات الخلق الحسن، بل يأتي التوجيه متضمناً الإرشاد حول الدواعي والطرق المؤدية إلى هذا السلوك الأخلاقي وفي القرآن الكريم نرى هذا الاحتياط في أجلى صوره ننظر مثلاً في قوله تعالى: " وَلَا تَقْرَبُوا الزِّنَا إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَسَاءَ سَبِيلًا "[١] .

يقول الأستاذ سعيد حوى " هذا النهي عن مقاربة الزنا ومخالطة أسبابه ودواعيه كالمس والقبلة والخلطة فضلاً عن الزنا نفسه "[٢] فالنهي لم يقف عند حد الفعل وإنما حرم دواعيه وسد الطرق المؤدية إليه لأن من ولج الطريق وسار فيها أوشك أن يصل نهايتها وننظر كذلك في قوله

---

[٣] عبد الله بن أحمد بن محمود التسفي، **تفسير التسفي**، ج١، **أبناء مولوى**، محمد بن علام، ص ١٩.

[1] الإسراء، ٣٢.

[2] سعيد حوى، **الأساس في التفسير**، دار الإسلام للطباعة والنشر، ط١، ٥ – ١٤، ١٩٨٥، ج٦، ص ٣٠٦٢.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

تعالى: " وَقَضَى رَبُّكَ أَلَا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِنْدَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُلْ لَهُمَا أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُلْ لَهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا "[٣].

إن هذا يدل على النهي عن القرب أيضاً وعلى أن التأفيف أعم بل أن المقصود من منع التأفيف هو الاكرام وعدم الإهانة[٤] .

فإن اختياره لكلمة أف والتي هي تعبير رمزي عن التضجر، والضيق بالأبوين ينبئ بالنهي عما بعدها من أشكال العقوق، الكبيرة كالشتم والضرب أو إهمال الإنفاق عليهما أو زجهما في بيوت العجزة والمسنين.

وبالنظر في العهد القديم لا نرى أثراً لهذه الاحتياطات فهناك جملة من الأوامر والنواهي المحدودة والمنصبة على الخلق، ذاته تقدر عقوبته مباشرة ولا نجد عرضاً يتناول هذا الخلق أو ذاك بسد الطرق المؤدية إليه وكبح دواعيه.

ثالثاً: مراعاة الجانب التشريعي للبعد الأخلاقي بحيث لا تقوم ظروف ملجئه للفرد إلى مقارفة الفعل الذميم.

التشريع القرآني واضح كما أسلفنا في تشريعاته القرآنية فهو بتشريعه المتضمن كل ما بعد الفرد في دنياه وآخرته هيأ الظروف المناسبة ليقبل الفرد على التمثل بهذه الأخلاق في بيئة تشريعية تذرأ المفاسد الاقتصادية والاجتماعية والأخلاقية التي من شأنها أن تثري الفرد أو تلجئه إلى مجانبة الخلق الحسن أو مقارفة الرذيلة ننظر مثلاً في قوله تعالى: " خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا وَصَلِّ عَلَيْهِمْ إِنَّ صَلَاتَكَ سَكَنٌ لَهُمْ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ "[١].

---

[3] الإسراء، ٢٣.

[4] ابن قيم الجوزية، **بدائع التفسير الجامع لتفسير الأحكام**، جمعه ووثقه يسري السيد محمد، دار ابن الجوزي، ط١، ١٤١٤ هـ، ١٩٩٣م، ج٣، ص ٧٧.

[١] التوبة، ١٠٣.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

فالزكاة إذاً تشريع اقتصادي واجتماعي ينمي خلق العطاء في الفرد والتضحية بالمال ويحقق للفقير الأمان الاقتصادي[٢] وشعور الفرد بالانتماء إلى جماعته التي تهتم بأموره ولا تنساه وبهذا يكون القرآن قد أوجد البيئة المناسبة للفرد لتصونه عن مقارفة خلق السرقة، والعدوان، والغضب، فلا يأتي لنهي عن الأخلاق الذميمة نهياً نظرياً لا يراعي ظروف الفرد وحاجته، بل هو نهي مسبوق بالبيئة التي تجعل الانحراف إلى هذا الخلق الذميم سلوكاً إجرامياً يقول محمد قطب: " يقر الإسلام عقوبات لاذعة قد تبدو قاسية خاصة على من يأخذها أخذاً سطحياً بلا تمعن ولا تفكير ولكنه لا يطبقها أبداً حتى يضمن أولاً أن الفرد الذي ارتكب الجريمة قد ارتكبها دون مبرر ولا شبهة اضطرار فهو يقدر قطع يد السارق ولكنه لا يقطعها أبداً وهناك شبهة بأن السرقة نشأت عن جوع "[٣].

ومثل هذا يقال في تشريع الميراث والصدقات وأحكام الأحوال الشخصية والمعاملات والتي تنعكس على الفرد أماناً واطمئناناً في مجتمع تسوده أحكام قطعية ولكي يصونه سياج أخلاقي متين.ولأن البنية التشريعية في العهد القديم هي بذاتها متآكلة بسبب تقطع أوصال هذا الكتاب عبر قرون طويلة والخلاف حول أسفاره إثباتاً ونفياً وحذفاً فقد توارى الارتباط بين هذه البنية التشريعية وبين الأخلاق، من زاوية دور مثل هذه التشريعات في إيجاد البيئة التي تساعد الفرد على تمثل الخلق القويم بما تحققه من عدالة وأمن اجتماعي واقتصادي وسياسي وغير ذلك.فنرى الأحكام الشرعية في صيغة قوالب جامدة لا تتكامل تحقق هدفاً أخلاقياً تشكل بيئة مناسبة لنمو الأخلاق، فضلاً عن ما رأيته من أن بعض هذه الأحكام لا يسلم بذاته من العيب الأخلاقي.

---

[٢] يوسف القرضاوي، **فقه الزكاة**، مؤسسة الرسالة، بيروت.

[٣] محمد قطب، **شبهات حول الإسلام**، دار الشروق، ط١١، ١٩٨٧م، ص ١٥٣.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الخاتمـــــة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد سيد المرسلين وعلى آله وأصـــــحابه والتـــــابعين بإحســـــان إلـــــى يـــــوم الـــــدين، وأمـــــا بعـــــد : فإنني وبعد الانتهاء من دراسة القيم الأخلاقية الفردية بين العهد القديم والقرآن الكريم والذي درسته من ثلاثة فصول:

الفصل الأول وعنوانه: الأخلاق الفردية في العهد القديم، وتحدثت فيه عن الإلزام والمسؤولية، والصور والمظاهر، والثواب والعقاب في الأخلاق الفردية في العهد القديم.

والفصل الثاني وعنوانه: الأخلاق الفردية في القرآن الكريم، والذي تحدثت فيه عن الإلزام والمسؤولية، والصور والمظاهر، والثواب والعقاب في الأخلاق الفردية في القرآن الكريم.

الفصل الثالث وعنوانه: مواطن الاتفاق والاختلاف بين العهد القديم والقرآن الكريم، وبحثت فيه نقاط الاتفاق، ونقاط الاختلاف في الأخلاق الفردية.

وقد توصلت إلى مجموعة من النتائج، وهي كما يلي:

٦- أن الأخلاق مصطلح متعارف عليه بين جميع الديانات السماوية والوضعية، ولا يخفى على أحد أهمية هذه الأخلاق في مسيرة الحياة البشرية.

٧- أن الإلزام والمسؤولية في الأخلاق الفردية هي أكثر وضوحاً وشمولاً في القرآن الكريم، مما هو في العهد القديم، بل إنه قد يكاد يكون معدوماً الإشارة إلى المسؤولية الأخلاقية في العهد القديم.

٨- القرآن الكريم زاخر بالصور والمظاهر الأخلاقية الحسنة، ولا نجد أي دعوة إلى مقارفة الأخلاق السيئة، وكذلك العهد القديم إلاّ أننا نلاحظ اضطراباً في موضوع الدعوى إلى الأخلاق السيئة.

٩- الجزاء والعقاب في القرآن الكريم واضح ومباشر لكل خلق، ونلاحظ قوة الإشارة إلى العقاب والجزاء الأخروي وهذا ما لا نجده في العهد القديم.

١٠- تناقض نصوص العهد القديم بعضها مع بعض، فتارة تدعو إلى مكارم الأخلاق، وتارة نرى تناقض ذلك وهذا يدل على أن يد التحريف قد نالت العهد القديم بينما لا نجد ذلك في القرآن الكريم لأن الله تكفل بحفظه.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

التوصيات

١- أوصي بدراسة الأخلاق الفردية لكل سفر على حدة، مقارنة مع القرآن الكريم.

٢- أوصي بدراسة الأخلاق من غير تقسيم لأنها في النهاية تصب في إناء واحد وهو المجتمع.

٣- إظهار صورة الإسلام – بأخلاقه – مشرقة أمام العالم والرد على من يدعي أنه دين الإرهاب.

٤- دراسة الأخلاق بين العهد القديم والحديث النبوي الشريف.

وأخيراً هذا نتاج ما بذلت من مجهود، أرجو من الله القدير القبول والاحتساب، فإن أحسنت فبفضل الله وإن أخطأت فمن نفسي والله ولي التوفيق.

والحمد لله رب العالمين

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

المصادر والمراجع

أولاً: المصادر:

١. القرآن الكريم

معاجم اللغة:

١. ابن منظور، لسان العرب، ط١، دار صادر، بيروت، ١٤١٠ هـ - ١٩٩٠م.

٢. إسماعيل حمّاد الجوهري، الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، مكتبة الآداب، ط١، ١٤١٨ هـ / ١٩٩٨م.

كتب التفسير:

١- إسماعيل بن كثير،ت (٤٧٤ هـ / ١٣٧٣م)، تفسير القرآن العظيم، دار إحياء القرآن العربي، بيروت، ١٣٩٨هـ - ١٩٦٩م، دط.

٢- عبد الحق بن عطية الأندلسي، ت (٥٤٢ هـ / ١١٤٧م) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، تحقيق عبد الله الأنصاري وزميله، الدوحة، قطر، ط١، ١٩٨٢.

٣- عبد الله محمد النسفي، ت (٧١٠ هـ / ١٣١٠م)، تسفير النسفي، أبناء مولوي محمد غلام.

٤- محمد الرازي، ت (٦٠٦ هـ / ١٢١٠م)، تفسير الفخر الرازي، التفسير الكبير ومفاتيح الغيب،دار الفكر، ط١، ١٤٠١هـ، ١٩٨١م.

٥- محمد القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، ١٩٨٥م، دط.

٦- القشيري، لطائف الإشارات، قدم له الدكتور إبراهيم بسيوني، مركز تحقيق التراث، ط٢، ١٩٨١م.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

٧- ابن القيم الجوزية، بدائع التفسير الجامع لتفسير الأحكام، جمعه ووثقه يسري محمد السيد محمد، دار ابن الجوزي، ط ١٩٩٣م.

كتب الحديث الشريف وشروحاته:

١- ابن حجر العسقلاني، فتح الباري بشرح صحيح البخاري، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، المكتبة السلفية.

٢- مالك بن أنس، الموطأ، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، دط.

٣- محمد بن إسماعيل البخاري، صحيح البخاري، دار الجيل، ط١، ٢٠٠٥.

٤- محمد بن عيسى الترمذي، سنن الترمذي، (الجامع الصحيح)، تحقيق عبد الوهاب عبد اللطيف، دار الفكر، ط٢، ١٣٩٤هـ، ١٩٧٤م.

٥- يحيى بن شرف النووي، شرح النووي على مسلم بن الحجاج، صحيح مسلم، مؤسسة مناهل العرفان، مكتبة الغزالي.

كتب علوم القرآن:

١- محمد بن عبد الله الزركشي، البرهان في علوم القرآن، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم دار المعرفة، بيروت، ١٣٩١ هـ.

٢- جلال الدين بن كمال السيوطي، الإتقان في علوم القرآن، ط١، تحقيق محمود القيسية، مؤسسة النداء أبو ظبي، ٢٠٠٣م.

٣- محمد بن عبد العظيم الزرقاني، مناهل العرفان في علوم القرآن، ط١، مكتبة البحوث والدراسات، مصر، ١٩٩٦م.

كتب العقيدة والأديان:

١- أبو محمد علي بن أحمد سعيد بن حزم الظاهري، الفصل في الملل والأهواء والنِحَل، تحقيق عبد الرحمن عمره، ط١، دار الجيل، بيروت، ١٩٨٥م.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

٢- محمد الغزالي (أبو حامد)، إحياء علوم الدين، مكتبة ومطبعة الشهد الحسيني، القاهرة، ١٩٦١م.

٣- أبو عبد الله محمد بن القيم الجوزية، إغاثة اللهفان من مصائد الشيطان، تحقيق محمد سيد كيلاني، مطبعة المصطفى الباقي.

كتب التاريخ:

١- ابن خلكان، وفيات الأعيان، دار صادر، بيروت، ط١، ١٩٩٤م.

٢- علي القحطي، أنباء الرواة على أنباء النحاة، ط١، دار الفكر، بيروت.

ثانياً: المراجع:

كتب التفسير:

١- سعيد حوى، الأساس في التفسير، دار السلام للطباعة والنشر، ط١، ١٩٩٨م.

٢- سيد قطب، في ظلال القرآن، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، ط٧، ١٣٩١ هـ، ١٩٧١م.

٣- محمد مصطفى المراغي، تفسير المراغي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط٢، ١٩٨٥م.

كتب علوم القرآن:

١- إسماعيل الطحان، دراسات حول القرآن الكريم، ط٢، مكتبة الفلاح، بيروت، ١٩٨٨م.

٢- خالد عبد الرحمن العك، تاريخ توثيق نص القرآن، دار الفكر، بيروت، ط٢، ١٤٠٦ هـ، ١٩٨٦م.

٣- د.صبحي الصالح، مباحث في علوم القرآن،ط٦،دار العلم للملايين،بيروت،١٤٨٥.

المنارة للاستشارات

www.manaraa.com

٤- عدنان زرزور، مدخل إلى تفسير القرآن و علومه، ط١، دار القلم، بيروت١٤٩٥.

٥- محمد الزفاف، التعريف بالقرآن و الحديث، ط٤، مكتبة الفلاح، الكويت، ١٩٨٤

٦- محمد علي الصابوني، التبيان في علوم القرآن، دار الملايين، بيروت، ط٢، ١٩٨١م.

٧- مناع القطان، مباحث في علوم القرآن، ط٧، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٩٨٠م.

٨- محمد علي الحسن، المنار في علوم القرآن، مطبعة الشرق ومكتبتها، عمان، ط١٩٨٣.

٩- محمد عبد الله دراز، النبأ العظيم، مؤسسة الرسالة، ط ١٩٧٠.

كتب العقيدة و الأديان:

١- إبراهيم ناصر، التوراة بين الحقيقة و الأسطورة والخيال، دار الحوار للنشر، ط١، ٢٠٠٥م.

٢- ابن مسكوية، تهذيب الأخلاق في التربية، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٨١.

٣- احمد شلبي، مقارنة الأديان" اليهودية"، مكتبة النهضة المصرية، ١٩٦٦.

٤- احمد عبد العزيز الحليبي، المسؤولية الخلقية و الجزاء عليها، ط١، مكتبة الرشيد للنشر، ١٤١٧هـ-١٩٩٦م.

٥- أديب صعب، المقدمة في فلسفة الدين، دار أبها للنشر، ١٩٩٤.

٦- اسبنوزا ، رسالة في اللاهوت والسياسة، ترجمة حسن حنفي، ط١، ٢٠٠٥، دار التنوير للطباعة والنشر، بيروت.

٧- إسرائيل شاحاك، التاريخ اليهودي والديانة اليهودية، ترجمة علي سوداح، ط١، ١٩١٥، نيسان للنشر، بيروت.

المنارة للاستشارات

www.manaraa.com

٨- البيرتوا دانزوا، اليهودية الغيرية، ترجمة ماري شهرستان، الأوائل للنشر ط١، ٢٠٠٤م.

٩- إمام عبد الفتاح، أمام فلسفة الأخلاق، ط ١٩٩١م، دار الثقافة للنشر.

١٠- بطرس عبد الملك وآخرون، قاموس الكتاب المقدس، دار الثقافة، ط١.

١١- توفيق يوسف الواعي، الحضارة الإسلامية مقارنة بالحضارة الغربية، دار الوفاء للطباعة والنشر.

١٢- جاك سورن، الموت في التفكير الغربي، عالم المعرفة، الكويت.

١٣- جميل خرطبيل، نقد الدين اليهودي، الأوائل للنشر، ط١، ٢٠٠٢م.

١٤- جورج إن نيلز، مدخل إلى فلسفة التربية، ترجمة نظمي لوقا، القاهرة، مكتبة الأنجلو المصرية، ١٩٧١م.

١٥- جورج شهلاء وآخرون، الوعي التربوي ومستقبل البلاد العربية، بيروت، ١٩٧٢م.

١٦- جورج منبوا، تاريخ مهم، انطوان إلهاستر، نشورات عويدات، لبنان.

١٧- جورج كنعان، العنصرية اليهودية، ملحق إلى اليهود والعالم، ط١، ١٩٧٣.

١٨- حسن الباش، القرآن والتوراة أين يتفقان وأين يفترقان، دار قتيبة للطباعة والنشر، ط٢، ١٤٢٢ هـ، ٢٠٠٢م.

١٩- حسن ظاظا، الفكر الديني، دار القلم، دمشق، ط٣.

٢٠- حسين سليمان قورة، الأصولية التربوية في بناء المناهج، ط١، القاهرة، دار المعارف، ١٩٧٧.

٢١- حسن عودات، الموت في الديانات الشرقية، ط١، ١٩٨٦م.

٢٢- ويتر تستمرلينغ، النهايات الهوس القيامي الألفي، ترجمة ميشيل كيلو، قرش للنشر والتوزيع، ط١، ١٩٩٩، سوريا.

المنارة للاستشارات

www.manaraa.com

٢٣- ديروس بارتون، رولاند بايرز وآخرون، التفسير التطبيقي للكتاب المقدس، ترجمة شركة ماستر ميديا، القاهرة، مصر.

٢٤- رحمت الله الهندي، إظهار الحق، تحقيق محمد أحمد ملكاوي، جمع ونشر الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية، الرياض، ١٤١٤ هـ / ١٩٩٤م.

٢٥- رجاء عبد الحميد عرابي، سفر التاريخ اليهودي، الأوائل، ط١، ٢٠٠٤م.

٢٦- ريجيسكي، أنبياء التوراة والنبوءات التوراتية، ترجمة آحو يوسف، دار الينابيع، ط١، ١٤١٢ هـ - ١٩٩١م.

٢٧- زكي شنودة، المجتمع اليهودي، مكتبة إنمانجي، القاهرة، ط٢.

٢٨- سعد الدين السيد صالح، العقيدة اليهودية وخطورتها على الإنسانية، مكتبة الصحابة، ط٢، ١٤١٦ هـ.

٢٩- سعود بن عبد العزيز الخلف، دراسات في الأديان " اليهودية والنصرانية "، مكتبة أضواء السلف، الرياض، ط١، ١٤١٨ – ١٩٩٧م.

٣٠- سعيد بن عطية الزحراني، القيم الأخلاقية في الصراع الحضاري بين الإسلام والغرب، دار ابن حزم، بيروت، لبنان، ٢٠٠٣م.

٣١- سهير كامل أحمد، دراسات في سيكولوجيا المرأة، مركز الاسكندرية للكتاب، مصر، ط ١٩٩٨.

٣٢- صابر طعيمة، الأسفار المقدسة قبل الإسلام، عالم الكتب بيروت، د ط.

٣٣- صابر طعيمة، التراث الإسرائيلي في العهد القديم وموقف القرآن منه، دار الجيل، بيروت، ط ١٩٧٩.

٣٤- ظفر الإسلام خان، التلمود تاريخه وتعاليمه، دار النقاش، بيروت.

٣٥- عابد توفيق الهاشمي، التربية في التوراة، مؤسسة الرسالة، ط١، ٢٠٠١م.

٣٦- عبد الله الرشدان وزميله، المدخل إلى التربية والتعليم، ط٤، دار الشرق، عمان.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

٣٧- عبد الله ناجح علوان، تربية الأولاد في الإسلام، دار السلام، حلب.

٣٨- عبد الرحمن حسن حبنكة الميداني، الأخلاق الإسلامية وأسسها، دار القلم، ١٣٩٩ هـ، ١٩٧٩م.

٣٩- عبد الرزاق رحيم الموجي، العبادات في الأديان السماوية، الأوائل، ط١، ٢٠٠١م.

٤٠- عبد الرحمن عدس، علم النفس التربوي رؤية معاصرة، دار المناهج، عمان.

٤١- عبد العزيز القوصي، أساس الصحة النفسية، ط٥، القاهرة، مكتبة النهضة المصرية.

٤٢- عبد الجليل شلبي، عظماء قادة الأديان، مؤسسة الخليج العربي، ط١، ١٤١٢ هـ.

٤٣- عبد المجيد همو، ما بين موسى وعزرا كيف نشأت اليهودية، مراجعة إسماعيل الكردي، الأوائل، ط١.

٤٤- عبد المجيد همو، مفاهيم تلمودية نظرة اليهود إلى العالم، مراجعة إسماعيل العردي، الأوائل، ط١، ٢٠٠٣.

٤٥- عبد المنعم الحنفي، الموسوعة النقدية اليهودية، مطبعة دار المسرة، بيروت، ١٩٨٠.

٤٦- عبد المنعم سيد حسين، طبعة المرأة في الكتاب والسنة، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة.

٤٧- عبد الوهاب المسيري، موسوعة اليهود اليهودية، دار الشروق، ط١، ١٩٩٩م.

٤٨- علي خليل أبو العنين، فلسفة التربية الإسلامية في القرآن الكريم، ط٢، ١٩٨٥، دار الفكر الغربي.

٤٩- علي عبد الواحد وافي، الأسفار المقدسة في الأديان السابقة للإسلام، ط١، ٢٠٠٣، دار النهضة للطباعة والنشر.

المنارة للاستشارات

www.manaraa.com

٥٠- علي عبد الواحد وافي، اليهودية واليهود، ط٣، ٢٠٠٣م، دار النهضة، مصر.

٥١- عماد علي عبد السميع، الإسلام واليهودية، دراسة مقارنة من خلال سفر اللاويين، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ٢٠٠٤م.

٥٢- عمر يوسف حمزة، أصول الأخلاق في القرآن الكريم، ط١، دار الخليج للنشر والتوزيع، ٢٠٠٦م.

٥٣- الغزالي أبو حامد، المنقذ من الضلال، المكتبة الشعبية، بيروت، لبنان.

٥٤- غريفور فرانسوا، المذاهب الأخلاقية الكبرى، ترجمة قتيبة المعروفي، منشورات عويدات، لبنان، ط١، ١٩٧٠.

٥٥- فرج الله عبد الباري، اليوم الآخر بين اليهودية والمسيحية والإسلام، دار الوفاء للطباعة والنشر، ١٩٩١، ط١.

٥٦- مقداد يالجن، علم الأخلاق الإسلامية، ط٢، دار الكتب، ١٤٢٤ هـ، ٢٠٠٣م.

٥٧- مقداد يالجن، التربية الأخلاقية الإسلامية، دار عالم الكتب، ٢٠٠٢م.

٥٨- محمد أحمد الخطيب، مقارنة الأديان، دار المسيرة للنشر والتوزيع، عمان، ط١، ٢٠٠٨م، ١٤٢٨ هـ.

٥٩- محمد بحر عبد المجيد، اليهودية، مركز الدراسات الشرقية، جامعة القاهرة.

٦٠- محمد البهي، تهافت الفكر المعادي التاريخي بين النظر والتطبيق، ط٣، مكتبة وجيه للنشر، ١٩٧٥.

٦١- محمد خليفة حسن، تاريخ الديانة اليهودية، دار قباء للطباعة والنشر، ط١، ١٩٩٨.

٦٢- محمد الشافعي، المسؤولية والجزاء في بيان القرآن الكريم، ط١، مطبعة السنة المحمدية، ١٩٨٢م، ١٤٠٢ هـ.

٦٣- محمد شرقاوي، مقارنة الأديان، دار الجيل، بيروت، ط٢، ١٩٩٠.

المنارة للاستشارات

www.manaraa.com

٦٤- محمد عبد القادر، من قضايا الأخلاق في الفكر الإسلامي، ط١، دار المعرفة الجامعية، ٢٠٠٠.

٦٥- محمد عفيفي، النظرية الخلقية عند ابن تيمية، ط١، ١٩٨٨، مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية.

٦٦- محمد عبد الله دراز، دستور الأخلاق في القرآن، مؤسسة الرسالة، دار البحوث العلمية، ط٧، ١٩٨٧م.

٦٧- محمد علي الخولي، التمريض في التوراة، ط١، ١٩٩٠.

٦٨- محمد قطب، دراسات قرآنية، دار الشروق، ط٤، ١٩٨٣.

٦٩- محمد قطب، التطور والثبات في حياة البشر، ط٤، دار الشرق، ١٩٨٠.

٧٠- محمد قطب، شبهات حول الإسلام، دار الشروق، ط١١، ١٩٨٧.

٧١- محمد ملكاوي، المناظرة الكبرى، مطابع الصفا، مكة المكرمة.

٧٢- محمد علي البار، المسيح المنتظر وتعاليم التلمود، الدار السعودية للنشر، ١٩٨٧.

٧٣- موفق محادين، دورة الدين اليهودية، ط١، ١٩٩٧، دار الكنوز الأدبية، بيروت، لبنان.

٧٤- نوح القضاة، المختصر المفيد في شرح جوهرة التوحيد، دار الرازي، عمان، ط١، ١٩٩١م.

٧٥- هنري برجستون، منبعا الأخلاق والدين، تعريب سامي الدروي وعبد الله الداعم، دار العصر للملايين، ط٢، ١٩٨٤.

٧٦- هوستن سميث، أديان العالم، تعريب سعد رستم، دار الحوار، حلب، ١٤٢٦ هـ.

٧٧- وفاء فرحان، موسوعة العلم والمعرفة الحديثة، دار اليوسف، بيروت، لبنان.

المنارة للاستشارات

www.manaraa.com

٧٨- وليام ليلي، الدين والأخلاق، ترجمة عبد المعطي محمد، دار المعرفة، الجامعة، ١٩٨٥.

٧٩- وهبة الزحيلي، أخلاق المسلم وعلاقته بالخالق، ط١، دار الفكر، المعاصر، بيروت، ٢٠٠٣م.

٨٠- يوسف القرضاوي، فقه الزكاة، مؤسسة الرسالة، بيروت.

المراجع باللغة الإنجليزية:

1- John. Aselble and Lous H.Cray, Encyclopedia of Religion and ethics, volume (v).

2- WWW.sesliso214lz.com.En.wikipedia.org1wiki/ethics

3- Michael inwood: Age gel. Dictionary, Black well.

المنارة للاستشارات

www.manaraa.com

Abstract

The Individual Ethical Values Between The Old Testament And The Holy Qur'an (Comparative study)

***Prepared by**: Somaia Mohammad Tu'mah Al-Qudah*

***Sup by**: Mohammad Abd Al-Hameed Al-Khateeb*

The speech about the moral considers as one of the recent- ancient and renewed subjects in all periods especially that the morals which have the great effect in the person, community life.

So, this study came to clarify and show the individual morals through The Holy Qur'an And The Old Testament and the comparison between them as the following:

The initiative chapter:

I defined the Holy Qur'an, the Old Testament, the morals according to the language and the idioms.

Also I talked about the main features of the Holy Qur'an, the Old Testament and the role of the morals in the community and humanity.

The first chapter: I dedicated it to study the individual morals in the Old Testament with regard to the compulsion, the responsibility, the manners and the appearances, the reward and the punishment.

The second chapter: I talked in it about the individual morals in the holy Qur'an with regard to the compulsion, the responsibility, the manners and the appearances, the reward and the punishment.

The third chapter: I made it as a comparative chapter between the individual morals according to the harmony and the difference points.

And I supported neutral the opinion of the researchers in this connection.

I presented my own opinion when necessary.

Finally, the conclusion of the research with the results and some recommendations.

The researcher

www.manaraa.com